



بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٠٢٨٠٠

٨١٤



ع. ٢٠٠
وزارة التعليم العالي
عهد الدراسات الإسلامية
قسم اللغة العربية

الحب والنور

في شعر الشافعي

البحر المقدس من الطالب: قاسم صلاح الصلاح لنيل درجة الماجستير

بإشراف الأستاذ الدكتور: أحمد الشرباصي

١٩٧٨ - ١٩٧٩ م

١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة العامة في تونس قبل الشاهي

في أواخر القرن الماضي ، بدأ الغرب يسيطر على أجزاء من الوطن العربي ، وكانت تونس من البلدان التي سقطت في يد الفرنسيين سنة ١٨٨١ م ، ومنذ ذلك الوقت كانت تخضع لحكم مزدوج (حكم الفرنسيين أولا وحكم الباي ثانيا) ، والباي هو الذي ورث الحكم عن أسرته المعروفة باسم الأسرة الحسينية التي ظلت تحكم تونس منذ سنة ١٧٠٥ م الى سنة ١٩٥٦ م ، حيث أعلنت الجمهورية التونسية وتم خلع آخر البايات .

والباي كلفة تركية كانت تطلق على حاكم تونس عندما كانت خاضعة للأتراك ، وهي كلمة تشبه الخديوي في مصر .

ولقد قام تحالف بين أعداء الشعب - الباي وبين الفرنسيين - ولقد استمر هذا التحالف بعد ذلك لأن مصلحة أعداء الشعب واحدة .

ومن المواقف المناوئة للشعب ، أنه أرسل جيشا تونسيا سنة ١٨٨١ م الى الحدود الجزائرية وذلك لمساعدة الجيش الفرنسي ضد الجزائريين ، ولهذا الموقف وأمثاله لم يجد الفرنسيون أي مبرر لتغيير هذا الحكم - ذلك النظام الذي يقف الباي على قمته وقاعدته مما .

وفي الحرب العالمية الأولى أعد باي آخر من بايات تونس جيشا قوامه ستة وخمسين ألفا من التونسيين ليحارب في صفوف الفرنسيين ، وقد قتل منهم في الحرب اثنا عشر ألفا ، واستمر بايات تونس في تنازلهم عن حقوق الشعب ، وهي الحقوق التي لم يعترفوا بها في يوم من الأيام ، كل ذلك في سبيل مصالحهم الخاصة ، وخوفا من الاصطدام مع الفرنسيين .

وكان من المظاهر الأخرى لتنازل البايات عن حقوق الشعب أن تم تسجيل أفضل الأراضي الزراعية في تونس باسم المستوطنين الفرنسيين ، كما أصبحت معظم الوظائف في التونسية في يد الفرنسيين فمن بين ثلاثين ألف إداري في تونس بعد الحرب العالمية الأولى كان هناك خمسة وعشرون ألفا على وجه التقريب من الفرنسيين ، في مقابل خمسة آلاف من أبناء تونس .

وفي الميدان الاقتصادي كان اليهود يسيطرون على معظم الصناعات والحرف الصغيرة وخاصة صناعة الأحذية وصناعة النسيج ، وكان يهود تونس يطالبون بأن يطبق عليهم القانون الفرنسي وقواعد الحياة الفرنسية في كل شيء ، حيث كانوا يشعرون بالولاء للمال أولا ، شأن (المزاج اليهودي) و (التاريخ الصلي لليهود في كل أنحاء العالم) ، وفي مختلف مراحل التاريخ ، وكان اليهود يشعرون بالولاء لثانيا لفرنسا ولم يكونوا يشعرون بالولاء لتونس التي ولدوا فيها وعاشوا على خيرها ، فلقد كانت فرنسا في تونس هي السلطة الاستعمارية التي تحمي الاستغلال والمستغلين داخل المجتمع التونسي .

ثم تأتي المأساة الثقافية اذا صح التعبير ، لتعطي الملاح الأخيرة للمحنة التي كانت تعيش فيها

تونس في ظل الاستعمار ، فقد كانت المدارس المختلفة تضم ١٠٪ من أبناء تونس و ٨٧٪ من أبناء

فرنسا وذلك حسب الاحصاء الذي أورده الأستاذ عمر فروخ في كتابه عن الشهابي .

مولد الشابي وظروف الحياة العامة فيها :

في هذا الجو المليء بالظلم والحن ، ولد أبو القاسم الشابي وبالتحديد في ٢٤ / فبراير - شباط سنة ١٩٠٩ م . ولكن هذه الفترة لم تكن مظلمة تماما ، ولا خالية من أى شعاع من الضوء ، فكلما اشتد الظلم والتأخر اللذان يهددان شعبا حيا بالهلاك ، بدأت الأفكار الثورية تولد كذور لعالم جديد ، وقوى جديدة تهدف الى انقاذ الشعب من الكارثة وربما اختبأت الأفكار الثورية المتفتحة في الحوارى والبسوت الفقيرة وربما استترت بالظلام والتظاهر بالسذاجة واختفت وراء النكتة وخفة الروح ، كل ذلك لتتعايل وتتكن من الانطلاق بعد ذلك لتكون اساسا للمستقبل ، وربما اختبأت هذه الأفكار القوية الخصبة في عقل رجل يلبس العمامة ويتحدث باللغة العربية الفصحى ، ويبدو وكأنه رجل دين لا علاقة له بالدنيا : أى لا علاقة له بالحكام والشعوب ، وربما اختبأت هذه الأفكار على "مصطبة" يجلس فوقها ناس يتدارسون - في العلن - أمور الفقه والنحو وما الى ذلك ، وهم في حقيقة أمرهم يدرسون معنى الثورة وطريقة الثورة (١) يدرسون "سرا الحياة السليمة" ، ويفكرون في تغيير الظلم ونشر العدل في المجتمع المظلم ، وربما اختبأت هذه الأفكار الثورية على حصىرة جامع يقف الناس فوقها ، يتجهون بقلوبهم الى الله ، وهم في أعماقهم يشعرون أن الله هو العدل وهو غيف الخبز ، وهو الحروف التي حرم الملايين من تعليمها ، لأن الله عادل وعليم ومحِب للفقراء .

وهذا ما حدث في تونس ، فقد كانت تظهر وسط الظلام أشعة خافتة هنا وهناك ، وكانت هذه الأشعة المخافتة هي التي تجتمعت وقويت بعد ذلك لتقلب الأمور في تونس وفي كثير من أجزاء الوطن العربي . وكان الشعاع الأول هو بدون شك ذلك الشيخ الفريب الذي كان ينتقل من بلد اسلامي الى بلد آخر " يوزع المسعوط يمينه ، ويوزع الثورة يساره " ذلك هو جمال الدين الأفقاني ، الأب للشرعي " لثوار أوائل القرن العشرين " في كل أجزاء الوطن العربي على الرغم أنه بذر بذور هذه الثورات في أواخر القرن التاسع عشر .

لم يذهب الأفقاني الى تونس بنفسه ، وإنما ذهب اليها بملاده وتلاميذه ، وفي سنة ١٨٨٥ م ، أى بعد احتلال تونس بأربع سنوات تقريباً ، ذهب الشيخ محمد عبده صديق الأفقاني وتلميذه الى تونس ، وكان هذه الرحلة هو الاتصال بالثقفين التونسيين ودفعهم الى الثورة على الأوضاع التي كان العالم الاسلامي الغربي يعاني منها في ذلك الحين .

والفكرة التي كان يحملها الشيخ محمد عبده معه ، وهي فكرة الأفقاني في الوقت نفسه هي تجديد الاسلام ، وربطه بالحياة المصرية ، وتخليص الدين من البدع والخرافات ، وانظر والدعوة الى الأخذ بالعلم الحديث ، والخروج بالدين من مرحلة " الكهانة " . والانعزال عن الحياة في الجوامع والمدارس المختلفة الى مرحلة جديدة حيّة ، وبذلك يستطيع العالم الاسلامي أن يمود الى قسوته ويتخلص من الاحتلال الغربي وسيطرة الباطليات في تونس .

أسرة محمد علي في مصر والأتراك في سوريا ولبنان .

ودارت المناقشات الواسعة بين الشيخ محمد عبده ومشايخ جامع الزيتونة وهو الجامع الذي كان وما يزال يقوم بدور الأزهر في مصر وكان لهذه المناقشات أثرها الكبير في تونس من الناحية الفكرية والسياسية ولا بد من الإشارة هنا الى ظاهرة رئيسية من الظواهر المهمة والرئيسية في أوائل هذا القرن وهي أن التأثير في معظم الأحوال في الوطن العربي كله في تلك المرحلة كان تأثيراً دينياً ، وهناك أكثر من سبب لهذه الظاهرة . ففي معظم البلاد العربية كانت الثورة موجهة ضد الغرب مما كان يجعل هذه البلاد تتجه الى فكرة الخلافة الاسلامية ، كرمز للكفاح ضد أوروبا .

فهذه الخلافة من الناحية الشكلية على الأقل - هي التي توحد المسلمين ، وتجعل لهم شخصية قوية في مواجهة الاستعمار الفرنسي خاصة ، والأوروبي عامة ، فقد كان المعنى الأول لهجوم الاستعمار الفرنسي على البلاد العربية ، هو معنى القضاء على المسلمين والحضارة الاسلامية ، مما جعل خروج التأثير من منطقتي الثقافة الاسلامية أمراً ضرورياً وملائماً لروح تلك المرحلة ، أي أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين ، وحتى الثورة المصرية سنة ١٩١٦م كانت تهدف الى إقامة خلافة اسلامية عربية في وجه الخلافة التركية ، ونستطيع أن نجد قائمة طويلة من الثوار في الوطن العربي في تلك الفترة ، كان الأساس في تكوينهم هو الثقافة الدينية مثل : الأفغانى ، محمد عبده ، والكواكبي ، والنديم ، وعبد العزيز جابريش ، وابن باديس وغيرهم .

كذلك لم يكن للمغرب ثقافة سوى الثقافة الاسلامية ، ولم يعرفوا الثقافة المغربية إلا في نطاق محدود ولم تتكون لهم بعد ثقافة جديدة معاصرة (١) ولذلك لجأوا الى بيتهم الوحيد الذي يملكونه وهو التراث العربي والاسلامي . . . وكان المغرب بحاجة الى قوة معنوية تسندهم في صراعهم ، ولم يكن لهم قوة معنوية سوى الاسلام ، وقد تجسدت الثقافة العربية وروح الحضارة العربية حتى ذلك الوقت في شيء واحد وهو الاسلام ، وفي تلك المرحلة فقد المغرب كل شيء على التقريب ، فقد كانت أنظمة الحكم متخلفة رجعية ، وكان الاستعمار مرتكباً يقوم على أسس واهية ، ومن هنا لم يكن أمام المغرب أي محاولة لليقظة أو الثورة إلا أن يهودوا الى تراثهم الاسلامي القديم ، الذي يستمدون منه قوة وعزماً على التقدم والتحريك الى الأمام ، فلقد كان الواقع الذي يعيشون فيه فاسداً لا يحمل أي نوع من أنواع الالهام الحضارى والانسانى وهنا نجد ظاهرة جديدة بالملاحظة ، فنزعة الوحدة كانت تشيع في العالم الاسلامي والعربي منه خاصة في ذلك الحين ، وكان الأساس الوحيد الظاهر لهذه الوحدة هو الأساس الاسلامي وقد ظلت البذرة الفكرية للوحدة العربية كما هي ، ولكنها تطورت وفتحت وأصبح أساسها الآن هو الأساس القومي بمعناه المصري ، معنى الاشتراك في التاريخ والمصلحة والمستقبل .

كذلك كانت الأفكار الدينية في القرن العشرين ، متغلغلة في عقول الناس وقلوبهم حتى أصبح من الضروري أن يبدأ كل شيء بهذه العبارة المباركة بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - أبو القاسم الشابي - شاعر الحب والثورة - لرجاء النقاش .

كان لابد أن يبدأ كل شئ بها حتى الثورة نفسها كان لابد أن تبدأ بهذه العبارة ، وبالفعل بدأت الثورة على يد هؤلاء الدينيين ، وكانت البداية هي الدعوة الى بعث الاسلام وتجديد الثقافة الاسلامية لكي يستطيع العرب أن يتلاءموا مع العصر الحديث ويجدوا قوة تسمح لهم بمواجهة التحدي الوافد اليهم من وراء البحار من الغرب .

وظهر جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وكانت أهدافهما ثورية اصلاحية ولكن من خلال الدين ، وقد جدد جمال الدين الأفغانى أهدافه وأهداف الثوار فى ذلك العصر فى فكرتين رئيسيتين : الفكرة الأولى هي محاربة الخرافات التى انتشرت فى حياة الجماهير عقليا وواقميا أما الفكرة الثانية فهي الانهماك باقامة العقيدة على أساس النزعة العقلية لا النزعة الفهمية وكانت هذه الفكرة الأخيرة تهدف الى القضاء على العداء التقليدى الموروث الذى تراكم خلال أجيال طويلة بين العقل والدين ، وبالتالى بين الحضارة الحديثة وبين العقيدة الاسلامية فى صورتها المختلفة ، لقد كانت هذه الفكرة الثورية تهدف الى اعادة ايمان المجتمع العربى الاسلامى بالعقل ، وفسح المجال أمامه للابتكار والعمل بحد أن كانت الروح المسيطرة على الحياة حتى روح التسليم بالواقع وعدم القدرة على تفسير هذا الواقع باعتباره صورة من صور ارادة عليا لا تقبل المناقشة أو التمرد .

وقد كان من تأثير هذه الحركة الفكرية الجديدة التى قادها جمال الدين الأفغانى ، وحملها معه محمد عبده الى تونس فى رحلته الأولى سنة ١٨٨٥ م ثم فى رحلته الثانية سنة ١٩٠٣ م ، أن قامت جمعيات فكرية عديدة تدعو الى التجديد والتطور ، وكان أبرز هذه الجمعيات وأكثرها تأثيرا على حياة تونس الفكرية هي " جمعية قداماء الصادقية " التى نادت بالأفكار التحررية الجديدة ، ودعت بقوة الى الأخذ بمبادئ الحضارة المصرية ، وكان الشايبى عضوا فى هذه الجمعية حيث ألقى بها محاضراته الهامة " عن الخيال الشعرى عند العرب " (٢) .

الشعر فى تونس فى حياة الشايبى .

=====

كان الشعر الشائع هو ذلك الوصول الجذور بالمدرسة القديمة فى أغراضها وتماييزها واعتادوا على التزويق فى الشمر ، فكان الشعراء طبعه مكررة ، لا يتفرد شاعر منهم بمزية ، ولا يميز بخاصة من الخصائص ولا ينكر بمذهب من المذاهب فى الحياة ، أو يوقف من المواقف الاجتماعية حفلة من الحفلات ، أو سهرة من السهرات كافية لأن تهزهم ، فتبث فيهم أصواتا خامدة خافتة كأنها تنبث من وراء القبور ، أما الحياة فى محيطها العام الشامل ، أما الفهم الصحيح لرسالة الشعر ، ومكانة الشاعر فذلك شئ ظل بعيدا عن فهم أولئك السائرين فى قافلة الأجيال القديمة التى تضرب على غير هدى ، ولم تكن تونس فقيرة الى المزاج الشاعر ، ولكنها كانت فقيرة الى الشعر الصحيح ، حتى اذا جاء هذا الفرید " أبو القاسم الشايبى " ورفع ذكرها فى كل مكان ، وجعل من روحها تيارا متدفقا هادرا فى محيط الأدب الحديث .

ولم يكن الشعر فى تونس مؤهلا للمشاركة الواعية ، لأن أغلب الشعراء كانوا يعيشون على التقليد ، حتى اذا انطلق هذا الفرید يحمل خصائص الذاتية المتفردة الأصيلة ، رأوا فى نبوغه

(١) أبو القاسم الشايبى — شاعر الحب والثورة — لرجاء النقاش .

(٢) أبو القاسم الشايبى — شاعر الحب والثورة — لرجاء النقاش .

المثفردة الأصلية رأوا في نبوغه خطراً على مجدهم وشهرتهم، فتنادوا لكفاحه ومحاربه . وكانت الحركة الأدبية الجديدة متمثلة في شبيبة واعية، اطلعت على الأدب الغربي، وتابعت نهضة الأدب العربي الحديث، وكانت تنهم في نهم شديد، كل ما يصل إليها من ثقافات الغرب والشرق، وتجد في نفسها استجابة الى الدعوات القائمة في الشرق من العربي، صنادية بالتجديد، وكان حتماً أن تجد هذه الدعوات طريقها الى المجتمع العربي، فهو لا يتجزأ من الكيان العربي، فاعتنقها الشباب وكانوا من دعائها وأنصارها. فقد راعهم الخمود الأدبي، والمهم ألا يكون لبلادهم مشاركة واعية في الحاضر كما كانت لها في الماضي، فاندفعوا في قوة، وعزم الى تصحيح المفاهيم الأدبية، وكانت مهمة عسيرة فليس من أسهل من النهوض بالتجديد . ومحاولة اصلاح الأدب، معناها اصلاح الأمة كما يقول العقاد، نلمس ذلك فيما وجدناه من نقداً صائبة الى فنون الأدب، ويهمننا منها، بنوع خاص، الشعر الذي كان يشكو تخلفاً في الروح، ويمد به عن مجارة التيار العربي في الشرق . (١)

وفي هذا يقول الأستاذ الحليوي : " شعراؤنا كثيرون لاجرم، ولكن معظم شعرهم مشكوك في قيمته، متنافس في نفسه وليس يعسر على النقد أن يطلع على زيفه، ويبرهن على خلوه - إلا القليل - من الاحساس والشعور، واقفاره من الماطفة والخيال، وليس يعنيه أن يتركه بمد عرشه على المحك - كوما من الألفاظ والأوزان، وهشيم من التقاطيع والتفصيلات .

علم الله أننا لا زلنا بعداء عن الأدب الحيّ القويّ، الذي يصدر عن القلب، ويدخل الى القلب، ويمتزج باللحم والدم، ويهزّ النفس هزّاً ويدقّها دقّاً، وهما نحن أولاً، تشاق قلبونا للشعر الصادق الحيّ، فلا نظفر به إلا في دواوين معلومة للشعراء الأقدمين، وهما نحن أولاً، تتوق نفوسنا الى الشعر الوطني الحماسي، فنستعيره من شعراء الشرق الذين خاضوا بحره، وصارعوا موجّه المتلاطم، حين رماهم القدر بالنكبات والأرزاء، وساق اليهم عادي الدهر، الأحداث الهائلة والخطوب الجسام، فقاوموا المحتلين، وتغنّوا بالحرية، وحلموا بالوحدة العربية " (٢) .

ولعل أفدح ما كان يشكو الشعر حين ذاك، ضعف الايمان به كقضية فنية، يستحق الحياة من أجلها، والتفرغ لها كما يتفرغ المابد المتصوف لعبادة ربه .

تلك هي طريق النبوغ وهذا يقول الشابي : (٣)

" . . الحقيقة أنهم ما زالوا بعيدين عن الحياة في فنهم، حياة رفيعة سامية، والانديماج

فيه بكل ما لهم من روح وحس وتفكير وخيال، حتى ينطبع شعر كل واحد منهم بطابعه الذي لا يشاركه فيه غيره، وما برحوا ينظرون اليه كافلة من نوافل النفس، لا ضرورة

(١) - الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي .

(٢) - الشابي - كتاب البعث - الأستاذ الحليوي .

(٣) - الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي .

من ضروراتها، ولهو ساذج يتسلى به المرء في سناء الوحدة وملل الفراغ، لا جسد صارم يتصل بلعمق أعماق الحياة، ومن ثم كانوا لا ينحسرونه ما يجب له (١) من التقدير والاحترام ولا يتحرجون أن يسفّوه إلى صفائر الأشياء وسخافاتهما. وأكاد أجزم أن العربية في شعرها الحديث لم تعرف شاعرا اتخذ من الشعر قضية يمشي من أجلها كما اتخذها الشابي، وذلك سر من أعظم أسرار الشهرة التي يتمتع بها في أدبه، والتي تبهد له مكانا في كل قلب. فقد كان صادق الشعور، صادق التعبير عما يختلج في نفسه، وكان أميناً في حمل الرسالة الأدبية الفنية الرفيعة حتى تضخم إيمانه بها. (٢) وتقول نازك الملائكة:

" وكادت المواطف عنده تصبح رضا ناهشا، فماش الشاعر يلهث وأتمعه الشعر حتى قتله، إن الشعر كان هو المصل الأكبر في حياة هذا الشاعر المشتعل، ومن أجله عاش، يتعذب بكل جمال يمر به، وإن كان عذابه لهذا " (٣) وذلك واضح في كثرة ما ناجى به الشعر الذي أحبه حبا عميقا، وحياة شعرية هي عنده صورة من حياة أهل الخلود. ويقول من قصيدته " مناجاه " التي تكشف عن مقدار تقديره للشعر الذي يتحساه في الصباح (٤) لينسى ما تقضى في أمسه الفقود، ويناجيه في المساء ليلهو بحياه عن ظلام الوجود، وليس يهمه، بعد أن يعبر عما في نفسه أن يزدري الناس أفانيه:

فيك ما في الوجود، حبّ بنو الدنيا أم لم يجهو قصيدي
فسواء على الورود أفي الفُردانِ فاحت أم بين نهدٍ وجيدٍ

=====

=====

=====

=====

=====

=

(١) :- الشابي كهاج الشابي - الأستاذ كرو - ص ٢٨.

(٢) :- الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي.

(٣) :- نازك الملائكة - الآداب البيروتية - يوليو سنة ١٩٥٤ م.

(٤) :- الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي.

(الساب الأول)

حياة الشابي ومولده :

ولد أبو القاسم الشابي ، كما يقول زين العابدين السنوسي ، يوم الأربعاء في الثالث من شهر صفر سنة ١٣٢٧ هـ الموافق الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٠٩ م (١) في بلدة تَوَزَّر . أما أمين الشابي فإنه اكتفى بذكر العام الميلادي فقط سنة ١٩٠٩ م في مقدمة أغاني الحياة " ص ٨ " . أما عامر غنيمه فيرى أن هذا التاريخ عرْفِي لا يستند الى سجل رسمي أو مصدر موثوق به ، أما الشاعر نفسه فقد رضى بتاريخ نشر في حياته ، وهو التاريخ الذي نشره زين العابدين السنوسي ومصدره مجهول ، أما عمر فروخ فيقول انه سأل أسرة الشاعر عن تاريخ مولد الشاعر فقيل له انه وُلِدَ حوالي المولد النبوي سنة ١٣٢٧ هـ ، والمولد النبوي في تلك السنة يوافق يوم ٣ نيسان سنة ١٩٠٩ م . وعلى كل حال فإن مولد أبو القاسم كان في عام ١٩٠٩ م ما بين ٢٤ شباط و ٣ نيسان ، مع أن أبو القاسم محمد كرويوخ مولد الشابي في آذار سنة ١٩٠٩ م (٢) .

لم ينشأ الشابي بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه في السنة الأولى من عمره حينما بدأ أبوه الطواف بالآفاق للحاق بالبلدان التي كان يَمِينُ فيها للقضاء ، ولقد كان لهذا الطواف الذي استمر عشرين عاما أثره على الشابي الصغير ، إذ أن هذا التنقل حرمه من الاستقرار في مدرسة واحدة ، كما عرف هذا التنقل ذلك الناشئ الصغير ، النحيف الجسم المديد القامة السريع الانفعال ، على جميع أنواع السباح في القطر التونسي ، من حر مدينة قابس الساحلية الى برد الجبال المرتفعة ، وكذلك طبع هذا التنقل نفس الشابي الفضة بآثار الحياة الاجتماعية المختلفة الموجودة في القطر التونسي كما غذى خياله المتوثب بالمشاهد الطبيعية الرائعة ، وخبثت في ذاكرته الواعية تلك الصور المتنافرة في البيئة التونسية الفنية في كثير من مرافقها الطبيعية والمتخلفة في عدد من انواحى حياتها الحضارية والثقافية ، على أن هذه كلها قد علت في تضخم تجربته وتدفق شاعريته فيما بعد . (٣)

دراسته :

بدأ أبوه في تعليمه بإدخاله إحدى المدارس التقليدية " الكتاتيب " وهو في الخامسة من عمره ، وكان أبوه يحرص بشدة على تحفيظه القرآن ، ولقد حقق الشابي حرص والده فما أن بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظ القرآن بكامله حفظا تاما ، ثم أخذ والده يعلمه بنفسه أصول العربية ومبادئ العلوم الأخرى حتى بلغ الحادية عشرة .

(١) الأدب التونسي " ص ٢٠٨ " ، السنوسي " ص ١١ " .

(٢) الشابي - حياته وشعره - أبو القاسم محمد كرو .

(٣) الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ .

وفي ١١/١٠/١٩٢٠ م وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، أرسله والده الى العاصمة التونسية حيث تم التحاقه بالكلية الزيتونية ، واستمر يدرس بها المعلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها (١) سنة ١٩٢٨ م نائلاً شهادة التطويع وهي أرفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين وعلى أثر تخرجه من الزيتونة عام ١٩٢٨ م التحق بمدرسة الحقوق التونسية ، فتخرج منها سنة ١٩٣٠ م وخلال السنوات الثلاث الأخيرة من دراسته ، بذل الشابي نشاطاً أدبياً واجتماعياً كبيراً ، فقاد حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف الى اصلاح - مناهج التعليم والادارة في الكلية ، وترعى امراءهم عن الدروس وترأس لجناتهم وسير أعمالها بوطنية أعجب بها الجميع .

موت والده :

لقد تعرض الشابي لأحداث ونكبات هزت كيانه وعكرت صفو حياته ، وكان فسي طليعتها موت والده في الثامن من شهر أيلول " سبتمبر سنة ١٩٢٩ م " وموت والده تغيرت حياته تغيراً تاماً وأحدث ذلك في نفسه صدمة عنيفة هائلة ، طفحت بهـمـاً قصاده في ألم حاد وبأس مرّ .

فقد كان أبوه يقوم نحوه بكل حاجاته ، ويوفر له راحته ورفاهيته وهناءه ، فاذا بذلك كله ينهار مرة واحدة ، واذا هو مشلول عن كل ما خلفه والده في الحياة ، من أم ثكلى وأبناء صفار الى أملاك مبعثرة هنا وهناك ، وفوق ذلك تبعات لا تعد أمام ضيقة وأمام القانون .

مرضه :

وثاني النكبات التي أصابت الشابي هي المرض ، ذلك أن الألم الجارف والبأس العنيف وتلك الأتعاب والمسؤوليات التي خلفها والده ، ما لبثت أن فعلت في جسمه النحيل فملها الخبيث ، فأصيب بداء تضخم القلب الذي عانى منه أشد أنواع المرارة وأقسى ضروب العذاب وعرض نفسه على كل طبيب أخصائي بتونس فكانوا جميعاً متفقين على أمرين اثنين مع علاج بالأدوية مستديم :

أولهما : أن يكف عن إرهاق نفسه بالكتابة والقراءة .

وثانيهما : أن يعيش في المناطق الجبلية والطبيعية حيث الغابات والينابيع والوديان والأنهار ، . . . فمضى الشاعر يجوب صيفا وشتاء مناطق تونس الطبيعية الجميلة ذات المصائف الفاتية والمشاتي الرائعة . فمن بلاد الجريد الى زفـوان ومن عين دراهم الى المشروحة (١) وقد عاش ثلاث سنوات وحيدا بين أشجارها وأنهارها (٢) يتغنى مع الأطهار بحبه ويناجي النجوم بأمانيه ويحنو على الورود

(١) تقع في ولاية قسنطينة بالجزائر .

(٢) أبو القاسم محمد كرو - الشابي حياته وشعره .

والأوهار وبطرب لخرير المياه وحقيف الأفضطان ، وفى هذه الفترة أخرج الشايبى أجمل قملة الخالدة فى وصف الطبيعة والجمال ، وسحر الوجود وحب الحياة .
وقد ثار حول مرضه جدل عريض بين المترجمين والدارسين للشايبى ، فمنهم من أعلن سهوا أنه مات مسلولا كما فعلت الشاعرة : نازك الملائكة فى بحث لها " الشمر والموت " (١) . وأبو القاسم محمد بدرى فى كتابه الشاعران المتشابهان " الشايبى والتيجانى " ص ١٦ ، وعبد السميع المصرى فى مجلة الرسالة الجديدة (٢) والشيخ محمد الفاضل بن عاشور فى كتابه الحركة الأدبية والفكرية فى تونس (٣) ، ولقد سبق هؤلاء جميعا فى اعتقادهم هذا الأستاذ محمد فهى فى كتابه " الروائع لشمر الجبل " اذا قدم مجموعة من قصائد الشايبى بكلمة موجزة ذكر فيها أن الشايبى مات مسلولا .

أما أبو القاسم محمد كروف فقد قدم وثائق تثبت أن الشايبى مرض بالقلب ، وفشى ظهيرة هذه الوثائق نصوص تركها الشايبى بقلمه تدل بكل وضوح على حقيقة مرضه ونوعه وتأثره البارز فى حياته وأدبه ، ثم بحث جيد عن حياة الشايبى قام به الأستاذ محمد عامر فديرة مستندا فيه الى مجموعة من الأسانيد والوثائق وقد اطلع أيضا على بطاقة المستشفى التى مات فيها الشايبى ، كذلك اتصل الدكتور محمد فريد غازى (٤) بطبيب الشايبى الخاص الدكتور محمود الطاطرى واستمد منه معلومات مهمة ونشت هنا أهم ما جاء فى البحثين .

أولا : بحث الدكتور محمد فريد غازى :

يقول غازى : " العناصر الأولى التى نجدتها تبرز عند الشايبى على مرضه موجهة فى يومياته قبل كل شئ ، ثم نجد أهداء متنوعه فى شمره . وصفحات يومياته التى كتبها دون تصنع وبون صنعة أدبية ، بل هى فىخ من روحه واندفاع من قريحته ، هى الكنز الثمين وهى تكشف لك أن طور نبوغ الشايبى الذى أذهب به من سنة ١٩٢٩م الى سنة ١٩٣٤م ، أى خمس سنوات كان فى نفس الوقت ، طور مرضه الذى دام هو أيضا من خمس سنوات ، وستكون حياته فى نفس الوقت ، حياة الرجل المريض ، وحياة الشاعر الخصب وسيكون فى المجتمع العليل الناهية .
وهكذا ترى فى وضوح العلاقة البينة بين مرضه وبين عبقريته ولكن ما مرضه هذا ياترى ؟ .

ان صدقنا أطباءه - وخاصة الحكيم الطاطرى - قلنا ان الشايبى كان يألم من ضيق الأذينة القلبية " أى أن دوران دمه الرئوى لم يكمن كافيا . ولو تعمقت طبها فى مرضه هذا لعلمت أن " ضيق الأذينة القلبية " هو ضيق أو تعب يصيب

(١) مجلة الآداب - لبنان . ص ٢٤ ع ٧ ص ٥ - ١٩٥٤/٧/٨م

(٢) القاهرة ع ١١ ص ٤٥ - ١٩٥٥/٢/٤م

(٣) منشورات جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥٦م ص (١٧٨ - ١٨٠)

(٤) دكتور فى الآداب ، كثير الاهتمام بالشايبى الدراسات الاستشرافية .

مدخل الأذينة ، وتجعل سيلان الدم في الشرايين من الأذينة اليسرى نجس
المهينة اليسرى سيلانا صعبا أو معترضا . وتقول لنا كتب الطب أن هذا المرض
كثيرا ما يكون وراثيا .

وهيق القلب هذا كثيرا ما ينشأ عن برد يصيب الأعصاب والمفاصل وهو يظهر في
الأقلب عند الأطفال والشبان ، ما بين العاشرة والثلاثين وخاصة عند الأحداث على وشك
البلوغ .

كان الشابي ضعيف البنية ، نشأ متقللا وربما أصابه هذا الضيق وهو لم يزل صغير
السن ضاق قلبه وضائق رثته ، فلم يعد يتنفس تنفسا عاليا ، أضف الى هذا تعب
مستمر يصيب البدن وينهكه دون أن يقوم الجسد بأي عمل .
ولكن أهم مافي المرض ، أنه يغير نفسية المريض وهو أمر مهم جدا اذا كان المريض
كاتبا أو شاعرا أو أدبيا أو رساما أو موسيقارا أو نحاتا أو مخرجا مسرحيا أو سينمائيا
أي انا كان فنانا حقيقيا .

كان الضيق القلبي اذا هو الضربة الأولى التي أصابت روحه ، فمنعه أطباؤه من الجري
واللعب بالكرة ، ومن السباحة ، فاذا أراد أن يقفل لاعبا مع رفاقه أو أن يسبح مع أصدقائه
في أمواج البحر صيفا أو أن يتسلق " الجبل المكمل بالصنوبر والصخور " كما يقول في
الجنة الضائعة ، وجد نفسه محروما من ذلك . هكذا قرر الطبيب وهكذا قامت في حياته
التفكيرية الحواجز تسد طريقه وتغطي " بالسواد آفاقه . هكذا تدخل عليه نفسية
هي نفسية المريض تلون نفسه باليأس والأسى والتجزم فاذا به كما قال " الشقي الذي ضاقت
به رقعة الفضاء المتراخي " ، فيحس احساسا مؤلما أنه غريب عن هذه الدنيا .

وأجدر بنا أن نصف لشعور الشاب المريض مرضه (١)

" أشعر اليوم بفتور في بدني ، وتوعك في مزاجي لا أدري مأثاه ، وأحس بكآسة
صيقة ، تستحوذ على مشاعري ، وتقبض على قلبي وتجعلني أكره الكتب والأسفار والمحابر
والأقلام .

لا أريد أن أذكر أكثر ما ذكرت لأنني أرى النوم يغالبنني ، والاعياء يدافمنني الى
النعاس " .

لقد كان للشابي ادراك الرجل الواعي بصييته ، فقد جاء في يومياته (٢) :
" اعتزمت الذهاب الى حديقة البلفيدير صحبة رفيق لي ، فبريت القلم وأعددت القرطاس
وتأهلت كتابا عسى أن تحدثني . نفسي من أفكار ، أو يفيض به القلب من عواطف ، لأنني
لا أعلم متى تطفئ على الخواطر ، وتزحم على الذكرى وتتهال على الأفكار انهيمالا .
فرب نظرة

(١) يوميات يوم الثلاثاء - ١٤ جانفي .

(٢) يوميات يوم الخميس ١٦ جانفي .



..... فخرجنا جميعا ، وطلتنا نسير سوية ، ولما وصلنا مفترق الطرق فاستأجرنا فقلنا : وما هي النهاية ؟ الى أين نذهب . فقلنا الى البليدير .

فلزموا علينا أن نرافقهم الى أين يذهبون فقلنا : وما هي النهاية ؟ فقال أحدهم : إنها مقهاق بعيدة عن صخب المدينة وضوضائها ، قريبة من البرية ، مكتنفة بالأشجار الجبلية والمشاهد المسبية . فاستهوانى الوصف ورافقهم وما هي الا ساعة حتى كنا نسير بين المزارع التي تداعب الشمس أعشابها ، وكانت مشاهد كثيرة متباينة :

ها هنا صبية يلعبون بين الحقول ، وهناك طائفة من الشبان الزيتونى والمدرسى يرتاحون فى الهواء الطلق ، والسهل الجميل . ومن لى بأن أكون مثلهم ؟ ولكن أنى لى ذلك ، والطبيب يحذر على ذلك لأن بقلبي ضمفا .. آه ! يا قلىبى ! أنت مبعث آلامى ، ومستودع أحزاني ، وأنت ظلمة الأسى التى تطفئ على حياتى الممنوعة والخارجية " .

هذه حالة نفسية صاحب الشايبى منذ سنة ١٩٣٠ م كما أن اكتشافه فى يومياته . وعلينا أن نتابع أثرها ، بما يقوله لنا علماء النفس ، لئلا نرى مع هنرى كلود أن " الأسى الناتج عن ضيق القلب ، يثير فى المريض قلقا مستمرا - ينتهى دائما بالشعور بتمتع عام يجعل المريض يقبض بنفسه بعيدا عن الوسط الذى يحيط به " وهذا القلق النفسى الدائم وهذه الأزمة ، نجدها قبل كل شئ فى يومياته ، وفى شعره فنحن كثيرا مانجد كلمة القلب أو " يا قلىبى " فى عناوين قصائده نجد " الى قلىبى التائه " و " أكثر يا قلىبى " فاذا تروم ؟ " و " قال للاله " و " قلب الشاعر " وليس كلمة القلب رمزا جميلا فقط ورمزا ابداعيا وحسب بل هى أيضا تعبير نفسانى - نظمه لا شعوريا غالبا - عن مرضه . الشاعر . وان نحن نشك أن تكون القصائد التى ذكرناها ، ملامح صادقة لمرضه ، فلا يشك الشايبى من أن قصيدة " الأبد الصغير " وقصيدة " نشيد الجبار " وهكذا غنى برو شيوس بمستوحيتها من مرضه " .

هذا ويذكر أبو القاسم محمد كرو فى كتابه الشايبى أنه أعلن فى جريدة الصباح

التونسية عدد ١٩٥٥/٩/٢٣ م مقالا عن مرض الشايبى جاء فيه :

..... ان الثابت من جميع الوثائق والأخبار المسجلة أن الشايبى كان مصابا بمرض القلب ، وهذا يؤكد لنا كثرة توجع الشايبى من قلبه ، وتفنيه به ، وجعله عنوانا لقصائد كثيرة ، منها " قلب الشاعر " و " قلب الأم " و " الأبد الصغير " و " قال قلىبى للاله " و " ملأتم القلب " و " أغنية الأم " .

هذا ونقدم فقرات من رسالة بحث بها الشايبى الى صديقه الأستاذ محمد الحليوى

وفيهما يتحدث عن مرض قلبه حديثا بنفى جميع المزاعم والظنون حول مرضه . وهذا نصها :

..... لقد اشتد الضعف على قلىبى فى هاته المدة الأخيرة ما أوجب معه

الطبيب على حرمانى من الأعمال الفكرية ، لا فرق بين مطالعة أو تحضير أو كتابة

لا تألم يا صديقي لأخيك، فإن قلبي هو منبع الآتي في هذا العالم ومن يدري؟ لعل له سيكون منهما
لمثل هاتيه الآلام في عالم آخر. ان قلبي يا صديقي هو منبع الآتي هاتيه النفس التائهة
المعذبة، وهذا الجسد المصنّى المنهوك، وما دمت أحمل بين جنبي هذا القلب الكسير وما
دامت الحياة تهدّد منه ولا ترحم، فإنني أشقى الناس بل أشقى أبنائها.

ويقول له من رسالة أخرى أوردتها أبو القاسم محمد كرو في كتابه الشابي جاء فيها :

... أنا في ساحة تمصف بها الهموم وتنمقد من فوقها الأحزان، وتخرّ عليها أمواج الدموع،

ان استمعت الى نفسي لم ألق إلا الأسى يهكي، أو أصخت الى قلبي لم أسمع إلا النحيب، أو
قلّبت طرفي فيما حولي لم أهرأ إلا ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات... ان قلبي الراح
بهموم البشر لأضعف من أن يضطلع بكل ما في هذه الدنيا من مصائب.

ولعل القول الفصل في موضوع مرض الشابي يرجع الى تقرير المستشفى التي مات فيها
وينقلها أبو القاسم كرو عن الأستاذ عامر غديره، الذي قدم لها بتفاصيل مدققة عن
مرض الشابي، يقول غديره :

... وفي نفس المدة - بين سنة ١٩٢٨م و ١٩٣٠م - يقوم مشكل آخر يربطه كثير من الأدباء
بالمشكل السابق وهذا المشكل لا يقل عن الأول صعوبة وأهمية وهو مشكل الطلة
التي مات فيها الشابي منها، غير أن البحث العلمي يمكننا في هذه البيرة من التّمسك
في القضية بالقول الفصل كما سنراه بمد حين.

نحن نعلم أنّنا نصاب، يشكو علته في أثناء كل ذلك، ويختلف إلى
الأطباء، ونحن نعلم أيضا أنه انتهى من دراسته الزيتونية والحقوقية ولم
يحاول الارتزاق بشهائده ثم أننا نعلم أنه يكتب كثيرا في سنة ١٩٣٠م، وسنة
١٩٣١م، وأنه يستقر بالشابّة ويقضي صيف سنة ١٩٣٢م مع أخيه الصغير الأمين بعين دراهم
ثم هو يعود الى تونز و يرتحل في صيف ١٩٣٣م الى المشرّوحة من أرض الجزائر، ثم يذهب الى تونس
ويلتحق منها بمسقط رأسه، وهو في هذه المدة يشرع في عمل ديوانه ممانا.

ويقضي أبو القاسم الشتاء بتونز، وفي شهر رمضان سنة ١٣٥٢هـ (أواخر كانون الأول سنة ١٩٣٣م وأوائل
كانون الثاني سنة ١٩٣٤م) يعاوده المرض بصفة ألى وأشد من ذي قبل، فيلازم الفراش مدة، ويمر الشتاء
وبرده ويأتي ربيع جديد فيذهب أبو القاسم الى الحامّة طالبا الراحة والشفاء من داءه المجهول، وفي
أثناء ذلك يظهر بصفة غير واضحة بمدينة طبرق. فيتحدث الى الزعيم السياسي صفر ويكتب
قصيدته المشهورة :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . . فلا بد أن يستجيب القدر

ثم هو ينحدر من تونز الى تونس يوم (٢٦/٨/١٩٣٤م) وينزل أولا ببعض فنادق العاصمة ثم يستقر في
سبتير بضاحية الأريانة. أقول يستقر وفي الحقيقة نجده في نفس تلك المصائب مكرّرا
بحمّام الأنف مع الميدين مازيمع والسكنوسي.

ويعمر شهر سبتمبر وتتابع الأيام والناس يتساءلون عن علته : أداه السل أم مرض القلب ؟ ونحن كما ذكرنا سابقا — لنحقق بصفة واضحة علمية علّة أبي القاسم وظروف وفاته — أن نذهب الى المستشفى الذي ذكر لنا أنه مات به ، وأن نفتش عن ملفه ان كان له ملف .

وقصدنا المستشفى ويسمى مستشفى الحبيب ثامر فانا نصير بالاطيالية * كان المستشفى في ذلك العهد يسمى مستشفى الظليان * يخص الشابي وهذا تعريبه .
* أبو القاسم الشابي تحت عدد ٢٥٦٧ .

المصر : ٢٦ سنة * ذلك أنه يحسب حسابا هجريا من ١٣٢٧ هـ الى ١٣٥٣ هـ
الدين : الاسلام .
الحالة : متزوج .
السكن : الاربانة .

تاريخ دخول المستشفى : ٣ من أكتوبر * تشرين الأول * سنة ١٩٣٤ م .
الفحص الطبي : مرض القلب .

تاريخ الوفاة : ٩ من أكتوبر * تشرين الأول * سنة ١٩٣٤ م . (١) .
ويضيف أبو القاسم محمد كرو في كتابه آثار الشابي وصداءه : في الشرق ، أن وفاة الشابي كانت يوم الاثنين بتاريخ ٩/١٠/١٩٣٤ م ، وكان بجواره لحظة وفاته شقيقه ، وقيل لم يكن معه أحد . وفي التالي نقل جثثانه الى مسقط رأسه حيث دفن ببلدة الشابية حيث رأى النور أول مرة .

وفي عام ١٩٤٦ م تبرع الأدباء التونسيون ببناء ضريح له ، واحاطته بسياج ، وقيد على ذلك " روضة الشابي " وكتبت لوحة من رخام على قبرة عليها تاريخ الميلاد والوفاة وبميتان من الشمر ، وجعلت لوحة أخرى في يمين باب الروضة . وقد احتفل الأبناء التونسيون بتدشين روضة الشابي ، فأقاموا حول قبره مهرجانا أديبيا كان الأول من نوعه . (٢) .

هذا ويتفق عمر فروخ مع أبو القاسم كرو في التاريخ المحدد ليوم وفاة الشابي ودفنه كما يتفق معه أيضا أن الشابي كان مريضا في القلب كما ثبت له من أطباء الشابي التونسيين والفرنسيين . (٣) .

ومن هنا نلاحظ أنه ثبت باليقين أن الشابي كان مريضا بالقلب وليس بالسل كما ذكر بعض الباحثين .

-
- (١) الشابي حياته وشعره — أبو القاسم محمد كرو .
 - (٢) آثار الشابي وصداءه في الشرق — أبو القاسم محمد كرو .
 - (٣) الشابي — شاعر الحب والحياة — عمر فروخ .

زواج الشاذلي :

كان والد الشاذلي قد رغب إليه في أن يتزوج ، فلم يجد أبو القاسم الشاذلي للتوفيق بين رغبة والده وبين مقتضيات حالته الصحية ، بدأ من أن يستشير طبيبها في ذلك ، وذهب الشاذلي برفقة صديقه زين العابدين السنوسي لا استشارة الدكتور محمود الماطري وهو من نطس الأطباء في تونس ، ولكن لم يكن قد مضى عليه في ممارسة الطب يومذاك سوى عامين ، وبسط الدكتور الماطري للشاذلي حالة مرضه وحقيقة ذلك العرض ، كما ذكر له أيضا أن هنالك حالات كثيرة سبغت آراء كبار الأطباء في مرض القلب .

فغير أن الدكتور الماطري حذر الشاذلي على كل حال من عواقب الاجتهاد الفكري والبدني وبناء على أمر الدكتور الماطري واثالا لرغبة والده عزم الشاذلي على الزواج ، وعقد قرانه ولكن يبدو أن حياته الزوجية لم تبدأ قبل عام ١٩٣٠ م .

والده :

كان رب البيت الذي ولد فيه الشاذلي الشيخ محمد بن بلقاسم الشاذلي ، ولقد ولد محمد الشاذلي عام ١٢٩٦ هـ " ١٨٧٩ م " وفي عام ١٣١٩ هـ " ١٩٠١ م " ذهب الى مصر وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ليتلقى العلم في الجامع الأزهر ، ثم انه التحق بعد عودته من الأزهر ، بجامع الزيتونة ، حيث درس عامين ونال في نهايتها اجازة التطويع وهي شهادة نهاية الدروس في الزيتونة ، وذلك في عام ١٣٢٨ هـ " ١٩١٠ م " ويبدو أن الشيخ محمد الشاذلي كان قد تزوج على أثر رجوعه من مصر ثم رزق ابنه البكر أبا القاسم الشاذلي قبل أن ينال شهادة التطويع .

قضى الشيخ محمد الشاذلي حياته المسلكية في القضاة بالآفاق ، ففي عام ١٣٢٨ هـ " ١٩١٠ م " عين قاضيا في سليانة ثم في قفصة في العام التالي ، ثم في قابس " ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م " ثم في جبال ناله " ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م " ثم في مجاز الباب " ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م " ثم في رأس الجبل " ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م " . ثم انه نقل الى بلدة زغوان عام " ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م " . ومن الراجح أن يكون الشيخ محمد الشاذلي قد حمل معه أسرته ، وفيها بكرة أبو القاسم ، وهو يتنقل بين هذه البلدان . ويبدو أن الشاذلي الكبير قد بقى في زغوان الى صفر من عام ١٣٤٨ هـ " أواخر تموز - يوليو ١٩٢٩ م " ، حينما مرض مرضه الأخير ورغب في الرجوع الى توزر ، ولم يمض شهر الشيخ محمد الشاذلي طويلا بعد رجوعه الى توزر ، فقد توفي في الثامن من أيلول سبتمبر عام ١٩٢٩ م الموافق الثالث من ربيع الثاني عام ١٣٤٨ هـ .

كان الشيخ محمد الشاذلي رجلا صالحا " يقضى يومه بين المحكمة والمسجد وفي المنزل حيث يهبط أهله ، فنشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي ، في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه . وكان رحمه الله صادق التقى نقي العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم ، وكانت له غيرة على شئون المسلمين والاسلام ، تتفعل بما كان يجري آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

كانت أسرة الشابي على شئ من اليسار من ثروة موروثة ومن راتبه كقاضى ، على أن هذا اليسار يوصف على ثلاث مراتب أكثرها اعتدالا قول محمد الحليوى (١) :
 " المعروف أن أسرة الشابي كانت أسرة ميسورة المعيش ، وكان لها بعض الفلآت فى الجريد وبعض الأراضى بجهة مجاز الباب على ما أعتقد " .

أما السيد محمد الفاضل بن عاشور فانه يتوسع فى الكلام عن هذا اليسار فيقول : (٢)
 " عاشر ، أبو القاسم الشابي فى بيئة عائلية مطمئنة محافظة نضم عليها لا تعرف البؤس ولا الحرمان " .

أما زين العابدين السنوسى فقال :

" ترعرع الشابي فى كف والده ، أسعد الولدان طغولة وأرغد هم صبي ، تعد أمامه الكماليات وتبسط له أسباب السعادة من حيث لا يحتسب " .

والسنوسى هنا يناقش قولاً آخر له يصف فيه الحال التى كان عليها الشابي فى أيام دراسته فى الزيتونة اذا يقول :

" وفوق ذلك فانى أعرفه وهو طالب يسكن بيت مدرسته ، وهو لا يأكل الا البقول

الحبوب بينما رفاقه يكرعون وينهشون شهى الشواء " . (٣) .

وخلاصة الرأى أن الشابي عاش فى أسرة ميسورة الحال رغيدة المعيش ربما كان ذلك من الأسباب التى منعت من طلب المعيش فى وظائف الدولة .

بيئة الشابي :

لِلْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ جناحان يتراعى طرفاهما ، ولكن يشد بينهما أواصر من النسب واللغة والدين والتاريخ ، وما زال الوطن العربى منذ فجر الاسلام وحدة ثقافية تقوم على وحدة العقيدة واللغة العربية الفصحى ، أما اختلاف اللغات كثيرا أو قليلا ، والتقسيم السياسى وتباين الأحوال الاجتماعية الذى طرأ على العالم العربى فى غضون تاريخنا الطويل وما تخلله من المآسى والكوارث ، فانها لم تستطع أن تنال من وحدة العالم العربى المستمسكة بالحرية الوثقى : وحدة العقيدة ، ووحدة الدين .

والمغرب هو الجناح الأيسر من العالم العربى ، كان وما يزال أشد حرصا على هذه الوحدة ، من الناحية العملية من صِوهِ المشرق ، ومع دخول المغرب فى الاسلام عكست العربية الفصحى فى المغرب ، فزاد ذلك فى شد أواصر الوحدة بين أقطاره . وكان من نتائج ذلك رسوخ الاعتقاد بين الصفاة بأن البربر اخوان العرب هاجروا من مساكنهم من اليمن ، فى شبه جزيرة العرب كما هاجرت جميع الشعوب المنتشرة فى الوطن العربى من شبه جزيرة العرب نفسها .

(١) مجلة الفكر - ماى - ١٩٦٠ م - ص ١٩ .

(٢) الحركة الأدبية - ١٩٧٨ .

(٣) الشابي - شاعر الحب الحياة - عمر فروخ .

وأن التاريخ يعلمنا أن المفارقة لم ينسوا هذه الأواصر قط ، ولم يرغم حُب المشرق من قلوبهم ، فكانوا دائما يهفون الى المشرق ويتشبهون به في كل مظهر : في الأدب والثقافة والأحوال الاجتماعية ، فالخلال الحميمة التي ولدت في المشرق لا تزال راسخة الأصول في المغرب واضحة المعالم ظاهرة في كل بقعة . أما المشرق فقد مرت عليه أحياناً من الدهر نسي فيها المغرب وجهل أحواله وغفل عن حقيقة اللحمة بينهما وتعليل ذلك يبدو سهلاً : ان المغرب ظل أصفى نسباً وأبقى لغة وأقل خضوعاً حقيقياً للاستعمار ان المشرق ناء في النسب بأشاج من الفرس والروم والنبط والفرنجية والترك ، فانتشرت فيه شعبية جامحة في عدد من أنوار تاريخه . وكذلك اتسعت البعثات السياسية والدينية في المشرق ، ثم خلفت وراءها روا سبزعت المشرق كله بالأقليات الدينية والمذهبية وبالجماعات التي بدأت طوائف دينية ثم انقلبت الى وحدات اجتماعية مستقلة تشبه وحدة المشرق ، وتفرق جهود المشاركة في كثير من ميادين الحياة .

ومع أن المغرب قد خضع لمثل ما خضع له المشرق زماناً طويلاً ، فإنه عاد ، منذ أواخر القرن الرابع الهجري " ومطلع القرن الحادي عشر الميلادي " الى صفائه الأول : الى قطري مغربي مسلم لا يقال فيه بربري ولا يقال فيه عسري ، وزالت المذاهب من المغرب فلم يبق الا المذهب المالكي . على أن ثمت الى اليوم جماعة صغيرة من الاباضية الخوارج ونفسراً قليلين على المذهب الحنفي ، لا يغيرون شيئاً من صورة المغرب ، ولا نجد لهم رأياً يخالف رأى الجماعة في السياسة والحياة . وفي العصر الحديث زاد عدد الفرنجة في المغرب عن طريق الاستعمار الأوربي ، ولكن هؤلاء الفرنجة ظلوا الى اليوم غرباء عن المغرب لا يعدون في المفارقة : لا يحيون حياة المفارقة ولا يحيا المفارقة حياتهم الا نفراً قليلين استمالهم العالم الغربي يعيشون اليوم في المدن الساحلية ، ولكن عندما جاء الاستقلال قل عدد الفرنجة في القطر المغربي والقطر التونسي كثيراً ، وكذلك قل نفوذ المفارقة الذين تعودوا في أيام الاستعمار أن يحيوا حياة الغربيين ، في أعمالهم وبيوتهم وعواطفهم أحياناً .

والمغرب هو الزاوية الشمالية من قارة افريقيا ، وعلى هذا تبلغ مساحته ثلاثة ملايين ونصف مليون كيلومتر مربع . من أجل ذلك كان العرب اذا ذكروا هذا البسيط المتراعى قالوا : المغرب الأدنى علماً على ما يقرب منه من المشرق ، وقاعدته القيروان أو قالوا المغرب الأقصى علماً على ما بعد منه من المشرق . فالمغرب الأدنى : هو الجانب الشرقي من المغرب وهو ما يعرف بالقطر التونسي ، والمغرب الأقصى هو الجانب الغربي ويعرف بالقطر المغربي " المغرب " فقط . ومع ذلك ظلت هاتان التسميتان قاصرتين عن الدلالة الدقيقة فنشأ اسم المغرب الأوسط ، منذ زمن بعيد ليبدل على الجزء الذي لا يقد من المغرب الأدنى ولا في المغرب الأقصى ، وهو الذي نسميه اليوم القطر الجزائري أو " الجزائر " .

والشابي الذي ندرسه من المغرب الأدنى من القطر التونسي . وتبلغ مساحة الجمهورية التونسية مائة وعشرين ألف كيلو مترا مربعا تنقسم ثلاثة أقسام : قسما شماليا غربيا تنتهي فيه سلطة جبال الأطلس ، وهي السلسلة التي تخترق المغرب كله من أقصاه الى أدناه ، ولذلك كانت هذه المنطقة من القطر التونسي باردة مرتفعة تكثر فيها المصائف وكانت ذات مراعي كثيرة خصبة ثم قسما ساحليا على شاطئ من الخصب في شماله ، أما جنوبه فصحراوي ، ثم قسما جنوبيا داخليا يتألف من سهول عظيمة ومراعي واسعة ووحدات نخيل . وتقع جنوب هذه الواحات من النخيل صحراء افريقيا الكبرى . (١)

وفي هذا القسم الجنوبي من القطر التونسي الذي يدعى بلاد الجريد * بلاد النخيل بحيرة واسعة تدعى شط الجريد . وعلى الجانب الشمالي الغربي من هذه البحيرة تقع بلدة توزر . وتوزر بلدة قديمة مشهورة فيها نخيل كثير حولها أرياض واسعة وهي أكثر بلاد افريقيا تروا وشربها من ثلاثة أنهار ، ولا يعلم مثل أترنجها (٢) جلالا وحلاوة وعظما * ومن غواحي توزر الشابية (٣) ويبدو أنها كانت معروفة ومزدهرة فقد أنسجت للقرنين العاشر والحادي عشر للهجرة * السادس عشر والسابع عشر للميلاد * نفرا من رجال القلم ورجال السيف . وعلى مقربة من توزر شمالا ببلية اسمها الحامة أو الحمّة على الأصح والحمّة هي العين الحارة يستشفى بها الأعلاء والمرضى ، وفي بلاد العرب حمات كثيرة يهبط منها هنا حمّة توزر أو حاتم توزر ، وكذلك نجد الى غرب توزر ، على الشاطئ الغربي من بحيرة شط الجريد قرية اسمها تقبوس .

أما تاريخ تونس الحديث ، فهو مأساة من تلك المآسي التي ما زالت تحل بالمغرب والمسلمين منذ خروج العرب من الأندلس في مفتح العصور الحديثة . لما كان السلطان سليم الأول العثماني يفتح بلاد المشرق ، كانت الدولة الحفصية في تونس قد آلت الى الضعف ، ففكر العثمانيون بفتح المغرب وفرضوا عليه حمايتهم مدة من الزمن . وأخيرا استخلصوا الأتراك المغرب عام ٩٨١ هـ " ١٥٧٣ م " فزال الاستعمار الأسباني عن تونس ، وانقرضت الدولة الحفصية .

ولم يحكم الأتراك تونس حكما مباشرا بل كانوا يُنصبون عليها ولاء ، عرفوا في تاريخ تونس باسم الدايات ، وكان العمال الذين يتولون جمع الأموال يلقبون بالبايات . وفي عام ١٠٤١ هـ " نحو ١٦٣٠ م " استطاع مراد باي أن يستبد بشئون البلاد ، ثم كتب الى الباب العالي في الأستانة بطلب لقب باشا ، فاستطاع الحصول على هذا اللقب . ومنذ ذلك الحين أصبحت تونس تحت حكم البايات ، ثم ظلت تونس يتولاها باي بعد آخر حتى عام ١١١٧ هـ " ١٧٠٥ م " حينما استطاع حسين باي الأكبر بن علي أن يجعل ولاية تونس وراثية في عقبه . فنشأت الأسرة الحسينية التي ظل أفرادها يتماقبون على عرش تونس باسم " باي " أيها الى أن تبدلت تونس بالملكية حكما جمهوريا عام ١٢٥٦ م .

كان الحكم العثماني على تونس دائما اسميا ، وخصوصا بعد عام ١١١٧ هـ حينما أصبح الحكم وراثيا في الأسرة الحسينية ، على أن تونس ظلت دائما في ولائها للعثمانيين فساعدتهم

(١) الأترنج " بنم التاء والراء وسكون النون " أنواع الليون كالبرتقال والحمض .

(٢) يقول السنوسي " ص ١١ " : بلدة الشابة " كذا " حذو مدينة توزر . ولكنه يقول في أماكن الشابية ولا يبعد أن تكون الشابة هي الصيغة الأصلية .

(٣) راجع خلاصة تاريخ تونس ص ٦

باسطولها البحري في حربهم مع روسيا عام ١١٨٥ هـ " ١٧٧١ م " وفي القضاة على ثورة اليونان عام ١٢٣٧ هـ " ١٨٢١ م " كما اشتركت تونس بحربها مع نوارين الى جانب العثمانيين ضد اليونان عام ١٢٤٢ هـ " ١٨٢٧ م " وفي القرن طرد روسيا عام ١٢٧٠ - ١٢٧٢ هـ " ١٨٥٤ - ١٨٥٧ م " .

ووافق طمع فرنسا بشمال افريقيا اضطرابات مختلفة في شمال افريقيا ، فاستطاعت فرنسا أن تحتل الجزائر نهائيا عام ١٢٥٣ هـ " ١٨٣٧ م " وتونس عام ١٢٩٩ هـ " ١٨٨١ م " . والاستعمار شرٌّ كله وظلم ، ألا أن لكل نوع من الاستعمار خصائصه من الشر والظلم ، فالاستعمار الفرنسي يقوم على افقار البلاد التي يستعمرها وتركها متأخرة عن ركب الحضارة ثم هو يمالئ جميع الغرباء في البلاد التي يستعمرها ، ويقهر أهل البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . والاستعمار يكره الاسلام كرها شديدا ، ذلك لأن الاسلام دين يوحى بالحرية والكرامة ويأبى الخضوع ، ولذلك رأينا جميع المستعمرين مجتمعين على اضطهاد المسلمين في كل صقع نزله . أما سياسة فرنسا لشمال افريقيا فكان بالفا حد القوة ، ذلك لأن شمال افريقيا قريبة من فرنسا وترهد فرنسا أن تجعل من ممتلكاتها في ذلك الصقع مدى حيويا لها ، وجزء تابع لها سياسيا واداريا واقتصاديا .

أما الجو الذي عاش فيه الشامي وشهده فيمكن أن نسرد منه مايلي :

(١) كان مجلس الشورى الذي يشرف على توزيع ميزانية الدولة قاصرا على الفرنسيين ، ولم يشترك فيه التونسيون الا نحو عام ١٩٠٦ م .

(٢) حاول المجلس البلدى أن يجمع يده على مقبرة الزلاج الاسلامية " التي تشرف على تونس من الجهة الشمالية الغربية " ، ولما حاول التونسيون منع ذلك قابلهم الفرنسيون باطلاق النار ثم باعتقال عدد كبير منهم وحكموا على بعضهم بالاعدام .

(٣) اشترك في الحرب العالمية الأولى خمسة وستون ألفا من التونسيين في الجيوش الفرنسية قتل منهم اثنا عشر ألفا .

(٤) في عام ١٩٣٤ م عمت الضائقة المالية ، فتظاهر التونسيون وطلبوا بالاصلاحيات التي يمكن أن تنعش بلادهم فقابلهم رجال الأمن بالسلاح فجرح عدد كبير من المتظاهرين وقتل فريق آخر وقد أعلنت السلطات الفرنسية الأحكام العرفية في تونس وعطلت الصحف العربية ونسفت رؤساء حزب الدستور . ولكن المظاهرات لم تخف بل اشتد بعضها حتى تحول الى معارك دموية ، كما اتفق في مدينة بئر زرت في شهر كانون الثاني من عام ١٩٣٨ م .

(٥) سجلت أفضل الأراهمى الزراعية باسم البولة ثم وزعت على الفرنسيين المستوطنين في تونس وكانت الضرائب التي تجمع من الوطنيين يوزع معظمها على الفرنسيين لمساعدتهم على استثمار البلاد .

(٦) أى يشرف على الادارة التونسية نحو ثلاثين ألف موظف ثلاثة أرباعهم من الفرنسيين

(٧) أما نسبة الأطفال التونسيين الذين كانوا يذهبون الى المدارس فتبلغ نحو ١٢ ٪ مقابل ٨٧ ٪ من الأطفال الفرنسيين .

(٨) ظلت آمال التونسيين تملو وتتخفى وتتقلب بحسب الحكومات الفرنسية بباريس . وفى عام ١٩٣٨ م استعد حزب الدستور التونسى لصراع واسع النطاق مع السلطات الفرنسية كان من نتائجه أن زج بحوالى ألف مواطن وطنى فى السجن . ثم ان السلطة الفرنسية أعلنت حالة الحصار على تونس ، تلك الحالة التى استمرت مدة طويلة بعد ذلك . (١١) وفى العام التالى نشبت الحرب المالية الثانية ثم مرت بويلاتها على تونس . وأخيرا فقيض لتونس أن تخرج عن الاستعمار الفرنسى وتتبع باستقلالها . ولكن لا جدوى من استعراض شئ من مآسى الحرب المالية الثانية ولا من نعم الاستقلال ، لأن تلك المآسى وهذه النعم قد جاءت كلها بعد أن فارق أبو القاسم دنياه .

آثار الشايبى :

لقد ذكرت المصادر المختلفة آثار الشايبى ، فمنها ما اكتفى بالاشارة اليها كما فعلت . نعتات أحمد فؤاد فى كتابها شعب وشاعر ومن هذه المصادر ما أفاض فى بسطها وشرحها ، ولعل خير هذه المصادر هو كتاب أبو القاسم محمد كرو " آثار الشايبى وصداءه فى الشرق " والآثار التى ذكرها نوردها مرتبة كما يلى :

(١) أغاني الحياة :

ديوان شعر ، طبعة أولى ، مطبعة مصر ، القاهرة " ١٩٥٥ م " ١٩٦ ص ، قياس ٢٤ ر ٢ × ١٦ ر ٦ . قدم له شقيق الشاعر : الأستاذ محمد الأمين الشايبى . وقد تعرض الديولن لدراسة ونقد كثير ومن الذين نقدوه :

١ - البشير العريى فى :

١ - الشايبى فى أغاني الحياة : كتاب " ذكرى الشايبى وأحمد أمين " مطبعة الشال تونس ١٩٥٦ م ، وهو كتاب حوى عدة دراسات بقلم أدباء تونسيين أقيمت فى احتفال أقيم احتفاء بظهور الديوان . ص ٢٦ - ٣٠ .

٢ - مطالعات أغاني الحياة - الفكر ص ٤٤ ص ٦٤ " ١ - ٥٦ " .

ب - رضوان ابراهيم :

١ - أغاني الحياة : الحج . ص ١٠ ج ١ ص " ٢١ - ٢٥ " ١٣ - ١ - ١٩٥٦ " .

٢ - الخيال الشعرى عند العرب :

محاورة ألقاها الشاعر تحت اشراف النادى الأدبى التاسع لجمعية قداما خريجي المدرسة الصادقية بتونس ، وكان القاؤها فى قاعة الجمعية الخلدونية يوم ٣٠ شعبان ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م (٢) .

وقد طبع الكتاب فى نفس السنة ، مطبعة العرب - تونس ، بلا تاريخ ، ١٤١ ص حجم ١٣ × ١٨ ر ٧٥ . وقد أهدى الشايبى كتابه الى والده ، وقدم الكتاب ناشره السيد زين الدين العابدين السنوسى .

(١) الشايبى - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ عن القنية التونسية ، الخطاب الثالث

ص ٢ - ٤ .

(٢) هذا التاريخ ذكره كما يقول أبو القاسم محمد كرو - الأستاذ محمد صالح المهيدى فى مجلة =

أثار الكتاب ضجة كبيرة في تونس منذ ألقى بشكل محاضرة ، ثم بعد طبعة وانتشاره ، وقد ذهب معظم النقاد الى معارضة الشابي فيما ذهب اليه من أن الشعر المرمي لم يسم الي الآفاق التي ارتفع اليها الشعر الأوربي . وكانت أكثر الكتابات مشحونة بالزراية والتحامل والاستقصاء . ولمل خير ما كتب في هذا الموضوع هو ما نشته فيما يلي كما يقول " أبو القاسم محمد كرو " .

(١) محمد الحليمي :

حول كتاب الخيال الشعري عند العرب مقالان مطولتان في مجلة العالم الأدبي مجلد ١٩٣٠ . وقد أعاد الكاتب نشرهما مع كتابات أخرى عن الشابي في كتاب " مع الشابي " تونس ١٩٥٥ م سلسلة " كتاب البحث " (٢) ص ٦ - ٣٤ . ثم أعاد اذاعتها بشكل محاضرة ألقى في الذكرى الخمسين لميلاد الشابي ، الذي نظّمته دار الجمعيات الثقافية في تونس ١٩٥٦/١١ م .

(٢) مختار الوكيل :

الخيال الشعري عند العرب : أبوللو - م ١ ع ٧ ص ٨٣٣ " ١٩٣٣/٣ م " (٣) أبو القاسم الشابي رد على نقد أقال رد فيه الشابي على نقد الوكيل السابق : أبوللو م ١ ع ١٠ ص ١١٧٢ " ١٩٣٣/٦ م " . ونفس المقال نقلته جريدة الزيتونة ، عدد خاص بالشابي بتاريخ ١٩٥٤/١١/٢ م .

(٤) مصطفى خريف :

فكرته في الخيال الشعري عند العرب : الأسبوع عدد خاص بالشابي رقم ٣١١ - " .

١٩٥٢/١١/٢٤ م . ص ٩ .

(٥) محمد الصالح المهدي :

الخيال الشعري عند العرب : الندوة عدد خاص بالشابي س ١ ع ١٠ ص ١٧ " ١٠/٢٠ م ١٩٥٣ .

(٦) محمد الفاضل بن عاشور :

الحركة الأدبية والفكرية في تونس : منشورات جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٥٦ م ص

١٦٠ - ١٦١ .

(٧) مجلة الحديث :

٢٠٣/٤ (٢)

(٨) محيي الدين القليوبي :

(أ) النقد والتأليف عندنا - مجلة العالم الأدبي س ١ ع ١ " ١٩٣٠ م .

(ب) الخيال الشعري عند العرب - العالم الأدبي س ١ ع ٣ - ١٩٣٠ م .

(٩) تونس س ١ ع ٢ ص ٣٦ " ١٩٣٦/١٢ م " وهو مرجع عندنا . وقد ذكر شقيق الشاعر في تقديم المديح " أبو محاضرة عام ١٩٣٧ م وطبع المحاضرة عام ١٩٢٨ م وذكر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه الحركة الأدبية في تونس ص ١٦٠ أن المحاضرة أقيمت في نوفمبر ١٩٢٦ م (١) كانت وفاة والده يوم ١٩٢٨/٩/٨ م (٢) ذكر هذا المرجع الاستاذ داغر في مصادر الدراسة الأدبية .

٥ :- الزمان

س ١ ع ٧ بتاريخ (٣٠ / ٧ / ١٩٢٩ م) .

١٠ :- مجلة منيرفا : - ٧ م ص ٣٨٦ (أكتوبر / سنة ١٩٢٩ م)
مقالات ودراسات

=====

١ :- النفس التائهة : النهضة الأدبية بتاريخ (١٦ / ٢ / ١٩٢٧ م) .

٢ :- البقطة الاسلاسية الحاضرة : الزمان سنة ١٩٢٩ م .

٣ :- الشمر ما يجب أن يفهم منه وما هو مقياسها الصحيح : العالم الأدبي س ١ ع ٢ سنة ١٩٣٠ م .

٤ :- أيها القلب : العالم الأدبي س ١ ع ٧ سنة ١٩٣٠ م .

أغنية الألم :- العالم الأدبي س ١ ع ٧ سنة ١٩٣٠ م .

٦ :- صفحات دامية من حيلة الشاعر : العالم الأدبي س ٣ ع ٦ سنة ١٩٣٠ م (١) .

٧ :- روح ثائرة : العالم الأدبي س ٣ ع ٨ بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٣٢ م .

٨ :- بقطة الاحساس وأثرها في الجماعة : العالم الأدبي س ٣ ع ٦ بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٣٢ م .

٩ :- تعليق على مقال الشاعر في تونس : الزمان بتاريخ شهر ١٠ / ١٩٣٢ م .

١٠ :- الشعر والشاعر عندنا : العالم الأدبي س ٣ ع ٢٨ بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٣٢ م .

١١ :- رد على نقد : مقال رد فيه على نقد مختار الوكيل لكتابه (الخيال الشعري عند العرب)

أبولووم ١٠ ع ١١٧٢ بتاريخ شهر ٦ / ١٩٣٣ م .

الأدب العربي في العصر الحاضر : دراسة قام بها ديوان المنوع لأبي شادي : ط ١ القاهرة (١ / ١)

١٩٣٤ م .

١٣ :- لموصية الشمر : الزمان س ٦ ع ٢٤٤٤ بتاريخ ٤ / ٩ / ١٩٣٤ م .

١٤ :- الفنون والنفس العربية : الباحثة سلسلة أولى س ١ ع ١٤ ص ١٠ بتاريخ شهر ١ / ١٩٣٨ م .

رسائل الشابي

=====

كان الشابي يرسل عددا من أدباء وشعراء تونس والبلاد العربية : وقد ذكر أبو القاسم محمد كرو في

كتابه آثار الشابي وصداء ما يلي :

محمد الحليوي - تونس :

يحتفظ هذا الأديب بمجموعة من رسائل الشابي لا تقل عن خمسين رسالة - وقد نشر بعضها في المجلات

والصحف التونسية ، ولا أذكر ما لم ينشرها مجموعة في كتاب .

(١) :- المقالات ((٦٤٥٤)) ذكر الأستاذ الحليوي أنها مقتطفة من يوميات الشابي

نشرها في حياته وذكر غيره أن رقم ((٦)) فصل من كتاب له بهذا العنوان .

٢ :- محمد البشروشي - تونس

أديب جدير عاش مدة بعد الشابي وقد توفي سنة ١٩٤٥ م ، ولا يعلم أحد مصير رسائل الشابي إليه

٣ :- مصطفى خريف - تونس

شاعر تونسي جدير وأديب لا مع قبيل أن لديه مجموعة من رسائل الشابي غير أنه لم ينشر منها سوى رسالتين .

٤ :- محمد صالح المهدي - تونس

كاتب تونسي معاصر للشابي كان صديقا للشاعر وغير بعيد أن تكون له بعض رسائله الأدبية لأن الشابي يشير في رسائله لمصطفى خريف الى ما يدل على وجود مراسلات بينهما .

٥ :- أحمد زكي أبو شادي - مصر

شاعر وعالم مصري شهير ، كانت بينه وبين الشابي صلات أدبية وثيقة والى أبي شادي يمدى الفضل في انتشار وديوع شعر الشابي في الشرق ، وقد كان أبو شادي يحتفظ بمجموعة من رسائل الشابي إليه غير أنها ضاعت أثناء هجرته الى أمريكا عام ١٩٤٦ م .

٦ :- ابراهيم ناجي - مصر .

شاعر وطبيب مصري معروف ويقول أبو القاسم محمد كرو أن شقيق ابراهيم ناجي لم يمتد على شيء من آثار الشابي في مخلفات أخيه وكان الأستاذ محمد صالح المهدي قد أشار الى وجود مراسلات بين الشابي وناجي .

٧ :- الدكتور علي ناصر - حلب .

شاعر سوري ذكر المهدي أن الشابي كان يرسله .

٨ :- عبد العزيز عتيق - مصر .

شاعر مصري ذكر طه عبد الباقي سروز في كتابه أبو القاسم الشابي - شاعر الشباب والحرية . ص ٩٧ / أن الشابي وعتيق كانا يتبادلان الرسائل الأدبية .

رسائله المنشورة

=====

نشر بعض الأدباء التونسيين جملة من رسائل الشابي المهم وفيما يلي تفصيل ما نشره مع أماكن النشر .

١ :- محمد الحليوي :

١ : نتقا من رسائل الشابي إليه استدلل بها في دراسته المطولة عن أدب الشابي

في المجلد لم الأدبي ص ٤٤ ٢٤ ((٢٤ / ١٢ / ١٩٣٤ م)) وكتاب الحليوي -

الشابي ص ٦٤ - ١٠١ .

مع أماكن النشر ::

(١) محمد الحليوي :

١ - نتفا من رسائل الشابي اليه استدل بها في دراسته المطولة عن أدب الشابي
العالم الأدبي - س ٤ ع ٢ " ١٩٣٤/١٢/٢٤ م " وكتاب الحليوي - مع
الشابي ص ٦٤ - ١٠١ .

٢ - رسالة مؤرخة بتاريخ ٢/٥ صفر ١٣٤٨ هـ . الأفكار س ١ ع ١ " ١٩٣٦/١١ م "

٣ - نتفا من رسائل الشابي اليه استدل بها الحليوي في مقال نشرة عن الشابي
من خلال رسائله . الأفكار - ١ ع ١ ص ١٩ " ١٩٣٦/١١ م .

٤ - رسالة مؤرخة بتاريخ ٢١/ ذى الحجة عام ١٣٥١ هـ : الندوة س ١ - ١٠ .

" ١٠/ ١٩٥٣ م " عدد خاص بالشابي .

٥ - رسالة مؤرخة ٢٠ شوال ١٣٤٨ هـ : الزيتونة - عدد خاص بالشابي ٥٤/١١ .

٦ - رسالة مؤرخة بتاريخ ٨/١٢/١٩٣٣ م : الفكر س ٢ ع ١٦ ص ٥ " ١٩٥٦/١٠ " .

٧ - رسالة مؤرخة ١٩/١٢/١٩٣٣ م الفكر سنة ١٩٥٦ م .

٨ - رسالة مؤرخة ٢٦/١٠/١٣٥١ هـ : الفكر س ٤ ع ١ ص ٢١ " ١٩٥٨/١٠ م " .

(ب) مصطفى خريف :

١ - رسالة مؤرخة ٢٣/١٠/١٩٣٠ م : العالم الأدبي س ٤ ع ١٩ " ٢٠/٤/٣٦ " .

٢ - رسالة مؤرخة ٢٥/٥/١٣٥٢ هـ : الفكر س ٢ ع ١ ص ٢٦ " ١٩٥٦/١٠ م " .

يوميات الشابي :

مذكرات يومية ترك الشابي منها مجموعة ، منها تبدأ بيوم ١/١/١٩٣٠ م وتنتهي بيوم

١٢/٢/١٩٣٠ م . وفيها يتحدث الشاعر عن حياته اليومية وأثرها في تفكيره .

ويحكي هذه اليوميات تعد قطعاً أدبية جميلة بأسلوبها وخيالها الفني البديع ، والبعض

الآخر جاء عادياً جداً . وهي بلا شك وثيقة هامة جداً لدراسة وفهم حياة الشابي وأدبه

وخاصة تطورات النفس والأدبية والاجتماعية ، ويحتفظ بالنسخة الأصلية لهذه اليوميات صديق

الشابي الأستاذ إبراهيم بورقعه ، الذي نشر جانباً منها في مجلة مكارم الأخلاق ، التي

كانت تصدر بصفاقس ، وهذا تفصيل ما نشره فيها ، وما تم نشره في غيرها :

١ - مكارم الأخلاق :

يومية ٣/١/١٩٣٠ م - ع ٧ ص ٢٧١ " ١٥ ذى القعدة ١٣٥٥ هـ " .

يومية ٧/١/١٩٣٠ م - ع ١١ ص ٤٤١ " صفر ١٣٥٥ هـ " .

يومية ١٣/١/١٩٣٠ م - ع ٥٤ ص ١٨٧ " ١٥ شوال عام ١٣٥٥ هـ " .

يومية ١٨/١/١٩٣٠ م - ع ٢ ص ١٨ " ١٥ شعبان عام ١٣٥٥ هـ " .

٢ - الأسبوع :

يومية ١/١/١٩٣٠ م - ع ٣١١ بتاريخ ٢٤/١١/١٩٥٢ م

يومية ١٢/١/١٩٣٠ م - ع ٣١١ بتاريخ ٢٤/١١/١٩٥٢ م

٣ - الفهرست :

- يومية ١٩٣٠/١/٢٥ م - س ٦٤٥ ص ٣٠ " ١٩٦٠/٣ م
 يومية ١٩٣٠/١/٢٧ م - س ٦٤٥ ص ٣٠ " ١٩٦٠/٣ م
 يومية ١٩٣٠/٢/٥ م - س ٣٤٥ ص ٤٤ " ١٩٥٩/١٢ م
 يومية ١٩٣٠/٢/٦ م - س ٣٤٥ ص ٤٥ " ١٩٥٩/١٢ م
 يومية ١٩٣٠/٢/٢٣ م - س ٦٤٥ ص ٣٠ " ١٩٦٠/٣ م

٤ - الصهاح :

سلسلة من الفقرات المقتطفة من يوميات الشابي وضمنها محمد فريد غازي سلسلة من المقالات المنشورة تحت عنوان "أبو القاسم الشابي من خلال يومياته" . وهي تسع مقالات نشرت تباعا في كل أسبوع ابتداء من عدد ١٠/١٩٠ بتاريخ ١٥/١٠/١٩٥٥ إلى ٢١/١٠/١٩٥٥ م .

ملاحظات :

- ١ - الهجرة النبوية : محاضرة ألقاها الشاعر عام ١٣٥١ هـ في نادي الطلاب بتوزر بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية ، فقد نشرت تباعا في مجلة العالم ابتداء من عدد ٦ س ٢ بتاريخ ١٩٣٢/٦/١ م .
 ٢ - جميل بثينة : محاضرة بأسلوب قصصي أعدا ليلقى في النادي الأدبي عام ١٣٤٨ هـ ، ولكن المرض منعه من القاها .

٣ - شعراء المغرب الأقصى : في عام ١٩٢٩ م ظهر في مراكش كتاب "الأدب العربي في المغرب الأقصى" وقد تناول فيه مؤلفه الأستاذ محمد بن العباس القهاج طائفة من شعراء مراكش المعاصرين بالترجمة والتعريف والمختارات ، وكان الجزء الثاني خاصا بالشعراء الشبان وقد تناول الشابي هذا الجزء بالنقد والتحليل ، وأعد من ذلك دراسة ليلقى في النادي الأدبي تحت عنوان "الأدب المصري في المغرب الأقصى" وكان موعد القاها مساء يوم ١٣/١/١٩٣٠ م .

" ذهبت أنا والأخ زين المابدين السنوسي والأخ مصطفى خريف مساء اليوم الى النادي الأدبي لالقاء محاضرتي عن كتاب "الأدب العربي في المغرب الأقصى" الذي طلب مني النادي الأدبي أن أبسط لهم رأي فيه ، ولكننا لم نجد أحدا هناك . "

كتب أخرى :

- ١ - في المقبرة : رواية أو قصة على نمط قصص جبران بأسلوب فني عذب ، وخيال شعري فائق ، وقد وصفها من أطلع عليها فقال :
 " وله باع طويل في النشر الشعري ، قرأنا له فيه رواية حسنة بديعة " ناهيك أنها نوع من الاعترافات ، يقصر فيها على لسان بطلها حوادثه وتأثيراته النفسية ، وهو نوع عزيز حتى عند الأمم المختبرة في نفسها الروح الروائية (١) .
 ٢ - السكر : " مسرحية ذات فصلين من نوع الاعتراف ، وهي أصعب أنواع

(١) زين المابدين السنوسي - الأدب التونسي ص ٢٠٧ تونس عام ١٩٢٧ م .

التأليف كما هو معروف عند أدباء المسرح ، وأعرف هذه المسرحية عند أبي القاسم — وكان رحمه الله كثير الإعجاب بها قرأها علي مرارا ولعلها تكون باقية في آثاره . . . (١) .
تلك هي مخلفات الشابي الأدبية ولا شك من أن له آثارا غير معروفة ولكنها ما تزال مهتلة مقبورة عند أهله وأقاربه وأصدقائه ، ولم ينشر منها سوى ما ذكر مفصلا في الصفحة السابقة (٢) .

كفاح الشابي

على الرغم من أن كفاحه كان شاقا وأن عصره كان لا يفهمه ، ولا يقدره فإنه برغم ذلك كله كان شديد الإيمان برسالته ، وكانت عزيمته قوية .

ويتبين لنا مدى احتماله للشدائد من رسالة بعث بها الأستاذ الحليوي ردا على رسالة الأخير يشكو إليه فيها ظلم الحياة ومضاضتها قال فيها : " مالنا وشكوى الحياة ؟ " .

فمن تألم لسم ترحم مضاضته . . . ومن تجلّد لم تهزأ به القسم

فلنشارك الألم ولنصعد بأقدام ثابتة الى جبل الدنيا المقدسة ، جبل الفن والفكر والأحلام :

فالمجد في القسم الرفيعة مالى . . . جبل الحياة بضوءه الخلاب

ولنعرض بأبصارنا عن أشباح الموت والظلام في أعماق الوادي وفي شجاب الجبل ، فإن في الذروة العليا موسى الحياة الخالدة ، وفجر الحياة السرمدي .

ولقد انقسم كفاح الشابي قسمين :

١ : — تطبيق آرائه في شعره وفنه وأعماله .

٢ : — الكفاح في سبيل نشر هذا الشعر والدعوة الى التجديد في نشره وشعره .

أما تطبيق آرائه في شعره فخير ما يمثل ما كتبه أديب تونسى معاصر لعهد الشاعر وهو الأستاذ محمد النبال يقول : انه قرأ للشابي قصيدة في إحدى الصحف التونسية فسأل صاحب الصحيفة عن هذا الشاعر الناشئ ، فأجابه : " انه شاب من طلاب جامعة الزيتونة أقلقني بمقطوعاته المكسدة بمكثتي يرجو نشرها ولقد رأيت أن آخذ بخاطره فأنشر له هذه القصيدة " .

ولقد أعجب الأستاذ النبال بالقصيدة فكتب عنها يقرظها وينقدها فإذا به يفاجأ بأبي القاسم الشابي الشاعر يجيئه ليشكره ويعلن له أنه سرّ جدا باهتمامه به ، ووحده به عليه ،

وهذه القصة ثريتنا الى أي حد كافح الشابي في مبادئ حياته لنشر شعره ، بل لقد كان يحدث أكثر

من هذا فقد كان الكثيرون من أهل الصحافة لا يفهمون لغة الشابي ولا يدركونها ، ويحدثنا في ذلك الشابي نفسه ان أنه اجتمع مع اثنين من خلصاء أصحابه من أهل الصحافة فراح أحدهما يدير الحديث حول شعر فقال : " انه يجب على الشابي أن يخرج شعره من تلك الناحية الواحدة التي يصيثر فيها شعره يقصد الناحية الانسانية .

وقال الآخر : انه يزعم أنه لا يفهم من شعر الشابي ولغته شيئا .

وهنا يعلق الشابي على ذلك فيقول : " اليوم أدركت أنني وحيد في وسط قوم لا يفهمون لغة نفسي " ولكن ولكن هل كان نتيجة لأن الناس لا يفهمون لغة الشاعر أن ضاع شعر الشابي ومات في مهده ؟ كلا فلقد استطاع الشابي أن يخرج به بعزمته الصادقة من حيّز الاقليمية الضيق فينشره بمصر بمجلة أبولو ثم في بعض

المجلات اللبنانية وإذا بشعره قد حاز إعجاب النقاد في المشرق والمغرب وإذا بشعره قد تناقلته الصحف

(١) : — محمد بورقعة — مجلة الثريا — س ٧ — ٤١٤ — ع ٤ (١٩٥٠ / ٤) .

(٢) : — آثار الشابي وصداه في الشرق — أبو القاسم محمد كرو .

في مصر والشام والعراق وغيرها ، وانا شهرته قد طبقت الاقايق .

هكذا اذا كان موقف الشعب والفكرين من الشابي : عزلوه عن الحياة ، ووصوه بالاحاد والكفر ، وانا به غريب بين ابناء وطنه وعشيرته غريب بين قوم لا يفهمون لغة نفسه ، وها هو ذا يعبر عن ذلك فيقول :
 أنت كالزهرة الجميلة في الغاب ، لكن ما بين شوك ودود

وهو يرى في الدنيا والحياة نظرات جديدة ومنايع جديدة للحب والحياة ، غير أنه يرى للحياة فتنة وجمالا لا يدركهما البصر ولكنه عندما حدث للناس عن ذلك أعرضوا عنه ونفروا منه فاذنا به يصرخ :
 يا صميم الحياة كم أنا في الدنيا م غريباً شقي مطربة نفسي
 بين قوم لا يفهمون أنا شيد فؤادي ولا مــــــاني نفسي
 ثم اذا به يثوب الى نوح جديد من الأمل الى نوم جديد من الحياة المثالية في طلال حيث منابع الخير والجمال ومظاهر الحق والاطمئنان .

ولكن كفاح الشابي لم يشع وعما نحن أولا " نرى العوم ثورة الشابي ومبادئه وقد تحققت في كل مكان قسي تونس الحرة والأدب العربي وهكذا صدق الله العظيم : (فأما الزهد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

ولقد ثار الشابي على هذه الحياة الكئيبة وعلى الروح الجامدة وعلى الجهالة المتأصلة والجمود الآخر وندد بها فقال :

أنت يا كاهن الظلام حياةً ، تميد الموت أنت روح شقي
 كافر بالحياة والنور لا يصفسي الى الموت قلبه الحجرى
 أنت دنيا يظلمها أفق الماضي دليل الكآبة الأبدى
 والشقي الشقي في الأرض شبيب يومه ميت وما فيه حبيبي

وليس من شك أننا نستطيع أن ندرك أنه كان من جند الطليعة الأولى الذين شقوا أول الطريق وكان لهم فضل بناء حجر الأساس وبرغم ما تحملوا من عذاب وأحوال وشقاء كانوا مؤمنين برسالتهم المقدسة وقصد حملوا رايهم الى بر الأمان وجابهوا في سبيل ذلك القوا الاستمارة والرجعية الجامدة والأمة الظلمة والدينية التي تؤمن بالدين ككتب حنطة وأفكار رجعية .

ولقد حمل أبو القاسم الشابي الشاعر المجيد لواء الإصلاح الأدبي وتحرير الأدب العربي من قيود السوال وشارك في جميع الاصلاحات العامة والاجتماعية والاقتصادية وكان له شرفهنا الوعي الجديد في العالم العربي عامة وفي تونس خاصة .

ولقد بدأت رسالة الشابي كما آمن بها تظهر بوادرها في عالم الحقيقة والواقع بعد أن كانت منذ ربع قرن تقابل بالسخرية والاستهزاء ، وانها اليوم تقابل بالاحترام والتكريم وها هي تذي رسالته التي قدمها في الحرية للشباب التونسي تقابل بحب وإيمان وصدق تلك الرسالة التي قال فيها :

(أن تونس لفي حاجة الى أن تتقدم بخطوات ثابتة في سبيل النور والزهور ، أن تونس لفي حاجة الى أن ترفح رأسها عاليها حتى تشاهد أنوار السماء وشموسها وحتى تقبل شفتها أقواف النجوم) .

لقد أصبح الشابي اليوم في تونس خاصة وفي العالم العربي عامة صورة من صور الثورة السياسية والاجتماعية

والعقلية، وأصبح مظهراً قوياً من مظاهر الثورة النفسية وهما هي : رذی ثورة الشابي قد
أصبحت رمزاً من رموز الثورة والانطلاق، فلقد انتصر الشابي وهوميت، لأن شمره
خالد لا يموت :

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ

فلا بد أن يستجيبَ القـُـدُـرُ

ولا بد للشـُـبـل أن ينجـيـا

ولا بد للقـُـدُـر أن ينكسر .

=====

الباب الثاني

أعضاء على شخصية الشابي وأثرها في شعره

ما لا شك فيه أن الذي خلق شخصية الشابي المجدبة أربعة عوامل واضحة المعالم في حياته وفي أحواله النفسية ثم في اتجاهها هو الفكرى وفي شعره ، وهذه العوامل هي :

- ١ - مرضه : وعن مرضه نشأ تشاؤمه وشدة انفعاله حيناً بعد حين .
- ٢ - حاله المادية : وعن هذا نشأ غفط أعباء الحياة وتكاليفها عليه فحرره من كثير من الحرية التي كان يحب أن يتمتع بها .

- ٣ - مطالباته : وهي التي طبعت نفسه وشعره بمناصر من الخيال والانفلات والنفمة ثم أدخلت على شعره شيئاً من الجدة والطرافة .

- ٤ - جمال بلده تونس في البؤس الاجتماعي والتخلف الثقافي والضعف السياسي ما خلفه الاستعمار الفرنسي .

ولقد أعيدت الى هذه العوامل عبقرية أصيلة وشاعرية فياضة فاذا نحن أمام شخصية فذة ولكنها هائلة مضطربة عاجزة ولكنها طموحة متردة .

كان الشابي ضعيف البنية نحيف الجسم مديد القامة ثم زاده المرض أبان النون تحولاً وضعفاً وكذلك كان ذكياً حاد الذهن سريع الانفعال ، وكان فوق ذلك رضي الخلق بشوشاً قانعاً بما يصل اليه من عرش الحياة الدنيا متواضعا خجولاً كثير التسامح في معاملة أصدقائه وخصومه ، رقيق الطبع لطيف المعشر خافت الصوت عند التحديث قليل التكلف في حياته الخاصة والعامة ، وكانت تعلو وجهه مسحة من الكآبة والوجوم على الرغم من المرح الذي كان يحاول اصطناعه في جميع الأحوال والأحيان ، ويروى فروخ قصة عن الحلوى مفادها أن الأخير زار الشابي مرة برفقة مصطفى خريف ، فلقي منه ملاطفة وابتساماً على الرغم من أنه كان في ذلك الحين يمارع الموت ويغالب آلام النزاع ، فقال الحلوى معلقاً على ذلك : " وكان يحتضر ذلك الذي اقتبلنا هاشا باشا حتى جعلنا نُسَرُّ من حالته ونحسب شفاءه كأنه أمر محقق ، وما درينا أن الرجل يمارع الموت ويغالب آلام النزاع ، ليقوم بواجب ما طفتنا وابتناس وحشتنا " .

أولاً : - مرضه :

كان للمرض الذي عاناه أثر واضح في اتجاهه في الحياة العامة وفي الشعر ، وسنجد شعره ملوفاً بالتشاؤم وبالنقمة على الناس وعلى أحوالهم .

إن المرض يمنع صاحبه التمتع بمسررات الحياة ويمنعهُ تبين تلك المسرات ، ومع أنه قد يكون للشخص المريض نظرات متفرقة صائبة في الحياة ، فإنا لا نستطيع أن نقول أن نظراته هذه صورة للحياة لأنها صورة نفسه هو في معراج الحياة ، وكذلك كان شأن الشابي في هذا الأمر .

ثم واجب علينا أن نفرق بين الأشياء التي يقولها الرجل بعقله وبين الأشياء التي يقولها بقلبه ومع الاعتراف بأننا يقوله الرجل بقلبه يكون شعراً جميلاً ، فإنه ليس من الضروري أن يكون صحيحاً أو صواباً ، ونحن في دراسة الشابي إنما نتصفح شعراً ، من أجل ذلك سنمضي بعنصر

الجمال أكثر ما شعنى بعنصر الصواب .

كان الشايبى منذ أول عمره مريضاً ضعيف البنية ، ولكن علته لم تبرز واضحة ولا بدا اثرها فى تفكيره وشعره الأدبى فى السنوات الست الاخيره من حياته ، تلك السنوات التى كانت أيضاً ذروة انتاجه الادبى .

والعرض عامة ، ومرض الشايبى خاصة ، يغير نفسية المريض تبعاً لمقاييل الداء .

ان مرض الشايبى فى قلبه كان له تأثير سيئ على رثيته فاعقب ذلك اضطراباً فى التنفس أى حركة الرئتين ، واضطراب حركة الرئتين يؤدى الى اضطراب الدورة الدموية فيتمرض المريض حينئذ لانحطاط فى القوى وتمب مستمر حتى فى الاحايين التى لا يقوم بها فى مجهود ملموح . فاذا اضفنا الى ذلك أن الأطباء كانوا قد منعوا الشايبى من القيام بالأعمال التى تورث جهداً جسانياً أو عقلياً : منعوه الجرى والقفز والسباحة ورمى الكرة وتسلق الأشجار والتلال وكل ما يعمده الناشئون من ملامهم — وهو فى الحقيقة فى النشاط الطبيعى لكل انسان — أدركنا ما كان يدخل على نفس الشايبى من أثر ذلك . واقع كثيراً ما كان يستشعره الشايبى من القلق وما كان يدب فى نفسه من السامة والطلل والتشاؤم والنقمة مرده الى مرضه ولا شك فى ذلك . ولم تكن حال الشايبى ، فيما يبدو ، خافيه على المحيطين به ، ولا كانت عاقبة ذلك المرض فى الشايبى مجهولة . من أجل ذلك لا نستغرب أن ينفجر الشايبى ، اذا استرق همسات اصدقائه واعدائه على السواء بمثل قوله :

سامعش رغم الداء والأعداء . . . كالنسر فوق الصخرة الشام ! !

وربما خرجت نغمته عن حد الكلام المنظوم ، وتبدى أنفعاله ثورة من العنف . استشهد الدكتور محمد فريد غازى بقطعة من يوميات الشايبى تتصل بليلة من ليالى رمضان من سنة ١٣٤٨ هـ (الخميس بتاريخ ١٦/٢/١٩٣٠ م) هى :

..... ما شرعت أكتب ، وكلفت ابن عمى الصغير بأن يسخن سحورنا على البابور حتى اضطربت حركاته وتلعثم لسانه ، فلم يستطيع أن يبين . فقلت له :

ماذا ؟

— لم أجد البابور !

— انسيته خارج البيت ؟

— كلا ، أدخلته

— وكيف فقد اذن ؟ أسرقته الشياطين ؟ انك نسيت خارجاً ، يامجنون !

— كلا — بل أدخلته !

— لا تقل أدخلته ، يا كلب ! وهل سرقته الجنة ؟ ولو كنت صادقاً اذهب وابحث عنه خارجاً لملك تلقىه .

فخرج الصبى ، وقد أعمى النوم والخوف بصره ، فلم يجد ، فعاد والخيبة تفشى وجهه فسأله :

— هل وجدت ؟ فقال بانكسار

— كلا ، ولكنى أدخلته ، والله .

— اسكت ، يا كذاب !

وظل صامتا ، وظلمت أفكر . ثم اندفعت عليه ضربا وشتما فى ثورة من الغضب والعنف . ثم أفاق اخو الخطيبه فاعطيته حق من الشتم والتفريع . ثم سكت سكوت الفاضل بعد العاصفة وظلمت كذلك حينئذ

لا خلاف فى أن الشايبى كان متشائما كتيب النفس ، فقد قال هو عن نفسه : " اننى فى كثير من الأحيان تطفئ على نفسى كآبة اللال المهم فاصدف عن الكتب ويوصد قلبى عن جمال الوجود " .

وليس بمستغرب ان يشعر الشايبى ، بالإضافة الى هذا ، بجانب من مركب النقص فى نفسه ، فهو يقول عن نفسه أيضا " ان القدر هاته السنة — فيما أرى — لا يريد أن يسلك معى الا مسلك المعاكسه والعناد ، وكيف يكون ، يا صديقى ، حال من يعتمد القدر معاكسته ؟ " .

ويكثر الشايبى فى مثل هذا الكلام : " وما يطيف بهى فى هاته المعاكسات وسخرية القدر بهى " .

ويتبع محمد الحليمى تشاؤم صديقه ثم يحاول أن يجعل ذلك التشاؤم أدوارا فيقول : " كل من يتبع آثار أبى القاسم الشايبى ، عن قرب أو عن بعد ، يعرف أنه من الشعراء المتشائمين . وقد مر تشاؤمه فى ثلاثة أطوار :

أولا : طور التشاؤم القاسم :

وكان الشايبى فى هذا الطور ينحو نحو جبران وينكب على المظالعة " لزوميات المصرى " ولم يكن لتشاؤمه فى هذا الطور سبب غير هذا وهذا التشاؤم الذى لاسب مصروفا له شئ يشارك الشايبى فيه كثير من صغار الشعراء ومقلديهم ، ويختار الحليمى أبياتا من شعر الشايبى تمثل هذا الطور المتقدم من التشاؤم عنده منها (١)

لم أجد فى الحياة نفصا بديما يسببني سوى سكينه نفسى

ناولتني الحياة كأسا بهاقا بالأمانى فما تناولت كأسى ؟

ان فى روضة الحياة لا شوا كآ بها مزقت زنايق نفسى !

ثانيا : الطور الثانى :

أما تشاؤم الشايبى فى هذا الطور فكان تشاؤما مصحوبا بالتعميل ، كما يرى محمد الحليمى مع شئ من التساؤل القائم على الحيرة والقلق : مانحن ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ من أين جئنا ؟ وإلى أين نذهب ؟ الخ .

ثالثا : الطور التشاؤمى الثالث :

وأما فى هذا الطور ، فيتبدد شئ من غيوم الكآبة عن أعين الشايبى ، وتشرق فى ظلمات حياته

(١) ديوان ٤٦ — هذه الأبيات من قصيدة قالها الشايبى قبل المشهرين . " راجع

الأدب التونسى ، ١ — ٢١١ ، الشايبى ١٠٩ — ١٢٧ " .

فلت من الأمل .

ويميز الحليوى هذا التبدل الى اصطيف الشابى فى عين دراهم ، فى عام ١٩٣٢ م . لما بها من مناظر جميلة ، ثم لأثر شعر لامارتين فى عقله الباطن ، ومع أن تقسيم الحليوى يصلح أساسا لدراسة التشاؤم فى شعر الشابى فانه يحتاج الى دراسة أوفى مبنية على تاريخ قائد الشاعر ونسقه فى سلسلة واحدة من أحداث حياته . وأعتقد مع فروخ أن بروز التشاؤم فى شعر الشابى مرة واختفائه مرة ثانية راجعان الى الأزمات النفسية والصحية التى كان يمر بها الشابى ، كما تكون الحال عند جميع الناس . ودليل على ذلك مأخوذ من رسالة لمحمد حليوى الى الشابى مكتوبة فى بنى خلاد بتاريخ ١٣/١٢/١٩٣٣ م . قبل وفاة الشابى بأقل من عشرة أشهر ، يقول الحليوى فيها : " رجائى اليك أن تترك الأفكار السوداء " ، والاعتقاد بطلح بأن الدهر يعاكسك ، فكفاك ما أنت فيه من سوء الصحة وشواغل الحياة ومع ذلك لانتهزام عار على بنى الانسان ، والاستسلام ضعف واستخذاء ، فالشابى كما نرى لم يكن فى آخر عمره " أحسن تشاؤما " منه فى أول عمره ! .

وأنا مع فروخ بالأخذ برأى زين العابدين السنوسى من أن كآبة الشابى وأسائه تشاؤمه راجعة الى مرضه فى الدرجة الأولى ، وإلى ما أعقب هذا المرض من حرمان الشابى من التمتع بالحياة تمتعا عاديا مألوفا .

ومثل ذلك رأى الدكتور محمد غازى ، الذى يرى أن مرض الشابى لم يكن ذا تأثير على شخصيته فقط ، بل على شعره أيضا .

وقد ذهب البشير الزريبي الى أن الطبى غير متشائم ، وربما كان ذلك رأى قوم آخرين يمكن محمد صالح بن ابراهيم ينكر ذلك على الزريبي كما ينكره الشاذلى هو يحى على القوم الآخرين .

ولعل ضغط الحياة المادية أشد عليه تأثيرا من مرضه .

كان الشابى يحب أن يعيش طليقا من كل قيد مادي يشده الى حاجات الحياة اليومية لما كان يصبوا الى أن يعيش حرا من قيود المجتمع . غير أن موت والده ألقى على كتفيه أعباء دنية رغسته فى تكاليف الحياة فاصبح مضطرا الى أن يهمل " السعادة الروحية " التى كان حلم بها للقيام بما تتطلبه الحياة منه نحو أسرته . ولقد فرك ذلك فى نغمته على هذا النوع من الحياة ، ثم على الحياة نفسها . ويجهل ألا ننسى أن هذه الأعباء الجديدة قد سرته فعلا من الراحة التى كان عليه أن يتمتع بها فى سبيل إدارة مرضه ، لقد رأينا شيئا من شكواه ، فقد موت أبيه ، من أعباء الحياة . وفى مايلى أبيات تجمل رأيه فى الحياة التى فيها ، وفى الأمور التى تصرفه قسرا عن مثلها يقول : (١)

ليت لى أن أعيش فى هذه الدندنة . يا سميدا بوهدتى وانفرادى
أصرفوا العمر فى الجبال وفى الفا بات بين الصنوبر العيان
ليسلى من شواغل المعيش ما يصح رف نفسى عن أسماع فؤادى

وأنتى مع الهابل فى الفاء . . . به وأهفى الى خير الوادى
لا أعنى نفسى بأحزان شعبي . . . فهو حى يمشى عشرين الجماد
هذه عيشة تقدسها نفس . . . بي وأدعو لمجدها وأنادى
طالبة الشابي وثقافتهم
=====

كان الشابي واسع المطالعة ، غير أن مطالعته هذه لم تكن متصلة ، مما نرى فى ديوانه ، بالعلوم التى
نقاها فى الزيتونة ، أو بالفنون التى استمع الى محاضرتها فى كلية الحقوق ، ثم أن الشابي قد اقتصر فى مطالعته
على ما كان ينشر فى اللغة العربية أصلاً أو منقولاً فإنه لم يكن يعرف لغة أجنبية . ومع الايقان بأنه كان
قد تأثر بشئ من الأتية القديم الذى نلمسه فى عدد من قصائده التى نظمها على الأسلوب الجاهلى فى
طواره الأولى فى الأغلب ، فإن مطالعته الواسعة كانت فى الكتب الحديثة عن الأدب بالمعاصر خاصة ،
ففى ما ينطق عليه وصف تجديد على الأخص .

لا مشاحة فى أن الشابي طالع "أثار كبار الأدباء" : من العصر الجاهلى الى الحضارة الأموية ، فالعباسية
الأنلسية . " وهذا واضح فى شعره ، وخصوصاً فى طوره الأول ، اننا اذا قرأنا أبيات الشابي التالية لم
نخطئ فيها نفس شعر الحماسة فى الجاهلية معاني وأسلوباً .
فيا أيها الظالم المصمّر خده . . . رويدك ان الدهر يبنى ويهدم
سيتأ للجز المحطم تاجه . . . رجال اذا جاش الردى فهوهم
رجال يرون النل عارا وسببة . . . ولا يرهبون الموت والموت مقدم " (٢)
ولما بدأ الشابي نظم قصيدته - (الى الشعب " ٣ " وما بعدها) ، كانت قصيدة المتنبي (لا افتخار
لألمن لا يضام) نصب عينيه حتى قال :

أى عيش هذا وأى حياة (رب عيش أخف منه الحمام)

ضمن عجز بيت المتنبي (رب عيش أخف منه الحمام) عجزاً فى بيته هو . غير أن التليسي لما أورد قصيدة
الشابي شاهدها على شعر الطيبي فى الوطنية ، ولم يميز هذا المعجز سمها أو عمداً .

على أن المطالعات التى تركت فى نفس الشابي وعلى شعره أثراً عميقاً مطالعاته فى النتاج الأدبى الحديث
فى الأدب المهجرى منه خاصة ، فمن الترجمات العربية عن الفرنسية عرف الطيبي نتفا من الأدب اليونانى
الرومانى والأدبى الانجليزى والألمانى .

وكذلك وإلى الى نتاج الأدب الفرنسى من خلال الترجمات العربية أيضاً .

ويبدو أن الشابي قد تأثر برباعيات الخيام : تأثر بمد من آثارها ، كما شقت أمامه طريقاً لتتبع فى
لقافية وعند الأشطر إلا أن يكون قد تأثر فى ذلك بالموشحات الأنلسية .

هذا ويرى أبو القاسم محمد كرو " ٤ " : أن أثر الأدب المهجرى فى تفكير الطيبي وأدبه يكاد يفوق كل أثر
بل أثر كل أبا خرف قد أكثر الطيبي من قراءة الأدب المهجرى ومن الحفظ من نشره وشعره فى أيام طفولته
لغضة قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من العمر فإذا فى نفسه منه أثر لا يمحو .

(١) : الديوان ص ١١ . (٢) : الديوان ص ٤٢ .

(٣) : الديوان ص ١١٥ . (٤) : آثار الشابي وصداة أبو القاسم محمد كرو ص ٤٩ . وما بعدها

ويرى التليسي أن الإجماع يثبت على أن الشابي كان تلميذا للدرسة المهرجانية والطابع الذي تركته هذه المدرسة في أدب الشابي لا سبيل إلى إنكاره أو اغفاله .

هذا ويؤكد التليسي في كتابه (الشابي وجبران) أراد أن يوضح فيه الوهم الذي علق ببعض الأذهان فصور لها أن أثر جبران في الشابي لم يتعد حدود الصياغة وطريقة الأداء .

ويخرج التليسي إلى أن الدراسة الواعية لانتاج هذا الأدب بين تكشف مدى الأثر العميق الذي طبع به جبران الشابي . . . وتوضح أن الشابي كان تلميذا لا تابعا لجبران ، والتليسي يرد كل خاصة وكره الاعتدال وإيثار الألم الحافز الذي يدفع لأفراد والشموب إلى الحياة والنهوض حتى في قصديته (النبي المجهول) " ٢ " . و (إلى الشعب " ٣) كلها ترجع إلى أدب جبران وأثر ذلك الأدب في الشابي . وكذلك تقديس الحب والارتفاع بالمرأة عن الحدود المادية والتغزل بها بعيدا عن التدني إلى أعراض الجسدية ، والتعهد لأموثها أمور تأثر بها الشابي بجبران ، ويزيد التليسي ذلك شرحا فيقول : (لاشك في أن الشابي قد تأثر بنظرة جبران إلى المرأة وتأثيره سابق على كل تأثير وكل تأثر جاء بعده لم يكن له من وظيفة سوى تعميم أثر جبران) " ٤ " .

كما يضيف التليسي قائلا : أن الشابي تلقى ثورته على الكهانة والرجعية الفنية عن جبران ، ومثل ذلك تقديس الطموح ، والدعوة إلى الكفاح والثورة على المصير في ظلام قديم فأنها كلها مأخوذة عن جبران ويضيف قائلا أن الشابي كان يؤمن بالطموح إيمانا عميقا ، وكان يبحث في شمه عن صورة المفاور المقتحمون هنا كانت عناقته المشهورة :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . . فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي . . . ولا بد للقيد أن ينكسر

هذه القصيدة الخالقة التي تعلم الناس أن الطموح حمى الحياة ، وروح الفكر يجب أن تبحث عن العناصر التي كانت تغذي جذورها في أدب جبران ، وفي فكرتها العامة وتشبيهها .

ويقول المفروخ مملقا على رأي التليسي " ٦ " :

(فإذا فرغ التليسي من تحدى الشابي لجبران في أغراضه ، التفت إلى الخصائص الفنية

يقال : " أن تجهد الفن والسو به عن الأغراض التافهة ألقاه جبران في نفس الشابي ،

والصدق الشموخ والانفعال الحاد وبخلطة الأداء وقوة الإيحاء ، والأسلوب التصويري الذي ينتزع صوره من مشاهد الطبيعة ، مزاجها تفرد بها جبران في أدبها المماصر كما يقول التليسي انتقلت . إلى شمر الشابي ، بادمان الشابي مطالعة كتب جبران وعكوفه على تلك الكتب ،

صورا وتماير وأهياتا قائمة بنفسها " . حتى قصيدة النبي المجهول الشابي تتصل بأفكارها

(١) الشابي وجبران - ص ٤٩ - ٦٦ محمد خليفة التليسي .

(٢) الديوان ص ١٠٢ - ١٠٥ .

(٣) الديوان ص ١٧٥ - ١٧٨ .

(٤) الشابي وجبران ص ١٣٩ محمد خليفة التليسي .

(٥) الشابي وجبران ص ٥٦ - ٥٨ محمد خليفة التليسي .

(٦) الشابي شاعر الحب والحنان ص ٥٨ - عمر فروخ .

متردة واتجاهها الأدبي وطريقة الآداء فيها وبمعنى مقاطعها لأدب جبران .
ولقد استوحاها الشابي من كلمتين " أى قطعتين " لجبران بعنوان بين ليل وصباح ،
ليل الكافر ص ٩ .

وينسى التليسى أنه كان قد قال (٢) : " وليس يعيب الشابي أن يتلمذ فى بداية نشأته
سواه الآخرين ، وإنما يعيبه حقاً أن يظل عبداً للتقليد ، وتلك صفة ترفع عنها . فما كان الشابي
صر طريقه حتى استوى له فى الشعر مذهب قائم على شخصية مستقلة ، تمتاز بقوماته الخاصة
بمهبها المدروس ، وقد كان الشابي ثائراً على حصر الشعر فى الدائرة الضيقة التى كان يعيش
بها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء الأقطار العربية (٣) ، وكان متأثراً فى ذلك بالأدب
سهجري ، وينقذات ميخائيل نعيمة التى وجهته الى الاستفادة من أخطاء مدرسة شوقي وحافظ
لقد نسى التليسى ذلك فماد يقول (٤) : " ويقظة الاحساس ، ذلك المبدأ الذى قدسه
شابي وجعله كل شئ فى حياته ، ليس سوى فكرة جبرانية ان الشابي قد تأثر بالأدب
سهجري وتأثر بجبران بنوع خاص والباحثون فى حاجة الى أن يلتفتوا الى أدب جبران أكثر
من أى أديب آخر ، وهم فى غنى عن التخطيط والتعسف والتمويل على الظن والتخمين :
سلوب الشابي النثرى متأثر بجبران ، وأسلوبه الشعرى متأثر بجبران ، وأفكاره متأثرة بجبران . .
لمشابهة بينه وبين جبران أعظم من أن توحىها المصادفة ، أو وقوع الحافر على الحافر ولكنها
مشابهة التى تنتجها التلمذة : تلمذة المكوف على دراسة جبران وأدبه مرة أخرى
قول : أنه اذا اريد فهم الشابي والمدارس الأدبية التى أثرت فيه وعملت فى أدبه ، فانه يجب
ن نلتفت الى جبران بصفة خاصة " .

ولكن القريب من الصواب ، أن نميل الى قول الشاذلى بويحيى فى مجلة الفكر (٥) :
" لقد عرف الشابي شعر جبران وشعر المهجر كله ، وأولع به ، كما أولع به جيلسه ،
لا شك فى أنه أعجب به ، ولمعله أراد (الحدو) حدوه ونسج مثله . لكن عبقرية الشابي وقوة
شخصيته فى شعره ساطعتان لا تتركان المجال للباحث أن يقف عند التأثير الجبرانى ، وألا
يدوه كمجرد مرحلة - وهى مجرد مرحلة الى ميدانه الذاتى حيث الشابي هو الشابي ، لا
جبران ولا لامتريين " .

أثر الأدب المهجرى بالشابي :

=====

ومع العلم بأن الشابي قرأ كثيراً من دواوين الشعراء العرب كما هو واضح من شعره ، فانه
ن معجبا بشعراء المهجر أمثال جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وإيليا أبو ماضي ،

(١) الشابي وجبران ص ٦٠ محمد خليفة التليسى .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) يقصد بالشعراء الذين يحافظون على عود الشعر العربى فى مقابل الشعراء الذين يقلدون
الأدب الغربى .

(٤) الشابي وجبران ص ٦٤ - ٦٦ محمد خليفة التليسى .

(٥) الفكر ديسمبر ١٩٥٩ م - ص ٥٠ .

ليس من المستغرب أبدا أن يكون الشابي أشعر من الذين قلدهم فان أبا القاسم محمد كرو
جمل في كتابه الشابي (١) الى أن الشابي كان أشعر من جبران حيث يقول :

" غير أن الشابي كان أعق من جبران ، وأصدق تصويرا ... وهو يمتاز " من
أدباء المهجر " بدقة بالغة في تعبيره ، وبراعة فائقة في تصويره " .

ولعل الذي ذكره أبو القاسم محمد كرو ، ينطبق على أدباء المهجر الشمالي في الولايات
المتحدة أمثال " جبران ، ونعمة ، وأبو ماضي " ، أكثر من انطباقه على أدباء المهجر
الجنوبي أمثال " الشاعر القروي رشيد سليم الخوري " فالشابي شاعرا خيرا من جبران بلاريب
لعله في قصائده المختارة يتقدم أيضا على أبي ماضي ، هذا مع العلم أننا نوازن هنا بين
شاعر ما وافت سنه على النضج وبين شعراء استنفذوا نضجهم كله في أشعارهم .

تأثر الشابي بحال بلده تونس وما فيه من تمس وفقر :

لم يكن بإمكان الشابي الا أن يتأثر بحال تونس في التمس والفقر والظلم ، ويرى فسوخ
ن الشابي أنصف بلده في شعره فلم يكتف بأن يصفه وصف ناقم أو راحم فقط ، بل كان يحدث
ومه على الرقي وينبهم بالنتائج التي يمكن أن يصلوا اليها اذا استيقظوا ونهضوا . غير
نه أيضا كان في بعض شعره السياسي متشائما نافضا كذا يديه من امكان الاصلاح أو
لنهوض . ويرى أيضا أن كثير من آراءه في هذه الباب ، كانت تقليدا للشعراء الذين طرخوا
مثل هذه الموضوعات .

واذا قبلنا ما قاله " أبو القاسم محمد كرو " من أن الشابي قرأ كثيرا للمصري وابن الفارض
ابن الرومي والخيام وجبران وسائر أدباء المهجر ، فاننا لا نعدو الحق معه في أن
رد كثيرا من هذه النغمة الى هذه المطالعات وحدها ، واختلف الدارسون في موقفهم من
الشابي ، من الناحية القومية الوطنية :

فأبو القاسم محمد كرو يجعله : " من المكافحين الأبطال ، بل نموذجا رفيعا منهم وصورة
شابة شاملة لحياة الشعب التونسي في هذه المرحلة القلقة التي بهرته - أي الشابي - فيها
حياة الجديدة ، فملأت قلبه بالأسواق والرفقات ، وأيقظت في نفسه عوامل الطموح الوثاب
لكفاح العنيف " . (٢) ولم تكن آلام الشابي وجراحه في رأى كرو :

" الا آلام الشعب التونسي كله ، وجراح أمته بأسرها ومنذ اللحظة الأولى التي
حسن الشابي فيها بالآلام شعبه ، اندفع الى الصفوف الأولى مناغلا لخير بلاده وتقدمها ، ومكافحا
سبيل تحريرها واستعادة مجدها " .

ويشارك محسن بن حميدة كرو رأيه إذ يقول عن الشابي :

(١) الشابي - أبو القاسم محمد كرو ص ٢٦ - ٤٧ - ٥٠ - ٥٨ - ٧٠ - ٧٧ .

(٢) الشابي - أبو القاسم محمد كرو ص ٢٢ - ٤٣ .

بشارك مجسن بن حميده كرو رأييه انه يقول عن الشابي انه (الشاعر الذي كان يعيش مأساة شعبه كلها يحاول ان يبحث في شعبه روح الثورة على الموت والايان الصادق بانتصار الحياة بل حواول من عاشر أساتة الخاصة في مأساة شعبيه ولم يحاول أن أحداها عن الاخرى ، ولهذا لم يكن التلميح او الاشارة الى مأساة الخلاصة الا مجرد وسيلة للتعبير عن المأساة الطامة) .

اما الشاذلي بويحي فانه يقتصد في قصرا هذا الموقف السياسي للشابي فيقول عنه انه (شاعر تونسي من فتره من حياتها هي تلك الفتره التي عاشها ، فكان صوت تونس في أنينها وندائها وفقرها فهو داعرها بلا منازع) . ولقد شهد الشابي ، في أثنا حياته القصيره كما يقول الصائق طربخ فتره من تاريخ شعب التونسي كانت المشكله الجوعريه في اثناها قضية بقاء هذا الشعب أو انقراضه : (أمة بأسرها منت (تتوقع كارثة الفناء وتشاهد بعينها معاول الأباد تهتد هيكلها ، فكان الشابي ذلك الرائد الذي نال بالانيمات الانساني القوي ، وانطلقت من خلال أهازيجها الملهمة أنشودة الحياة الطافرة متغلبه على فنون المسرف وقبور الأسر والارهاق ، فصر عن ذلك الوعي الغامض النافق ، وتمثلت في شعره أمنا وهي في مفترق الطرق ومهب العاصفة متأهبة لخوض المعركة الحاسمة) .

أما فروخ فله رأي آخر يقول فيه :

على أن مراجعة الديوان وكّر النظر في رسائله ويومياته التي رأت النور وأمكن الاطلاع عليها لايران تلك الحطة في رفع الشابي الى مقام المصلح الاجتماعي والحكيم والمناضل السياسي الجري .

بدعم رأييه بقوله : كان يوم الاثنين في (٢٧ / ١ / ١٩٣٠ م) نوعا لمعاصرة يلقيها الشابي في النادي الأدبي في تونس فلم يحضرا حد ، وكانت أبواب النادي نفسها مغلقة ، وسعى الشابي بذلك فكتب يومياته :

(... لقد أصحت يائسا من المشاريع التونسية ناقما على التونسيين تؤمل فيهم الآمال كمار وتمتقد أنك تخاطب روحا متجسدة في فكرة تلتهم ، حتى انا جاء دور العمل تمزقت تلك المراقع وخمدت النزوات وتنظر الى الشباب التونسي فلا تلقى إلا حماسا وعزما ومشاريع .

مكن شئ أنك حين تعوذا الى العمل لا تجد إلا عزائم خابية وشبابا هرما يفتك في سبات الأحلام للذينة " ١) . (وفي عام ١٩٣٠ م . نفسه نشر الشابي قصيدته النبي المجهول " ٢) التي يقول بها :

أيها الشعب لمتني كنت خطانا يا فاهقي على الجدوع بفأسني
أنت روح غبية تكره النور روتقني اللاهور في ليل تلمسني
انني ذاهب الي الغاب يا شعب بي لأقضي الحياة وحدي بيأس
ثم أنساك ما استطعت فما أنسا ت بأهل لخمرتي ولكأسني

وفي هذه الفترة ذاتها ، وبعد وفاة والده في الأغلب ، نظم الشابي قصيدته (أحلام شعاع)
التي فيها :

ليت لي أن أعيش في هذه الدرد يا سميدا بوحدتي وانفرادي
لا أعني نفسي بأحلام شعاعي فهو حي يعيش عيش الجماد

وفي عام ١٩٣٢ م ، أجرت مجلة ((العالم الأدبي)) استفتاء لاختيار ثلاثة شعراء مقدمين في تونس

(١) : الفكر مارس عام ١٩٦٠ م . ٤٠ : (٢) : نشرت في مجلة العالم الأدبي (مع الشابي ص ١٢٠) .
(٣) : الديوان ص ١٠٢ - ١٣٣) . (٤) : الديوان ص ١١٤ .

أن الفائزين في هذا ثلاثة من غير الشبان فثار الشعراء الشبان على هذا الاستفتاء وعلى شعراء الثلاثة ، وأدلى الشابي دلوه في الدلاء ، وكتب مقالا عنيفا - وكان يومذاك مصطفى عین دراهم مستشفيا - ونشره في تشرين الأول " أكتوبر " من عام ١٩٣٢ م (١) قال شابي في مقاله :

(لقد أجزنا لهذا الرأي العام المأفون أن يتحكم في مصير السياسة والقوانين ، لأن هذين سا في الحقيقة الا مظاهر لتلك الحماقات الجليظة الخالدة والنزاعات المجنونة الطائشة والعيول غريبة المتحولة التي تحويها فكرة الشعب في ألقاقها ، أما الفنون فهي أجل من ذلك وأقدس لنا حكنا فيها أيضا فكرة الشعب فذلك دليل على أننا أمة ضعيفة التمييز مريضة الادراك مشمور . واذا انحط الفن الى خدمة الشعب ، وأصبح أداة بصرفها كيف يشاء ، فقد انقلبنا صياننا سادجا لا قدسية فيه ولا جلال) (٢) .

وقبل أن يموت الشابي بأقل من عشرة أشهر ، كتب رسالة الى صديقه محمد الحليوي " توزر شابية ١٩/١٢/١٩٣٣ م " قال فيها :

" أما ده فيني ، فاذا أردت أن تكون مخلصا للحق والفن والتاريخ ، فاكتب عنه كما يراه الله . أي ينقم هو " أي ده فيني " عليه ويجدف به - لا كما تريد هاته الجشرات الآدمية التي لنا في تونس بأن نحسب حسابها في كل شيء ، بدل أن ندوسها بأقداسنا . أكتب عنه كما هو غير متبع ارتعاشاته الطائفة الغبية المصماء ان الفنان اذا أصغى الناس وما يقولون ، وطار في هاته الدنيا بأقداسهم ورأها بأبصارهم ، وأصغى اليها بأذانهم فقد بالغن وخان رسالة الحياة " (٣) .

فلاغروا ان ، اذا لقي الشابي سناوة في بيئته ، ومقاومة من أجل تطرفه ، ثم هاجمته الصحافة ، لأن " الماطقة قد أفسدت عليه حياته ، كما أفسدت كثيرا من أحكامه حين أوهمته ليس من طينة الناس " (٤) .

ومع الايقان بأن الشابي كان يريد الخير لبلاده ، ورفعة شعبه ، كما كان يبحث مواطنيه للتطلع الى الحياة ، والنهوض بالوطن ، ويشدد من عزائمهم لاستئناس الكفاح كلما تهبطت بهم ، وفتت في أعضادهم المصائب والنكبات وأدلتهم الأفق ، كما نرى في كثير من شعره وفي نشره ، فاننا نختار أن نذهب مع مذهب الدكتور محمد فريد غازي في تحليل ذلك كله . يرى الدكتور غازي أن لمرض الشابي تأثيرات متنوعة متعددة انعكست على نفسية الشابي وأدبه . حتى أن عددا من قصائده كانت ملاح صادقة لمرضه ، كما كان الطبيب نفسه أيضا أن مرضه لعب دورا هاما جدا في نبوغه وإنتاجه الشعري .

(١) نشر في مجلة الزمان " مع الشابي ص ١٢٦ " والمقال مثبت في كتاب الحليوي " مع الشابي ص ٤٦ - ٥٩ " وقد ذكرت في آخره عين دراهم بجانب اسم الشابي . ص ٥٩ .

(٢) مع الشابي ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) الفرد ده فيني كاتب وشاعر فرنسي " ١٧٩٧ - ١٨٩٣ م " .

(٤) الشابي وجبران - محمد خليفه التليسي .

وما دامت الحياة تتكيف تكيفا مستمرا لانفعالات الانسان الباطنية ، التي تجبره عليها
 لفعالات الخارجية ، فان الشايبى قد حاول - وهو مريض - أن يغالب هذه التيارات المعادية
 راه يرى نفسه متجسدا فى بطل ، بفضل عملية لا شعورية كثيرا ما نراها عند الشمر
 بى لا أذهب " عمر فروخ " الى أن قصيدة ارادة الحياة نفسها ستلزم " تقتضى " تفسيراً
 مق ما نذهب اليه فى كل مرة .

لا ريب فى أننا نرى فيها تصويرا للشعب ، ولكنى أرى أن الشايبى قد صور وراء هذه الكلمات
 جبارة ، مطامحه واندفاعاته كرجل مريض (١) .

ان الشايبى فى قصيدة ارادة الحياة ، يتجسم فى شعب بأسره ، ويرى ذاته المريضة تطابق
 ت الشعب المريض ، ولكنهما كليهما متدفع نحو الحياة : نحو الوجود الأخصب .
 والدكتور غازى برجوا أن يقوم طبيب تونس بدراسة أوفى لمرض الشايبى وبحث أعمق .
 انا نحن تأملنا بيئة الشايبى العامة فى تونس ، ثم بيئته الخاصة ، فهو ابن قاض شرعى وخريج
 جامعة الزيتونية ، عجبنا لأمحاء الأثر الاسلامى فى ديوانه ، ثم نزيد تعجبنا اذا رأينا الأثر
 وثنى شديد المروز فى شعره .

ان أول ما نلاحظه أن الألفاظ الدينية قد خسرت فى شعر الشايبى قدسيتها ودلالاتها المألوفة
 له والنبي ، والصلاة والجحيم ، أصبحت عند النظمى كلمات عامة كسائر الألفاظ القاموسية الدائرة
 الاستعمال اليومي . من ذلك قوله : لتمس الورى شاه الآله وجودهم ، صانكن الآله من
 لمة الروح ، وتشدو كما شاه وحى الآله ، فالنور ظل الآله * .
 ومثل ذلك قوله : (٢)

أهبها الليل يا أبا البوسروالهو . . . ل وياهيكل الزمان الرهيب
 فيك تجثو عرائس الأمل المند . . . ب تصلى بصوتها المحبوب

وأكثر ما يقف الشايبى ألفاظ الدين ورهبة العبادة والمعبود على المرأة فى سياق وثنى (٣)

فى فؤادى الرحيب . . . معبد للجسمال

شيدته الحمىاه . . . بالرؤى والخممال

فتلوت الصلاة . . . فى خشوع الظلال

وحرقت المخسور . . . وأضأت الشموع .

وأشد ايفالا فى التحلل من الوجدانية الاسلامية ما نجده فى قصيدته " صلوات فى هيكل
 حب " (٤) قال يخاطب محبوبته ويقسمها مقام الألوهية فى القدس والعبادة ، والقدرة والارادة

(١) الفكر - ديسمبر ١٩٥٩ م - ص ٣٤ .

(٢) الديوان ص ٢٥ .

(٣) الديوان ص ١٦٠ .

(٤) الديوان ص ١٢٢ - ١٢٣ .

أنت قدسى وممبدى وصباحى . . . وربى ونشوتى وخلودى
 يا ابنه النور ، اننى أنا وحدى . . . من رأى فيك روعة المعبود (١)
 فدعنى أعيش فى ظلك الغنى . . . ب وفى قرب حنك المشهود
 وارحمينى فقد تهدمت فى كسو . . . ن من اليأس والظلام مشيد
 وحرام عليك أن تسحقى آ . . . مال نفسى تصبولميش رغيد
 فالآله العظيم لا يرجم المبي . . . د اذا كان فى جلال السجود

على أن الشايبى ما استطاع أن ينفلت من الدين مرة واحدة ؛ انه ظل يصوم رمضان على الرغم
 مرضه . وكذلك ترك الموت فى قلب الشايبى رهبة لم تستطع مظاهر الطبيعة أن تلفته عنها
 ستيقن جلال الله فهو يقول : (٢)

ان من أضفى الى صوت المنون وصدى الأحداث
 ليس تستهويه ألحان الظهور ،
 بين أزهار الربيع الساخرة ،
 وابتسامات الحياة الساخرة ،

عن جلال الله !

ان الشايبى قد استبقى من التراث الدينى قضية القضاء والقدر وحدهما ، وهذا أمر بين
 سبب ، منى الشايبى يرمى لا يرجى منه شفاء ، فلم يستطع الثورة على حاله الطبيعية المرضية
 ثار على حاله النفسية والاجتماعية . انه كان يظن أن كل شئ فى العالم يمكن أن يتبدل
 ا شاءت الإرادة الفردية أو الشعبية أو تبدله ، ولكنه لما اصطدم بحقائق الحياة الطبيعية
 صف فى قيود المرض ، أدرك أن " هذه الإرادة " عاجزة عن تبديل ما قد جرى به الزمن الأول
 ناد يطمئن نفسه بصحة القدر . ان فى الآيات التالية اذعاناً للقضاء والقدر ، ورضا بما جرى
 القلم الأزلى (٣) .

مالى تمذهنى الحياء . . . كأننى خلق غريب !
 واذا سألت : لم الوجو . . . د وكله هم مسذيب ؟
 قالت : نواهس السما . . . قننت ومالك من هروب !

واذا كان الشايبى يحاول أن يتمرد على نتائج القضاء والقدر ، فانه مقتنع بأن هذه النتائج
 دها الى أمر أقره القدر نفسه ان هو يقول فى احدى قصائده (٤) .
 سأعيش رغم الداء والأعداء . . . كالنسر فوق القمة الشماء
 وأقول للقدر الذى لا ينثنى . . . عن حرب آمالى بكل بلاء

(١) النور أخذ الالهين فى الديانة المانوية " النور والظلمة " .

(٢) الديوان ص ٨٣ .

(٣) الديوان ص ١٧٩ .

(٤) الديوان ص ٢٦ - ٢٧ .

وبعد هذا الكفاح الظاهر يعود فيستسلم للقدر ، إذ لا يجد بدا من الاستسلام مادام
ل شئ يجري هذا المجرى المكتوب .

والقضاء والقدر لا يكونان عند الشابي في الخير أبدا ، بل في الشر دائما إذ يقول (١)

لا تحاول أن تنكر الشجوة ، انى . . . قد خبرت الحياة خبر أديب

كن كما شاءت السماء كتيبا . . . أى شئ يسر نفس الأديب ؟

انما الناس في الحياة طيور . . . قد رماها القضاة رهييب ؟

يحصف الهول في جوانبه السو . . . د فيقضى على طوى المندليب

ان استسلام الشابي للقضاء ولقد رء لم يطالع الشابي على سرهما ، ولا حل له لغز الحياة

ل القاء في الحيرة والشك ودل في اليأس ، فتراه يقول : (٢)

أرى هيكلا الأيام يطلو مشيدا . . . ولا بد أن يأتي على رأسه الهدم

فيصبح ما قد شيّد الله للـ . . . خرابا كأن الكل في أمسه وهم

لتعس الورى شاء الآله وجودهم . . . فكان لهم جهل وكان لهم فهم

ولما أفاق الشابي من النوبة الشديدة التي انتابته عام ١٩٣٠ م ، نظم قصيدته " الى الله " (٣) فسطح

بها شطحة هي الالمام قال :

خبروني حل للورى — من اله . . . راحم — مثل زعمهم — أواه !

انني لم أجده في هذه الدنيا . . . فهل خلف أفقها من اله ؟

ويدرك الشابي المنزلق الخطر الذي وربع قدمه عليه قبل أن يرتد نفسه عن البيت الثاني ، فيقول

عده مباشرة : (٤) :

ما الذي قد أتيت ، يا قلبي البيا . . . كي ، وماذا قد قلته يا شفا هي ؟

يا الهي قد أنطق الهم قلبى . . . بالذى كان ، فاغفر ، يا الهي !

واذا كان عمر فروخ قد رأى أن الشابي يتخلل من الدين في بعض الأحيان وأفقد الألفاظ الدينية

دينتها ، ولم يظهر أثر لتدينه في شعره كما مر من قبل ، فاننا نجد باحثا آخر ، بل باحثا تذهب مذهبا ؟

غائرا لعروخ ، إذ لا ترى الدكتور — نعمات أحمد فؤاد — في كتابها شعب وشاعر أثرا لعدم التقيد بالدين

في شعر الشابي وخاصة في قصيدته التي يقول فيها : (٥) .

أنت قدسى ، ومعبدى ، وصباحى . . . وربى ، ونشوتى ، ولىلى

يا أئمة النور ، انسى أنا وحدى . . . من رأى فيك روعة المعبود

وحرام عليك أن تسحقى آلى . . . ل نفسى ، تصبو لميشر ، رغيد

فالآله العظيم لا يرحم المبد . . . إذا كان في جلال السـ جود

(١) : الديوان ص ٨٣ .

(٢) : الديوان ص ١٦٤ — (٣) الديوان ص ٩٨ — ١٠١ .

(٤) : يعمر فروخ — الشابي شاعر الحب والحياة .

(٥) : الديوان ص ١٢٢ — ١٢٣ .

فهي ترى أن الشابي يرى في الجمال مظهر قدرة الله ويرى في الجمال روعة المعبود ، وترى أن لا
 دقة ولا تحلل في البيت الأول ، أنت قدسي — معبدى — بل واضح من الرفيف الشعري أنه تمديد
 لعبادة حقيقية دينية وأما في البيت الأخير فإن المرشد للهنا فيه تعظيم ، فهو يتوسل بالمعظم المتعالي
 أن يجعل منه مثالا يرجو الحبيب أن يتطلع اليه ويتأثر به .

وتضيف قائلة بأن العمر أغلى وأضيق معاً من تبديده في تصيد حرفية لفظ هنا وهناك — — وحرام
 في شرعة الدين وفي شرعة الوطنية وفي شرعة القومية العربية العامة ، أن نشوه أصوات المقاومة في نواحي
 لوطن العربي ، بأحداث لفظ قصاراه أن يشوش ، ولكن هيئات أن يحول دون نفاذها إلى القلوب وإلى
 لتاريخ ، تاريخ المقاومة الشعبية في إفريقيا .

فماذا على الشابي ، حتى يكون موقفه فيما يتعلق بالدين فيما يتعلق في أشكاله المختلفة ، واضحاً
 لا يحتاج إلى تعليق إلا أنه قال :

ملئ الدهر بالخداع ، فكم قد ظلل الناس من امام وقسس
 والباحث لا ترى أن نقد الشعراء للإمام والقسس في البيت المذكور نقداً للإسلام والمسيحية
 بل أن الألف بيان المساواة كلها صفاً وخبر ومحبة ، ولكن معتيقها (وبعضهم على الأقل شيء)
 آخر وتفتقر أن فروخ عاد واعترف بأن الشابي وإن كان قد أدار ظهره للدين ، لم يكفر
 بالله ولم يكن زنديقاً ، بل ظل له شيء من الإيمان (بالمعظم المجهول) وإذا كان الشابي
 شديد الإيمان بالآيات الإلهية :

ان من اصفى الى صوت النون — وصى الاحداث .
 ليس تهويه الحان الطيور
 بين ازهار الربيع الساحره
 وابتسامات الحياة الساخره
 عن جلال الله .

فإننا نراه في المظنوعتين التاليتين قد تحلل من مدلول الالفاظ الدينية تحللاً تاماً ، ورفع
 المحبوه إلى مكان الألوهية ، أو انزل الله إلى درك المحبوب المادي ، فهو كفر أو تزندق على
 الأقل في رأى فروخ عندما قال الشابي :

فى فؤادى الرحيم — معبد للجمال
 شيدته الحياه بالسروى والخيال
 فطوت الصلاه فى خشوع الظلال
 وحرقت البخور واضأت الشموع

وهو أشد أمثالا في التحلل من ذلك في قصيدته المشهورة (صلوات فى هيكلى الحب)
 فهو يخاطب محبوبته ويقيمها مقام الموهبة في القدس والمعبادة ، وفي لقدرة والا رادة ، وفي الشفاعة
 والزلفى إذ يقول :

أنت أنشودة الأناشيد غنا لك اله الفناء رب القصيدة
 أنت قدسي ومعبدى وصباحي ورهيمي ونشوتي ، وخلو دى
 يا أمة النور انني أنا وحيدى من رأى فيك روعة المعبود

فدعيني أعيش في ظلك المزد . . . وفي قرب حسنك المعبود
 عيشة الناسك البتول يناجي الـ . . . وبغي نشوة الدهول الشديد
 وامنحيني السلام والفرج الرو . . . هي ، يا خنو فجرى المنشود
 وارحميني فند تهدمت في كـ . . . ن من اليأس والظلام . . . مشيد
 فحرام عليك أن تسحقني . . . مال نفس ، تصبولعيش ، رغيد
 منك ترجو سعادة لم تجدها . . . في حياة الورى وسحر الوجو د

فالله العظيم لا يزعج العبد . . . اذا كان في جلال السجود

فالباحث ترى أن الشاعر لم يخلع على حبيبته القدرة والارادة ، وشار الصفات الالهيه ، بل
 ن شعراء الغزل يرددون مثل هذا وأكثر منه ، وان لكل انسان قدرة بل قدرات وارادة ، ولو
 م يكن له قدرات وارادة فكيف يحاسب ؟ وترى أن لا تشبيه بين قدرة الحبيب كبشر وقدرة الله
 تعالى التي ندين لها بدون حدود . وتستشهد الباحثة على رأيها برسالة سأل فيها الحليمي
 الشابي رأييه في بيت قاله :

حامل كلاله قلبها كبيرا . . . فيه مافي الوجود لمن أكون

فجاءه جواب الشابي في هذه السطور : (١)

" ان الفنان يا صديقي ، لا ينبغي أن يضي لغير ذلك الصوت القوى العميق الداوي في أعماق
 ليه ، أما اذا أضي الى الناس وما يقولون ، وسار في هاته الدنيا بأقدامهم ، ورأها بأبصارهم
 أضي اليها بأنانهم ، فقد كفر بالفن ، وخان رسالة الحياة .

ولو شئت أن أسوق الأبيات التي لي ، على غرار بيتك هنا ، في التشبه بالاله والأكبه لأكثر ،
 خرج بي القلم عن غايته ، ولكك سترى ذلك في الديوان ان شاء الله : واني لأعق ايماننا بالله
 ن كل أحد حينما أعير بهاته التماهير الكافرة ، في نظر اولئك الناس ، فاللوهية وما تعرف منها
 في رمز للمثل العليا ، التي نصبوا اليها بأرواحنا ونشخر اليها بأبصارنا في هاته الحمية
 لذلك فاذا أردنا أن نمير عن معنى نحس له بجلال المثل الأهل وسيموه فاننا سبيلنا في
 لك أن نفرغ عليه رداء اللوهية التي هي أسمى ما تتصوره الانسانية من جمال المثل الأعلى وجلاله
 فكان فروخ لم يطلع على هذه الرسالة ، والتي توضح رأي الشابي في الألفاظ التي خرجت حرفية
 فظها عن معناها ، والا لما اتهم الشابي بالتحلل من الدين .

والحياة والموت كلاهما جنى على الشابي ، فلا الحياة مدت له من أسبابها ، ولا الموت تباطأ
 أسبله ، حتى يقضى وطرا أو لعلها أحسن اليه قلولا أن ألهبته الحياة بأشواقها
 وخوفته بأشواقها ، ولولا أن نازله الموت مرتين ظافرا من المعركتين بأبيه وحبيبه ، ثم ظل يطارد
 في الشصور والخيال لولا هذا كله فيما يبدو ، لما عزف نايه ، ويكى وتره ، وضم ديوانه
 هذه الأنغام التي نصير ، في جوها وصدائها الى يومنا هذا (٢)

(١) مجلة الفكر عدد ١ أكتوبر عام ١٩٥٦ م ص ١٠ - ١١ - ١٢ .

(٢) شعب وشاعر - د . نعمات أحمد فؤاد .

أثر مدرسة أبوللو على الشاهي :

قبل الحديث عن أثر مدرسة أبوللو على الشاهي لابد من لمحة موجزة عن مؤسس المدرسة واتجاهاته الأدبية .

أحمد زكي أبو شادي * ١٨٩٢ - ١٩٥٥ م *

أقفل عينيه في عام ١٩٥٥ م بعد أن فتح عينونا كثيرة كما يقول " مصطفى عبداللطيف السحرتي في كتابه شمراء مجددون " .
ذلكم هو الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، الذي خلف تراثا فنيا قيما ، وتراثا إنسانيا من الشرف والشجاعة والتضحية والآباء وانكار الذات .

هذا الفنان الموهوب ، والرجل الانساني الذي توحد الفن بحياته وشخصه ، فكان كلالا لا يتجزأ .

فلقد جرى الفن في دمه ولحمه وهو في ميعة الصبا ، ورف بهوانحه الاحساس الفسني في البكور ، وذلك راجع الى البيئة الأدبية النابضة التي تربى في حجرها ، فلقد تأثر بشاعرية أبيه الكلاسيكية وفضائله ، وتأثر بأسلوب أمه الماطفي وطبيعتها ، كما تأثر بأسلوب خاله مصطفى نجيب ووطنيته .

وارتوى الفنان الصغير من ندوات أبيه التي كان يعقدها أسبوعيا في قصره بالقبه ، والتي كان يؤسها كبار أدباء مصر ، وعلى رأسهم خليل مطران الذي تأثر أبو شادي بفننه والتجديد ، كما تأثر بمثاله الخلقى الكريم ، وفي ذلك يقول أبو شادي في ديوانه الأول ، " أنداء الفجر " الذي أخرجه في عام ١٩١٠ م .

أدبي يدين اليه . . . بل قلبي وغاية مطمعي

وقوام تفكيرى الجدي . . . د ووثتى وتدققسى

في هذا الديوان المبكر الذي أخرجه في سن السابعة عشرة ، يمثل لنا نبوغ الفنان الباكر ونلمس الحساسية الفنية ، تتألق من ومضات التجديد والطلاقة التعبيرية في بعض قصائده الغزلية والوطنية والوصفية ، فإذا تصفحنا قصيدته " باقة أنغام " التي يصف بها حبيبته الصغيرة وهي تتوقع على البهائم نراه يصف الألحان أوصافا غير مألوفة فيصف اللحن باللون المضيء ، ويصف لنا لحننا آخر بالمطر ، ويصف الألحان مجتمعة بهالة الزهور فهو يقول :

أصغى الى هذه الألحان زاهية . . . كأنها نخب الأزهار للمعين

فكل لحن له لون يضيء به . . . وجمعها باقة من زهورك الفنى

وكل لحن له عطر يفوح به . . . وان تخيله غيرى من الظن

وأنت كوني وكونى فى حقيقته . . . جم المعانى التى غابت عن الكون .

هذه الجرأة الأدبية والاتجاه الى المفارقات الوجدانية ، وهذا التركيز فى المعانى ، تكشف عن بذرة فنية أصيلة توشك أن تخرج الى النور فى ازدهار واثمار .

وقد زكت البذرة فى البيئة الصغيرة ، وارتوت من ثقافته المصرية والانجليزية المبكرة ، واتقنت من حب عذرى وليله ، وترعرعت فى جو من الحرية ، وتغذت من ممارسة الموسيقى والتصوير فى البكور

وكان تشوقه للقراءة والتزود من كتب الآداب المربى من العوامل التى دعته فنه وأدبه ، وتجلت آثارها فى كتبه النثرية ، " مسرح الأدب " " وأصدقاء الحياة " كانت جوهرها نفيسا فى صلب صنائعه الفنية ، فما خلا شعره من حقيقة علمية أو سيكولوجية أو واقعية .
ولا قوام لفن بدون علم وثقافة ، وحبه العذرى لأحدى قريباته ، كان أول حوافز شاعريته ثم سار ينبوعا ثرا من ينابيع غزله فى شبابه وكهولته وشيخوخته ، فهو فى النوعة يترنم بهذا الحب فى مثل قصيدته " عبادات " فيقول :

المعنى كلما ألقا . . . ك بالفرحة تدمع .

وتستمر فى الكهولة شعلة الحب فى قلبه فيقول :

ربع قرن مضى وهيهات تمضى . . . شعلة الحب عن وثوب وومض

لم أزل ذلك الفتى فى جنون . . . وفؤادى ينبض أى نبض

ذكريات الهوى وأشباحه النشـ . . . وى أماى فى كل صحو وغضى

فهو فى الشيخوخة تتدلح بقلبه الشعلة فى قصيدته " قلب لا يشيب " :

عذت قلبى يا حبيبى . . . من أن يكدّر بالمشيب

ذنبى لىك تلهفى . . . هل ذاك ذنب يا حبيبى

تجرى السنون ولم تذـ . . . طفلا تنزه عن مشيب

أما ميله الى التصوير ، فقد سرى الى قلبه فى النوعة ، وتجلّى فى شعره التصويرى الذى لا يجاريه فيه شاعر ، فلم يخلو ديوان من دواوينه من بضع صور لرسمامين عالمين أو مصريين عبر أبو شادى عن مشاهدنا وحلل معانيها ، وكشف عن أسرارها فى دقة وقوة ملاحظة منقطة النظير ، قد انتهى به هذا الميل ، الى التصوير بالريشة ، فرسم فى نيويورك لوحات زيتية رائعة ، وأقام معرضا للرحالة بنىويورك عام ١٩٥٢ م أعجب به الرسامون ، وأعجبوا بفنه التصويرى القوى الجريء وأشادوا بموضوعاته النوعة المذهب بين واقعية ومثالية ورمزية .

وقد وقمنا على بعض الصور مصفرة لهذه اللوحات ، ومن بين ما افتتتا به لوحة " القلب الكبير " :

وهى لوحة واقعية مثالية " تحمل رسالة " : . رسم الفنان قطاعا من حديقة حيوان فى الربيع

الأشجار فيها مزدهرة والسنباب الفرح يتناول بندقا من يد سيدة ، والسيدة مع طفلها فى سعادة

والطفلان يلهوان بمناطيد ملونة ، وفى خلفية اللوحة أسد حبس بين الشبان ، ملك الخابة بمانى

من الأسر ، والسنباب فى فرح ، والأطفال فى سعادة ، فيا لعجائب الدنيا وفارقاتها المؤسفة !

ولقد كان من حسن حظ الفنان أن يصير فى ربوع إنجلترا وفى حش ريفها الجميل عشر سنين ونيف

اكتملت فيها عناصوفته وازدهرت : توسعت آفاقه الفكرية وربت ثقافته ، وتنوعت تجاربه ، وعمقت تأملاته

وقويت ملاحظته ، ودرجت بدراساته الطبية وبخاصة أبحاثه المجهرية ، حتى أصبحت عينه أشبه بالمجهر

ترى المعجائب والدقائق فى الأشياء والأحداث وطبائع الناس .

ولما نال أجازته الطبية عام ١٩١٥ م وشهادتى شرف من جامعة لندن عام ١٩١٦ - ١٩١٧ م

ووجد العمل فى مهنة الطب مستمعا عليه فى إنجلترا تحول الى النحالة . وكان رائدا من روادها

فى إنجلترا ، وقد تعلم من النحالة جدها واتقانها وتماونها .

عاد أبو شادي الى مصر عام ١٦٢٢ م. لمرض والده الشظير ولأناه من الروماتزم المفصلي ، وعاد الفنان
لإنسان ليفتح عين بيئته التي خاط الأذى أجفانها ، يفتحها على نهضة ابتدائية سليمة مشرقة ،
ليشر بألوهة الجمال والاندماج في الطبيعة ، وحركة الفكر ، ومجاعة التقاليد الآفنة العفنة ، وعاد
يشدها بمفانيه الجديدة العريقة وتجديده الغنية ، التي لم يعرفها جيل من الأدهاء الكبار ، من هذه
تجديدات وصق الشيء المادي بالمعنوي ، ووسم المادي بسمة من سمات الإنسان كما جاء في قصيدته
لفنان " التي يخاطب فيها حبيبته في موسيقى أسرة ، وطلاقة بيانية يقول : (١)

أطلني يا حياة الســـــرو . . . ح في عيني تحميني
شراي منك أنـــــــسوا . . . وقوتي أن تناجيني
أطلني وانظري شففى . . . ترى معني عباداتي
عبادات خصصت بهــــا . . . وفي عيني مراآتي

عاد ينفخ البهجة بترجمة الهسات ، والخوالج النفسية بما لاعد لها به كمانجد ذلك في مثل
قصيدته " أحلام الظلام " التي يترجم فيها عن نفسه وعواطفه عند الوداع والتي يقول فيها : (٢)

وقفه كوقفه الدنيا إذا ما . . . أراح بها السلام إلى الحمام
وما هي غير لحظة مستمز . . . ولكن قلبه دام . . . ود ا م
ويجرى النور في لون عجيب . . . على وجنا تناجسرى المدام
فسكر في صحن اليأس سحتى . . . كأن اليأس من سكر الفوام
وأشرب حسرتي الكبرى دوا . . . وان كان الدوا من الفــــرام

ولم يقف أبو شادي عند التجديد الفني ، بل شده البيئة الجامدة بأرائه المتحررة الجريئة ، شدها
بشعره الغزلي الذي قد سرفيه جمال المرأة ، بل عد الجمال من عناصر الألوهية أو رموزها ، شدها بشعره
صوفي الذي اعتمد على العلم لا على التوحشات والتخييلات والشطحات ، فتمثل وحدة الوجود وحدة قائمة
على المعرفة ، شدها بشعر الميثولوجيا ، أو الأساطير التي اختفى به اختفا شديدا ، لا استقطار
بحكمة منها ، وشدها بشعره الملي ، الذي خصص له ديوانا أسماه " الكائن الثاني " (٣) ، ونشر منه
نرات في دواوينه الأخرى ، شدها بتفكيره الحر ، وقوله الحق ، وحتى كادت كلمة الحق لا تدلعه صديقا .
فبينما كان أدهاونا كبار الأسنان يتمسحون بأعتاب الملك فؤاد ويسبحون بحمده ، وجه اليه هذا
بوظاف المتحرر قصيدة في أحد أعياده ، يدعو فيه الى رعاية الشعب ، والنظر الى بؤس الفلاح ،
قد كتبها في شبه ارتجال ، وما جاء فيها قوله :

الشعب أن بما يعساني ريفه . . . وكأنه قفــــر بلا سكان
والعابثون الصائحون تنعموا . . . فكأن هذا الريف ليس بهاني
والزارعون المحسنون ترمغوا . . . في القرب كالمتوتى بلا أكهان

ختتمها بقوله :

فاقبل رجائي فهو أنبل غاية . . . عن كل مدح لا يثيب رجائي
واسمعه صوت الشعبين فم شاعر . . . يأبى رياء المادحين أبا

(١) : ديوان أطيان الربيع - الفنان ص ٣٢ . (٢) : ديوان فوق العباب ص ٨٥

(٣) : أخرجه في يناير سنة ١٩٣٥ م .

وهكذا ظل أبو شادي نصيرا للحقيقة ، بل مجنونا بحبها ، وظلّ وفيا لمبادئه الرفيعة لا يتخلى عنها فكم خاصم وخاصم أدباء لا تحرافهم عن الجادة ولكنه كان منصفاً أميناً عادلاً في وزن أدبهم ومناثمهم الفنية ، والتزاهة الفكرية أعلى سمات الفنان . وكتم حمل على زعماء كانت تربطه بهم أواصر أسرية قوية لا تحرافهم عن أهداف الشعب ، لأن المبدأ عنده أرفع من كل آصرة ومن كل قرابة ، وكتم ذا لقي الجحود والمقوق والذمر من أناس عاندهم أدبها ومالها ، ولكنه كان في النهاية يصفح عنهم وينسى أساءاتهم ، لأن الذي يعرف الكل يغفر للكل كما يقول المثل الغربي ، أو كما يقول في قصيدته "محال" (١) .

محال أن تحاول هدم حبي . . . وان لم ألق بين الناس حبا
منفتحت عن الخصوم وان أساءوا . . . وكادوا واعتبرت لكل صاحبها
لهم أسفروا واشفاقي وقلبي . . . وان لم يعرفوا أسفا وقلبا
ومهما خلقتي شكوباً سي . . . ذنوب الناس خلعت اليأس ذنبا
سيطوينا الزمان وكل ذنب . . . سيمحوه الزمان لمن تأبى

ومن هذا نشهد كيف اقترن فن الرجل بإنسانيته وكيف قويت ملاحظته ، وودق تحليله ، وتدعم أدبه بثقافته ، وكيف علا أدبه بأمانته ونزاهته الفكرية وكيف تقوت أصالته وحرية فكره وغرامه بالحقيقة ، وسمات الفنان الحقيقي :

الحاسة الفنية ، ودقة الملاحظة ، والحياد الفكري ، امتزجت بسمات الرجل : إنسانيته وتضحيته وصحته ، ورقته ، وثقافته ، فأصبح الفنان والرجل كاملاً لا يتجزأ . (٢) .
هذا هو أبو شادي مؤسس مدرسة أبوللو ورئيسها ، والذي كان له الفضيل الأكبر في نشر شعر الشابي .

صلة الشابي بأبوللو ورأى رئيسها ومؤسسها فيه :

=====

أبو القاسم الشابي الشاعر التونسي المشهور المشوف في (١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٤ م) هو أحد الشعراء الذين عنيت مجلة أبوللو قبل سواها بإبراز فنه ، ويقول أبو شادي من حديث له بصوت أميركا عن الشابي :

"إن ما نؤثره هو إنسانيات هذا الشاعر المحلق ، الذي لم تنفقه أحلامه عن النزول إلى ميدان المجتمع والسير في مواكب البشرية ، عازفا مشجماً ها ديا ويعجب أبو شادي بروائع الشاعر أعجابه كبيراً وليس هذا بعجيب من أبي شادي الذي يقدر المواهب الأدبية حق قدرها ، دون تأثر في حكمه عليها بهجيج أو عصبية أو جاه ، ولقد فسح أبو شادي صدر مجلته للشابي وهو حي فلما مات الشابي نشر عنه الكثير من الدراسات والبحوث (٣) ، ولأبي شادي قصيدة يرثيه بها فيقول فيها :

أبا القاسم الشابي ، أبا القاسم الشابي . . . مكانك في الأخرى مكانة أرياب

(١) أطراف الربيع ص ١٢٢ .

(٢) : شعراء مجردين - مصطفى عبد اللطيف السحري - ص ٥٥ .
(٣) : راجع مجلة أبوللو عدد ديسمبر سنة ١٩٢٤ م .

أبي الخالق الفنان جلّت فنونه . . . لمثلك إلا الخلد في دار أحباب
وما المبدع الفنان إلا أشمّة . . . من الله لم ترجع كرجمة غمّاب
سقتنا رحيق الفن صرفا وودعت . . . فأين مذاب النور يملا أكوابي
كان أغاني الكون قد غالها اليلرى . . . فطاحت كما طاحت أنا شيد ألباب
أست الذي ناجى الطبيعة كلها . . . وترجمها سحرا سريرا لأحباب
أست النى غنى الأنوثة كلما . . . يعبر عن أسى الصلاة بمحراب
أست الذي قد عاش فى الناس سلاخطا

وفي الفن مسرورا وجيدا بأوصاب

رحلت صديقي بعدما جئت موصيا

بشمرى فأرحل غير خاش وهيباب

أنا حارس الفن النى أنت ربه . . . وهيبات خذلاني مواهب وهاب
ويقول أبو شادى عن الشابي :

" أن لأبي القاسم رواشع كثيرة طفرت "جمعية أبوللو" ومجلتها التي عنيت قبل سواها بإبراز فنّه مد
ظفرت بالقسط الأوفر منها ، وأنه لتصب المفاضلة بين قصائد هذه ، فجميعها يتسم بالجمال الفني الأنيق
بك. مل عناصره . أنوثر قصيدته "صلوات في هيكل الحب" (١) التي يقول فيها :

عذبة أنت كالطفولة كالآحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضوكة ، كالليلة القراء ، كالوردة كابتسام الوليد
يالها من وداعة وجمال ، وشباب منعّم أطسو
يالها من طهارة تبث التقدير في مهجـة الشقي المنيد
أم نوثر قصيدته الفلسفية الواقعية " السعادة " التي يقول منها :

ترجو السعادة يا قلبي ولو وجدت . . . في الكون لم يشتمل حزن ولا ألم
ولا استحالت حياة الناس أجمعها . . . وزلزلت هاتما لا كوان والعظم
خذ الحياة كما جاءتك مبتسما . . . في كهها الفار أو في كهها المدم
وارقى على الورد والأشواك ستيدا . . . غنّت لك الطير أو غنّت لك المرجم —
أم نوثر قصيدته "الأشواك التائهة" (٣) وقد جمعت بين ألوان من اليأس واحتقار الوجود إذ يقول :

يا صميم الحياة كم أنا في النيا غريب ! أشقى بخرية نفسي
بين قوم لا يفهمون أنا شيد فؤادي ، ولا معاني يؤسسي
في وجود مكبل بقيود تائهة في ظلام شك ونحس
فاحتضني ، وضعتني لك بالماضي فهذا الوجود علة يأسسي

أم نوثر قصيدته الجنة الغائصة والتي يذكر فيها عهد الطفولة ، (٤) ويبرغم عرضا فنيا بديما بصورة
الفاتنة المنوعة ثم يختتمها بهذه الحارقة :

(١) مجلة أبوللو - المجلد الأول ، أبريل سنة ١٩٣٣ م ص ٨٤٨ .
(٢) مجلة أبوللو - المجلد الأول - أبريل سنة ١٩٣٣ م ص ٨٦٨ .
(٣) مجلة أبوللو - المجلد الأول - مايو سنة ١٩٣٣ م ص ١٠٢٤ .
(٤) مجلة أبوللو - المجلد الأول - مايو سنة ١٩٣٣ م ص ١٠١٢ .

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والظهور
أحيا كما تحيا البهائم والجدول والزهور
لا نحفل في الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور
واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور
متأرجح الاحساس، أحفل بالمعظم وبالحقير
ثم شي على قلبي الحياة، ويزحف القوم الكبير
هذا مصري، يا بني الدنيا، فما أشقى المصير

أم نوثر قصيدته ٢ لأبد الضفير" (١) ، المفعمة بالتأملات الفلسفية الوجدانية ، وبها يخاطب
دنيا قلبه :

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة .. . كأنها حين يبدو فجرها ارم
يا قلب كم فيك من كون قد اتقست .. . فيه الشؤس وعاشت فوقه الامم
يا قلب كم فيك من أفق تنمق .. . كواكب تتجلى ثم تنعدم
يا قلب كم فيك من قبر ، قد انطفأت .. . فيه الحياة ، وضجت تحته الرحم
يا قلب ! كم فيك من غاب ومن جيل .. . تدرى به الريح أم تسويه القم
يا قلب ! كم فيك من كهف فقد انبجست

منه الجدول تجري ما لهالجم
تمشي ، فتحمل غصنا مزهرا نضرا . . . أووردة لم تشوه حسنهما قد م
أونحلة جرهما التهار مندفع سا . . . الى البحار تغني فوقها الديم
أو طائرا سا حرايتا قد انفجرت . . . في مقلته جراح جنسة ود م
يا قلب ! إياك كون مد هـش عجب . . . ان تسأل الناس عن أفاقه يجهبوا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت . . . عنك النهى ، واكهرت حولك الظلم

أم تؤثر قصيدته المشككة الحائرة " في ظل وادي الموت " التي يتشوق في ختامها الى تجربة العدم :
ثم ماذا ؟ هذا أنا صرت في الدنيا بعيدا عن لهوها وغناها
في ظلام الفناء أرقق أيامي ، ولا أستطيع حتى بكائها
وزهور الحياة تهوى بصمت محزن مضجر على قدميها
جف سحر الحياة يا قلبي الباكي فهيا نجرب الموت هيا ؟

أم تؤثر قصيدته^٣ الحانه السكرى* (٢) - العذبة العبيقة التي يقول في خيلها :
أيها ! الدهر! أيها الزمن الجار . . الى غير وجهة وقرار !
أيها الكون أيها الفلك النوا . . . بالفجر بالدجى والنهار !

(١) : مجلة بولتو - المجلد الأول - يونيو سنة ١٩٣٣م ص ١١٤٦ .

(٢) : مجلة آبوللو - المجلد الثاني - يناير سنة ١٩٣٤م - ٣٩٠ .

أيها الموت أيها القدر الأعلى ! . . . قفوا حيث أنتم أو فسيروا
وبعونا هنا : تغنى لنا الأحلام والحب والوجود الكبير
وإذا ما أتممتوا فاحملونا ولهيب الفرام في شفتيننا
وزهور الحياة تعبق بالمطر، وبالسحر، والصبا في يديهننا !

أم تؤثر قصيدته الواقعية المريرة " الناس " (١) التي تشجى منها زفرته :
ما قد ساء المثل الأعلى وجملة . . . في أعين الناس لا أنه حلم
ولو مشى فيهموا حباً لحطه . . . قوم ، وقالوا بخبث أنه صنم
لا يعبد الناس إلا كل منعدم . . . متع ، ولمن حاباهموا العدم
حتى العبارة الأفنان حبهم . . . يلقى الشقاء ، وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينفون الحي بينهم . . . حتى أنا ما توارى عنهم نله موا
الويل للناس من أهوائهم أبدا . . . يمشي الزمان وريح الشر تحتدم !

أم تؤثر قصيدته الرائعة " من أغاني الرعاة " (٢) التي جاءت من وحي استشفائه "بعين دراهم"
في الشمال التونسي ، وكل بيت من أبياتها صورة شعرية . . . متألفة بجمال الطبيعة التي كانت تحتضنه
وترعاه في مرضه بين جهل وأودية وغابات ، وفيها يخاطب شياحه وخرافه بأعذب الألحان ؟
أم تؤثر قصيدته الشامخة "شيد الجبار" وهكذا غنى بروسيموس التي يرد فيها على حساده الشائنين
ويقول عن نفسه بعد مماته :

فأنا السعيد بأنني متحول . . . عن عالم الآثام والبغضا .

لا ذوب في فجر الجمال السرمدى

وأرتوى من منهل الأضواء !

قصيدته

أم تؤثر " التأملية العاطفية الرواية الغريبة " وأبيتها الحاملة بين العواصف وكلها آيات من
الركة والحساسنة والرومانطيقية الجميلة الساحرة . (٣)

أنا نؤثره هو انسانيات هذا الشاعر المحلق الذي لم تعقه أحلامه عن النزول الى ميدان
المجتمع ، والسير في موكب البشرية ، عازفا مشجعا هاديا مهيبا بالصاغرين ان يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . . فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل ان ينجلي . . . ولا بد للقيد أن ينكسر

إذا ما طمحت الى غاية . . . ركبت العنى ونسيت الحذر

ولم تتجنب وعور الشعاب . . . ولا تبعه الذهب المستعر

ومن لم يحب صعود الجبال . . . يمشي بهد الدهرين الحفر !

ولم تنزل قصائده الموجه الى الشعب ترانيم سماوية خالدة ، وان سكن جثمانه القبر ! ، ومنذ
نيف وأربعين سنة كان شاعر شاب مفجوع فى حبه ، يتسمع الى أنغام تختفى وتظهر على التناوب

(١) مجلة أبوللو — المجلد الثانى — فبراير عام ١٩٣٤ م ص ٤٨١ .

(٢) مجلة أبوللو — المجلد الثانى — مارس عام ١٩٣٤ م ص ٦٠٨ .

(٣) مجلة أبوللو — المجلد الثامى — فبراير عام ١٩٣٤ م ص ٤٨١ .

فى الظلام ، ثم عرف بعد ذلك انها موسيقى المرس لحبيته الهاجرة ، فنظم قصيدته المشهورة " عرس الماتم " التى تأثر بأسلوبها الأصيل شعراء كثيرون ، فى مقدمتهم الشاعر التونسى النابغة أبو القاسم الشابى ، وما كان ذلك الشاب الا الشاعر المصرى " المفترب الآن فى أمريكا " أحمد زكى أبو شادى .

وقد جاء فى مطلع تلك القصيدة المؤثرة والتى نشرها الأستاذ حسن صالح الجداوى فى ديوان " زينب " :

عذبة أنت ، فى الخفاء ، وفى الجهر ، وفى الهجر يا أغانى الظلام
بلفى الماشق الأمين على الممر شقاء لقلبه الهستهم
وارقنى أدمى ، فحسبى عزاء أن تُسرّ الحبيب من ايلامى
ويوف الجمال ، جنة قلبى ، ضاحكا من فؤادى المترامى

أما رأى الشابى فى صديقه الحميم أحمد زكى أبو شادى وفى شعره فيتلخص فى فيما جاء فى مقدمة ديوان الشابى " النبوع " الصادر عام ١٩٣٤ م . ، قال طيب الله ثراه بعد مقدمة عن " الأدب فى العصر الحاضر " وبعد مقارنة بين الأدبين القديم والحديث :

" ... أبو شادى كشاعر من شعراء هاته المدرسة الجديدة ، له مذهبه ، وأسلوبه ، وروحـه الخاصة الممتازة .

أما مذهبه الشعرى — فيما أرى ، فهو أن يحرص الشاعر كل الحرص عن التعبير عما يدوى فى أعماق نفسه من أصداء الحياة ، وما يخالجها من وحى هذا الوجود ، وعلى أن لا يضيع من ذلك شئ ما استطاع إليه سبيلا .

وأما أسلوبه فهو يمتاز بجمال الطبع والسهولة والبساطة الحرة الواضحة التى لا تحب التكلف ولا تسمى إليه ، وهو يرسله ارسالا لا يتأنق فيه ولا يتعمل ، ويحرص على ما يحرص عليه بعض الشعراء ، من ظهور آثارهم بظهر المترف الأنيق ، ولكنه يحرص كل الحرص على أن يكون صادقا دقيقا فى التعبير عن ذات نفسه ، ولو أدى به ذلك الى الضوضاء أحيانا .

وبعد أن رد على النقاد والمفرضين المتجنين قال الشابى :

" وأما الروح التى يمتاز بها شعر أبى شادى فهى روحانية عميقة ، صوفية بهيدة ، المدى واحساس مرهف مشبوب ، وخيال متثقل سريع ، وبهذه الروح المركبة نظار أبو شادى الى هذا الوجود " . (١)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ليس من شك في أن هذه المكانة العظيمة التي يتمتع بها الشابي اليوم ، إنما يعود الفضل فيها ، أولاً وقبل كل شيء ، إلى الشابي ، والشابي وحده ، فلولا عبقريته ، ولولا ما في أدبه من خصائص تثير الاهتمام وتمتلك الاعجاب ، لما كان له شيء مما هو عليه اليوم من المكانة السامية في نفوس جيلنا المعاصر ، سواء في الشرق أو في المغرب .

ولكن هل كان أدب الشابي يستطيع منفرداً أن يصل بصاحبه إلى هذه المكانة التي يحتلها اليوم ؟

لا مراة في أنه كان من المحتمل جداً أن لا يستطيع أدب الشابي ذلك ، بالنظر إلى الظروف المعاكسة التي حفت به وبصاحبه ، والتي كان من أهمها : رجعية التفكير والأدب في بيئته ، وموت الشابي المبكر ، وضعف الصلات الأدبية والثقافية بين شرق العرب وغربهم . غير أن حادثاً واحداً كان سبباً مباشراً ورئيسياً في قلب تلك الظروف المعاكسة ، التي ظروف مساعدة ، أسهمت إلى أبعد حد في إعلاء شأن الشابي ، ونبوغ شعره وإحلاله مكانة سامقة بين شعراء العرب المعاصرين .

أما هذا الحادث فهو اتصال الشابي بمجلة " أبوللو " في مصر ، ووثوق الصلة بينه وبين صاحبها ، الفقيه المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي . فمن طريق مجلة أبوللو ، وبما أسداه أبو شادي من رعاية واهتمام بالشابي وشعره ، واستطاع أدب الشابي أن يشق طريقه ، وأن يفرض وجوده بين عشرات ، بل مئات الشعراء العرب في جميع الأقطار العربية .

أما قصة هذا الاتصال الأدبي الخصب ، وذلك الانتشار المصحب فهي تبدأ هكذا :

في عام ١٩٢٩ م ، ألقى الشابي في النادي الأدبي بتونس محاضرة عن " الخيال الشعري عند العرب " ثم طبعها ، ونشرها في كتاب صغير ينقش السنة . وبعد حوالي أربع سنوات من ظهور الكتاب بتونس ، وصلت نسخ منه إلى بعض الأدباء في القاهرة ، فكان من صداها الأدبي مقال كتبه الشاعر الناقد الأمان مختار الوكيل ، ونشره في الممدد السابع من مجلة " أبوللو " - مارس " آذار عام ١٩٣٣ م " (١) .

ومجلة أبوللو أنشأها الدكتور أبو شادي لتكون منبراً للشعر ، وميداناً حراً للبحث والنقد في كل ما يتصل بالأدب عامة والشعر بوجه خاص .

ووصل نقد الوكيل إلى تونس ، وقرأه الشابي ، فلم يحتله ولم يصبر عليه ، فكتب من حينه رداً (٢) وأرسله إلى مجلة " أبوللو " ، وأرفق الرد برسالة أدبية فائقة ، وبقصيدتين من رواحه شعره هما : " صلوات في همك الحب " و " السعادة " .

وكان الشابي أراد أن يثبت وجوده وشاعريته دفعة واحدة . وكانت بالفعل مفاجأة رائعة

(١) المقال منشور في الباب الرابع من كتاب آثار الشابي وصداها في الشرق - أبو القاسم محمد كرو .

(٢) المقال منشور في الباب الخامس من كتاب آثار الشابي وصداها في الشرق - أبو القاسم محمد كرو .

لصاحب "بوللو" ومحررها الدكتور أحمد أبو شادي ، فما كان يعتقد أن في تونس شاعرا متازا كالشابي ، بل ما كان يظن أن في بلاد الغرب جميعا شاعرا في روعة الشابي وعبقريته الشعرية الخارقة لهذا ما كان ينتهي من الرسالة ومن قراءة "صلوات في هيكल الحب" حتى صاح :

هذا هو الشعر نشدناه ونشده من قبلنا ، فضلوا الطريق وغللنا ، حتى ظفربه الشابي دوننا .

وكان أبو شادي يرقى طربا ويهتر هبورا وهو ينشد :

عذبة أنت كالطافولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء النحوك ، كالليلة القمر ، كالورد ، كالبتسام الوليد
يا لها من طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد
يا لها رقة يكاد يرف السور منسها في الصخرة الجليود
أي شيء تراك ؟ هل أنت فينوس تهات بين الوري من جديد
لتعيد الشباب والفرح المعسول للعالم التمهيس العنيد
أم ملاك الفردوس جاء إلى الأرض ليحيي روح السلام العنيد
أنت ! ما أنت ؟ أنت رسم جميل عبرى من فن غلنا الوجود !
فيك ما فيه من غنى وعق وجمال مقدر من معبود !

وقد نشر أبو شادي القصيدتين في العدد الموالي ثم نشر له قصيدتين أخريين في عدد تابع ثم نشر رد الشابي على الوكيل مع قصيدتين جديدتين هما "أنا أبكيك للحب" و "الأبد الصغير" وسند وصلت رسالة الشابي الأولى إلى أبي شادي وهي تحمل قصيدتيه السالفتين مع قيمة الاشتراك في مجلة "بوللو" ، أصبح الشابي عضوا في جمعية بوللو التي كان أبو شادي سكرتيرها العام ، وكان شوقي رئيسا لها ثم تولى رئاستها خليل طرمان بعد وفاة شوقي . وهذا أبو القاسم الشابي يحدثنا عن كيفية اتصاله الأول بجمعية بوللو وانضمامه اليهم .

"..... أما علاقتي أنا " ببوللو " فقد حدثك في رسالتي السالفة بأنني وجهت لها قصيدتين ومعلوم الاشتراك ، وطلبت من صاحبها أن يوجه إلي الأعداد الأولى منها . وقد ورد علي كتاب منه يمد ذلك وطية معلوم الاشتراك نفسه قائلًا :

انه يستحي عذرا في ارجاعه لأن المجلة توجه إلي كهدية خالصة ، وصحبته ورقة مطبوعة في طلب العضوية لجمعية "بوللو" وطلب مني تمهيرها وإضافتها وتوجيهها حتى يضمن اسمي في ثبت أعضائها ، كما طلب إلي أن أرسل صورتي لتشر بالمجلة مع شعري . وقد غصت رسالته من سمحت به نفسه من ثناء وأعجاب كما أهدى إلي نسخة من ديوان له حديث اسمه "أشمة وظلال" ووجه إلي الأعداد الأولى من المجلة وقد أهديت من "الخيال الشعري عند العرب" نسخة ووجهت ثلاث قصائد لمجلته وصحبته طلب العضوية والصورة منذ نحو ٣ أيام " (١) وتوالت القصائد للنشر ، وتوالت الرسائل للمودة ، ولم تغض مدّة قصيرة حتى كان الشابي من أعز

الأصدقاء والشعراء في قلب الشاعر الشابي ، وان لم يبلغ شعر أبي شادي قمة الروعة الشعرية في نظر الشابي :

«أما أبو شادي فيما كتبت عنه فقد حاولت أن أكون صادقا جهدي ، لا أداريه ولا أغبطه . وقد تحدثت عن أسلوبه بأعظم ما يمكنني من الصراحة في مقدمة تكتب لديوانه وستطالع عليها ، فترى أنني لست أجامل ولم أدار ، وإنما أنصفت حسبما يقتضيني المقام . ولست أدرى من أيمن لك » أنني كتبت عنه معجبا » (١) .

والحقيقة أنني كنت لا أستطيع أن أتم قصيدا لأبي شادي ، ولكني رضيت نفسي على أن أتابعه حتى ألفته ، فتبين لي أن الرجل في صميمه شاعر حساس يتأثر بروحانية صوفية بنظرته إلى الوجود ، ولكن الذي أسقط من قيمة أدبه أنه متعجل مكثار ، لا يصبر على التجويد الذي هو عمل لا بد منه للفنان المتسامي . إن صورته الشعرية لا تبدو واضحة كاملة في شعره بحيث ترغبك على تنوعها واستمتاعها وذكراها ، بل أنها تبدو ملتاعة غائمة ، سريعة كل السرعة ، كأنها صور شريط سينمائي يدار بسرعة جنونية . وهذا هو السبب الذي ينأى بالناس عن تذوق شعره وإدراك ما فيه من صور شعرية واحساسات عميقة تدل على نفس حية واعية . ولذلك فشعره يبدو فاترا ، في كثير من الأحيان ، لا يسيطر عليك ويغمرك على تتبعه مسحورا مدعوشا . وما أشبهه شعره في نظري بتلك المرأة الجميلة التي يعجبك جمالها ولكن لا تستفزك أنوثتها القاهوة وسحرها الغالب . ولعلك لو روضت نفسك على تلاوة شعره لأدركت منه ما أدركت .

ذلك مجمل رأيي في الرجل ، وإنك لتدرك بالهدأة أنه لا يمكنني أن أقول هذا القول ، وبهاته الطريقة ، في مقدمة تكتب لديوانه . (٢) .

وليس أدل على المكانة والمودة المتبادلة بين الشعارين من أن كلا منهما قد اعتمد على الآخر في تقديم ديوانه إلى الجمهور ، فقد كتب الشابي تقديما لأحد ديوانين أبو شادي ، وهو « ديوان النبوع » المطبوع أوائل عام ١٩٣٤م ، كما وعد أبو شادي صديقه الشابي بتقديم ديوانه « أغاني الحياة » وطبعه في القاهرة طبعة أنيقة فاخرة بإشراف مجلة « أبوللو » وقد ثبت من جهات وملا بساط عديدة أن الشابي كان يقترح إرسال الديوان إلى أبو شادي (٣) صبيحة اليوم النى فارق فيه الحياة من سحره .

وعندما توفي لشابي كان مجموع ما نشره من شعره في مجلة « أبوللو » أربع عشرة قصيدة وثلاث مقطوعات . وكان آخر ما نشر فيها هو قصيدة « الأيمان بالحياة » و « نشيد الجبار » .

وهذا الشعر الذي نشر في مجلة أبوللو هو كل ما عرف من شعر الشابي في حياته ، مع وجود قصائد

(١) : الخطاب لصديق الشابي محمد الخلموي المخاطب بهذه الرسالة .

(٢) : من رسالة الشابي نشرت في مجلة « الفكر » - تونس : ن ٢ ع ١ ص ١٣ - ١٤ .

(٣) : أبو شادي مثل أبو القاسم لا يمر بجزءه الأول إلا « أنا كان كنية » ، أما إذا كان علما

أولها كما هو الحال هنا فلا .

قليلة أخرى تردد في الشرق ولا يعرف على التحديد متى ظهرت في لأول مرة ، ومن بينها قطع غير معروفة تماما في تونس .

وهكذا نرى أن مجلة " أبوللو " كانت هي الطريق الأول الذي مشى عليه شعر الشابي الذي
دنيا الأدب العربي في الشرق ، وأن الفضل في ذلك يعود إلى صاحبه مجلة " أبوللو " ، صديق
الشابي المرحوم أحمد زكي أبو شادي . و

ومما لا ريب فيه أن تأخير نشر ديوان الشابي قد أضر كثيرا بمكانة الشابي الأدبية ، وأخسر
الاهتمام به جيلا كاملا ، كما سنرى ذلك بعد قليل .

والغريب هنا أن الشابي كان أقصد أعد ديوانه للطبع ، بل أوصى بارساله إلى أبو شادي
في حالة وفاته . وهذا أبو شادي نفسه يروي ذلك في إحدى رسائله الشخصية بتاريخ " ١٠ /
٥ / ١٩٥٣ م . فيقول :

" تلقيت بيد الشكر رسالتك القيمة : " الشابي " و " كفاح وحب " ، في بريد اليوم ، وسامحتني
بمعرضهما والحديث عنهما في محاضراتي ، في الاجتماع المقبل لرابطة " منيرفا " الأدبية بجامعة
كولمبيا في الحادي والعشرين من هذا الشهر . واني لأشكر للأخ الكريم أريحيته ووده الأبي ، لا
لذاته فحسب ، بل لأنه شمل أيضا صديقا عزيزا هو المرحوم أبو القاسم الشاذلي الذي كتب إلي
قبل وفاته بأنه أوصى بارسال ديوانه إلي لأتولى درسه والتقديم له ، ونشره في طبعة
فاخرة منذ كنت تجمني به صلات من الفكر والمناطفة والفن ، كثيرا ما عبر عنها في رسائله
إلي ، ولكن يد القدر الماتي حرمتني إياه كما حرمتني أدا " ذلك الواجب " (١) .
أصـدقـاء آخـرون :

وبالإضافة إلى أبو شادي كانت لأبي القاسم صلات أدبية عن طريق المراسلة لعدد من أدباء
الشرق وشعرائه ، عرفنا منهم حتى الآن : الدكتور الشاعر المرحوم إبراهيم ناجي والشاعر عبد العزيز
عتيق ، والدكتور الشاعر علي الناصر في حلب . ولكن صلات الشابي الشرة قد كانت فقط مع
أبو شادي

فأبو شادي هو الذي فسح المجال أمام شاعرية الشابي ، لتظهر على مجلة " أبوللو " وهو
الذي رثاه ومجد ذكره بعد وفاته مباشرة ، سواء في مجلة أبوللو أو في مجلة " الامام " التي
كان أبو شادي يشارك صاحبها الناقد الجبير الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السارثي تحريرها
والإشراف عليها .

وعن طريق هاتين المجلتين عرف الشرق شعر الشابي ، وبالتالي عرف مكانته وأكبر نبوغه
واعترف بتفوقه وشاعريته .

(١) في رسالة من الشابي إلى صديقه الحليوي ، أن الحليوي كان متفقا مع الشابي على تقديم
الديوان ، وقد يكون أبو شادي وعد بمقدمة أخرى .

كان الاعتماد البالغ بين سنوات ١٩٣٣ - ١٩٣٦ م ثم خفت صوت الشابي ولم يمسح له صدى يذكر في الشرق الا لما ، ومن فرصة لأخرى حين يكتشفه أديب ناشئ أثناء مطالعته لما مضى من أهداف مجلة أبوللو التي كانت قد ماتت هي الأخرى بعد الشابي بعام واحد .

وحين يضادف شعر الشابي قارئ جديد ، ويكون أديبا فانه قد يكتب عنه من خواطر أو مقالة تعتمد على تحليل نفسية الشاعر أو شاعريته من خلال تلك القصائد القليلة المنشورة في مجلة أبوللو ، دون معرفة واضحة ودون فهم كامل لما ينبغي أن يعلم من حياة الشابي وملابسات شعره .

وقد استمر هذا الوضع من عام ١٩٣٦ م - ١٩٤٨ م أي مدة اثني عشر عاما ، لا نجد خلالها الا بعض المقالات التي لا تعتمد الا التحليل والاعجاب بتلك القصائد المحدودة من شعر الشابي . ومعظم هذه المقالات نشرت في مجلات " الأملالي " و " المكشوف " و " الأديب " في لبنان و " الرسالة " و " الهلال " في القاهرة ، و " القافلة " في القدس . وبعض المجلات العربية الأخرى .

كتاب واحد :

وخلال هذه المدة ١٩٣٦ - ١٩٤٨ م لم يظهر أي كتاب عن الشابي ، بل لم يذكره الا مؤلف واحد من ألفوا عن الشعر المعاصر ، أو تعرضوا لأطواره واعلامه ، ومذاهبه . (١)

وهذا المؤلف كان - يوم وضع كتابه - أديبا شابا دفعه الاعجاب وحده الى اصصدار كتاب صغير ضم مختارات من شعر عدد من الشعراء المعاصرين ، الذين أعجب بهم وأراد أن يذيع أديبهم بين الناس ، وهذا الأديب هو الشاعر محمد فهمي الذي نشر في الجزء الأول من كتابه " الروائع لشعراء الجيل " مجموعة من أشعار الشابي ، استقاها كلها من مجلة أبوللو ، ولكنه لم يكن دقيقا في نقله وعرضه ، كما أنه لم يحط لديه معلومات عن الشاعر ، للقارئ ، بل اننا لا نجد على الكتاب تاريخ طبعه ، ولولا نقد نشر عنه في مجلة " المقتطف " عام ١٩٣٨ م لما علمنا بالسنة التي طبع فيها وعلى الرغم من أن محمد فهمي قد قدم في كتابه بعض التفاصيل عن حياة وأدب الشاعر الآخر الذي كان الشابي ثانيا معه ، فانه لم يقدم الشابي الا بصفتين فيها كلمة اعجاب بشعر الشابي ، واعتراف جميل بتفوقه وعبقريته .

(١) هناك كتاب آخر وهو " الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث " للسحرتي ولكنه اكتفى بشواهد قليلة من شعر الشابي .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن محمد فهمى لم يكن فى ذلك الحين يعرف أى شيء عن حياة الشايبى وألواره الأدبية ، وانه لولا مجلة أبوللو وما نشرته من شعر الشايبى لما سمع محمد فهمى ومعاصره بالشايبى ، ولا أمكنهم التعرف الى شعره والحكم عليه ولو بصورة عامة غامضة .

وقد أخطأ محمد فهمى فى كلمته مرتين ، الأولى حين ذكر أن الشايبى ولد سنة ١٩٠٨ م والصواب أنه ولد سنة ١٩٠٩ م ، والثانية حين ذكر أنه مات مسلولا ، بينما مات الشايبى بمرض القلب .

ومع هذا فان كتاب (الروائع لشعراء الجيل) قد أسهم من جديد فى احياء اسم الشايبى وتعريف الجيل الصاعد بشعره ، مما كان له أثر بعيد المدى فى تكوين عدد كبير من شعراء الشاب الذين تشققوا خلال الحرب العالمية الثانية ، وظهرت مواهبهم ومواكير شعرهم فى أعقابها مباشرة .

جيل جديد : =====

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م الى عام ١٩٥٢ م شاع شعر الشايبى بين طلبة المدارس الثانوية والعالية ، وخاصة بين الأدباء الشبان الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة وأملهم المفقود ، ذلك أن أكثر هؤلاء الأدباء الشبان كانوا يطالعون الشعر الغربى بلغاته الأصلية ، ويتأثرون به وينفعلون معه ، فيتوقنون الى وجود شعر عربى على نظمه من حيث : خصائصه الفنية ، والمذهبية ، والشمورية .

ولما عثروا على شعر الشايبى صار لهم انجيلا ، وأصبح قائله نبيا ، فأمنوا برسالته الأدبية ، وحاولوا احتذاءه فى قليل أو كثير من البراعة والنجاح .

والى هذا الجيل الجديد يعود اليوم شطر كبير وعظيم مما وصل اليه الشايبى فى الشرق من مكانة شعرية عالية وتقدير أدبى كبير .

وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية فاصلا بين جيلين اثنين من أجيال الأدب

المرضى الحديث : جيل عاصر الشايبى وأظهر بمحضه الاعجاب به ثم نسيه ، ولم يمد يذكرة ، وجيل تتلمذ على شعره واتخذته رائدا فى شعره وتمبيره على السواء .

وكان أشد ما افتتن به هذا الجيل الجديد ، من شعر الشايبى قصائده الخالدة : " نشيد الجبار ، أو هكذا غنى نسر هرموشوس " التى مطلعها :

ساعيش رغم الداء والمدا . . كالنسر فوق القمة السماء !

أرفع الى الشمس المضيئة هافنا .

بالسحب والأمطار ، والأنواء

لا ألح الظل الكئيب ولا أرى

ما فى قرار الهوة السوداء

وأسير فى دنيا المشاعر حالما

غردا ، وتلك طبيعة الشمعراء .

وقصيدته " الصباح الجديد " التي استهلها بقوله :

اسكتي يا جراح . . . واسكتي يا شجون

مات عهد النوح . . . وزمان الجنون

وأطل الصباح . . . من وراء القرون

وقصيدته " صلوات في هيكل الحب " ، وقصيدته " ارادة الحياة " التي مطلعها :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . . فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي . . . ولا بد للقيد أن ينكسر

وقصيدته " النبي المجهول " التي يقول فيها :

أيها الشعب ليتني كنت خطا . . . باء فأهوى على الجذوع بفأسي

ليتني كنت كالسيول إذا سا . . . لت تهدد القبور رمسا برمس

ليتني كنت كالريح فأطوى . . . كلما يختنق الزهور بنفسى

ليتني كنت كالشتاء المنشى . . . كلما أذبل الخريف بقرسى

ليت لي قسوة المواصف يا شع . . . بي ، فألقى اليك ثورة نفسى .

ولأبأس هنا بتحليل موجز لدوافع الإعجاب عند الجيل الأول ، ودواعي الانبهار والاحلال

عند الجيل الثانى :

لقد كان الجيل القديم من أدباء الشرق يعجب ويضطرب بشعر الشايبى لما فيه من

موسيقى عذبة ، وتمبير أنيق ، وخيال مجنح ، وصور فنية خلابة .

أى أن الإعجاب بالشايبى لم يتجاوز عند هذا الجيل الجوانب الفنية الخارجية ،

فكانوا مأخوذين بوجه خاص بموسيقاه العجيبة الدالة على قدرة الشايبى الفائقة فى المزاجية

بين الألفاظ والتأليف بينها فى مجانسة منضمة عالية .

أما الجيل الثانى فان إعجابه بالشايبى ليس من أجل ما فى شعره من خصائص الجمال

الفنى فحسب ، وإنما أيضا من أجل ما فيه من خصائص فكرية وشعرية فائقة ، فقد اكتشف

هذا الجيل ما فى شعر الشايبى من صدق وروحانية ، وما فيه من حيوية دافقة ، وحرارة

صاعدة ، ومن إحياء وتأثير عاطفى قوى .

والأهم من هذا كله اكتشافهم روحه الوطنية ، ونزعة الانسانية ، وتصوفه الشعرى

الخلاب ، فهو من هذه الناحية يشبه جبران خليل جبران شبيها عجميا .

ويمتاز هذا الجيل عن سابقه بأن معظم شعرائه الجاهرين قد تأثروا ، — فى مطلع

شاعريتهم — بالشايبى ، على اختلاف درجة التأثير وقوته فيهم .

وليس من شك فى أن معظم الشعراء الشباب فى العراق والشام ، ومصر والسودان

متأثرون بشعر الشايبى بصرف النظر عن مدى هذا التأثير ونتائجه .

ومن الشعراء الذين لو يدرس شعرهم لتبين ما فيه من محاكات ، أو استيعاب لشعر

الشايبى أو تأثير بخصائصه الفنية واتجاهاته المذهبية .

وقد أسهم هذا كله في اعلاء مكانة الشابي الشاعر ، وتصحيح كثير من الأخطاء التي كانت تملأ أذهان عدد غير قليل من الأدباء والقراء ، بل إن الكتاب قد عرف الشابي بكبار الأدباء الذين تبين أن عددا غير قليل منهم لم يسبق له التعرف الى الشابي ، وقراءة شعره ، فضلا عن دراسته ونقده .

ومهما يكن من أمر فإن الاهتمام بالشابي وأدبه قد تطور بعد عام ١٩٥٢ م ، وانتقل الى ميادين جديدة . فبعد أن كان الاهتمام مقصورا على المجلات والصحف ، ظهرت كتب عديدة تدرس أدب الشابي وتنقده ، أو تقارن بينه وبين غيره من الشعراء العرب المعاصرين . كما ظهرت الدراسات المطولة عنه في كتب خصصت للبحث في الشعر العربي الحديث . كذلك ظهرت كتب مدرسية أو كتب مخصوص فيها مختارات من شعره . وأصبح الشابي يدرس في مناهج كثير من المدارس الثانوية سواء في مصر أو لبنان أو الأردن أو العراق . هذا فضلا عن الأعداد الخاصة التي أصدرتها عنه صحف ومجلات عربية كثيرة .

وليس من شك في أن للتطورات السياسية والاجتماعية التي نهزت أقطار وشعوب الشرق العربي عقب الحرب العالمية الثانية أثرا بارزا في هذا الميدان . وكان شعر الشابي الوطني الثائر يتلائم بشكل حار مع الثورات القومية الزاحفة . لهذا كان الشباب يردد بحماسة في نوادي ومظاهرات قول الشابي :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي . . ولا بد للقيد أن ينكسر

وكم من مرة كتب هذان البيتان على الشعارات التي يحملها المظاهرون من كراتشي في باكستان الى الخرطوم في السودان . بل لقد ترجم البيتان الى اللغة اليابانية وحملتهما في طوكيو عاصمة اليابان . (١)

لقد أسهم هذا كله في تعريف الشابي الى الجماهير ، وخاصة الشباب المتعلم ، مما زاد من الاهتمام به والاقبال على قراءة شعره ومطالعة كل ما يكتب عنه .

وهنا لم يمد في وسع أية مجلة أو صحيفة أن لا تهتم بالشابي ، فكثير نشر قصائده وكثير نشر المقالات التي تحلل شعره وتمجد شاعريته . حتى بلغ مدى ذلك الى الفنانين فلهنوا شعره وتمنوا به . وكان الطرب اللبناني " حلیم الرومي " أول فنان عربي من الشرق لحن شعر الشابي ، فاختر له لأول مرة ، قصيدة " رادة الحياة " ، ثم اختار له قصيدة " الحان السكرى " التي يصور فيها الشابي خلوق سعيدة من خلوات الحب الطافح المشبوب :

قد سكرنا بحبنا واكتفينا . . يا مدير الكؤس فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للمصافيرو لنح . . ل و خ ل الثرى يضم عروسك
مالنا والكؤوس نطلب منها . . نشوة ، والفرام سحر وسكر ؟
خلنا منك فالربيع لنا س . . ق ، وهذا الفضاء كأس وخمر !

وتفنت المطربة سماد محمد بقصيدة "رادة الحياة" من تلحين حليم الرومي حتى اشتهرت بها. ثم اختار المطرب عبد الرحمن الخطيب (١) قصيدة "أيها الشعب" فلعنها وغناها لأول مرة في أكتوبر تشرين الأول سنة ١٩٥١ م. ضمن برنامج خاص قدمته محطة الشرق الأدنى التي كانت تذيع من جزيرة قبرص، ومطلع هذه القصيدة :

أين يا شعب قلبك الخائف الحساس؟ أين الطموح والأحلام؟
أين يا شعب روحك الشاعر الفنان؟ أين الخيال والالهام؟
ان يَم الحياة يدوى حواليك، فأين المفاسد المقدام؟
أين عزم الحياة؟ لاشي إلا الموت، والصمت، والأسى والظلام
عمر ميت وقلب خواء، ودم لا تشـيره إلا الآلام
أى عيش هذا؟ وأى حياة؟ رب عيش أشـأخف منه الحمام
الى أن يقول :

أنت يا كاهن الظلام حياة، تعبسد الموت، أنت روح شقي
كافر بالحياة والنسور، لا يصفى الى الكون قلبه الحجري
أنت دنيا يظلمها أفق الماضي، وليـل الكآبة الأبدى
والشقي الشقي في الأرض شـعب يومه ميت وماضيه حي

رغنى له عبد العزيز محمود من تلحينه قصيدة "الصباح الجديد"، وقد كان موفقا فيها كثيرا، واختار له المطرب الليبي كاظم نديم بن موسى قصيدة "صلوات في هيكل الحب" وأخيرا غنى له كارم محمود "يا ابن أمي" من تلحين عصمان المنتبلي .

=====

تلك صورة مجملة لمدى الاهتمام والصدى الذى لقيه شعر الشابي في الشرق منذ ظهر الى اليوم، سواء في المجلات والصحف أو في الكتب. أو في الطرب. وهناك اهتمام آخر يتمثل في المهرجانات والاحتفالات الأدبية التي أخذت تنشر عن الشابي منذ عدة سنوات من طرابلس الغرب الى القاهرة، فدمشق، وبغداد وعمان، سنوا في النوادي أو الاذاعات.

ولعل أعظم هذه الاحتفالات ما قامت به نقابة الصحفيين في القاهرة يوم ٢٧/١٢/١٩٥٢ م، حيث شارك فيه لأول مرة بعض كبار الأدباء الذين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الشابي أو يظهرون الاهتمام بأدبه، أمثال عزيز أباظه، والناقد الدكتور عمر عندور.

وقد تكلم باسم تونس في هذا المهرجان الشيخ محمد البشير الابراهيم، رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وقد نشرت جريدة البلاغ المصرية عددا خاصا حوى معظم ما قيسل في (٢)

(١) هو اخو الطربة قائده كامل.

(٢) : القسم الرابع من كتاب "أثار الشابي وصداه في الشرق" - أبو القاسم محمد كرو.

المهرجان ، وقام بوصفه والتعليق عليه الكاتب الأستاذ كامل السوافيري ، وكان مما علق به قوله :
 " . . . وإذا كان لنا مأخذ على الحفل فهو أن أحدا لم يتعرض لترجمة حياة الشاعر وتحليل

شعره ، ! . ولولا الكلمة التي القاها الأستاذ ابراهيمي . . . ما عرف كثير من الحاضرين أين ولد وكيف اتخذ تونس موطننا ثانياً لسه بعد أن ترك موطنه الذي ولد فيه . . . (١) . "

الشابي المجهول :

=====

وهكذا نرى أنه برغم صدور عشرات من الكتب وعشرات من المقالات والدراسات حول الشابي وأدبه فإنه مع ذلك ما زال مجهولاً عند قراء شعره والمعجبين به .
 فالسوافيري نفسه أخطأ في قوله :

" أن الشابي ترك موطنه الذي ولد فيه واتخذ تونس موطننا ثانياً لـه " ! ! فآين

ولد إذن ؟ إذا كانت تونس هي موطنه الثاني ، وإذا كان الشابي قد ترك موطنه الأول ليتخذها موطناً ثانياً ؟ ! فكيف يكون حال الأدباء الذين لم يقرأوا عنه شيئاً ؟ بل كيف يكون الحال قبل أن يظهر أي كتاب عن الشابي ؟ .

لقد كان الحال ولا شك غريباً جداً ، إذ كانت الأخطاء حول الشابي شائعة في معظم بلاد الشرق العربي — مثل مصر والمغرب ، وسوريا والأردن وفلسطين ولبنان بين أعوام ١٩٤٨م — ١٩٥٢م .

أخطأه وأوهامه :

=====

وعلى رغم جميع الكتب والجهود التي بذلت حتى الآن ، فإن الأخطاء القديمة لم تنته ، بل انضمت لها أخطاء جديدة غريبة ، ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة :

ففي عام ١٩٤٧م نشر الأستاذ عيسى الناعوري مقالين عن الشابي في "مجلة القافلة" بالقدس توهم (٢) فيهما أن الشابي من شعراء المغرب الأقصى ، وقد زين المقال بصورة يمثل بعضها مدينة طنجة المغربية .

وفرق ظاهر بين تونس والمغرب الأقصى كما ظن الأستاذ الناعوري أن الشابي مات مسلولاً ، وهو من يشترك معه فيه عدد غير قليل من قراء وأدباء الشرق ، مع العلم بأن الشابي مات بمرض القلب .

وزعم عبدالسميع المصري : أن الشابي قد انهكت قواه حياة الخلاعة والمجون التي

(١) مجلة القلم الجديد : الأردن ص ١ ع ٦ " شباط — فبراير سنة ١٩٥٣م "

(٢) عددا ١٠ / ١٠ و ١٧ / ١٠ / ١٩٤٧م وهما برقم ٢٨ — ٢٩ .

عاشها أثناء تعليمه في فرنسا (١) ! .

ونسب اليه أديب عراقي هو الاستاذ محمود الميطة في مقال نشر بجريدة " الفجر " الصادرة في الموصل ، أنه تولى منصب قاض ، وأنه تلقى في الجامعة الزيتونية ثقافة عصرية (٢) .

ولا شك في أن السيد الميطة قد وقع في هذا الخطأ بسبب ملاسبات لم تكن واضحة عنده ، فان والد الشابي كان قاضيا شرعيا ، أما الشابي فلم يتولى أى منصب حكومى ، ولم يشتغل فى أى مهنة حرة ، بل عاش فى رعاية أبيه حتى العشرين من عمره ، ثم عاش سنوات الخمس الأخرى حليف المرض يعتمد فى عيشه على أملاك الأسرة التى كانت تضمن له عيش الكفاف ، فلا عسرو ولا يسر .

أما الثقافة المصرية ، فقد توهمها الكاتب من عنوان المعهد فظن أن تسميته فى الجامعة لابد لأنه مصرى ، فى حين كان عتيقا فى برامجهِ ، وعقلية أساتذته ، وطرق تعليمه بالإضافة الى أنه معهد دينى .

وهناك اعتقاد سائد فى تفكير معظم أدباء الشرق ، بأن الشابي قد أصيب بمرض السل ومات به ، وعلى هذا الأساس أقامت الدكتورة الشاعرة " نازك الملائكة " بحثا كاملا بعنوان " الشعر والموت " .

وفى تونس نفسها جرى خطأ جسيم ، سيجعل الأجيال القادمة تعتقد بأن الشابي مات مسلولا ، وذلك أن الشابي اليوم يحمل اسمه مستشفى للأمراض الصدرية باحدى ضواحي العاصمة التونسية . وعندما تكتب الأقلام الصاعدة فى القد سيكون هذا المستشفى برهان يؤكد مرض وموت الشابي بالسل (٣) .

وفى الواقع انى لأتساءل عن العلاقة بين الشابي - وهو شاعر فنان - وبين مستشفى لعلاج المرضى ، بصرف النظر عن اختصاص المستشفى حتى لا نزيد فى الأخطاء الشائعة خطأ جسيما من شأنه أن يشتت الحقائق المتعلقة بحياة الشابي ، خاصة وأن الشابي لم يصب بالسل ، كما لم يعالج فى هذا المستشفى ، وهو الى ذلك لم يكن موجودا فى حياته .

أخطاء جديدة :

=====

لقد تفاقمت الأخطاء حول الشابي منذ عام ١٩٥٤ م ، أى منذ أصدر عمر فروخ كتابه " شاعران معاصران طوقان والشابي " . فقد ملأ فروخ القسم الخاص بالشابي من هذا الكتاب ، بمجموعة كبيرة من الأخطاء فى المعلومات والأحكام تلفت النظر وتثير الاستغراب

(١) مجلة الرسالة الجديدة : القاهرة ع ١١ ص ٤٥ " شهر ٢ / ١٩٥٥ م "

(٢) عدد ٢٢ - بتاريخ ٨ / ١٢ / ١٩٥٠ م .

(٣) الشابي - حياته وشعره - أبو القاسم محمد كرو - مرض الشابي .

والمؤلم هنا أنها شاعت عنه بالنقل ، وأخذ الكُتّاب يرددونها في مقالاتهم دون تمحيص كما فعل عبدالسميع المصري في مقال مفسح به حياة الشابي وأدبه .
 فإذا تركنا هذه الأخطاء جانباً ، وجدنا ظاهرة جديدة ، ظهرت بعد كتاب فروخ السالف الذكر ، وهي ظاهرة التحامل الشديد على حياة الشابي وأدبه ، ومحاولة التفسير من شأنه واعتباره شاعراً عادياً تفوق فقط في بعض قصائده القليلة التي تقوم عليها وهدمها شهرته الواسعة ومكانته الأدبية .

ولنأخذ هنا نموذجاً جاء في كتاب " الشعر وقضيته " للشاعر ابراهيم العريض زعم فيه : أن الشابي ليس قمة من قم شعرنا العربي الحديث ، وأنه لو عاش أطول لسامق الشعراء الذين يعتبرهم الأستاذ العريض قمماً شامخاً من شعرنا الناصر ، قال العريض " أما القمم التي تجذب في شعرنا الحديث عين الناظر إليها من بعيد فهي — ولا اقصد المفاضلة — اليا أبو ماضي ، وعمر أبوريشة ، ومحمد مهدي الجواهري ، ونزار قباني ، وبشاره الخوري ، وسميد عقل ، ومحمد علي الحوامي ، والشاعر القروي ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وأحمد الصافي ، وشفيق المعلوف ، والياس فرحات . ولكن طابعه من التجديد ، طال بقاءهم جميعاً (١٠) .

أما الشابي ، فإن الموت المبكر قد جنى عليه ، وحرمه من الارتفاع إلى قم العريض التي رفع إليها بيمينه مجموعة متناقضة من المواهب والاتجاهات الشعرية ، ومن هنا لم نستغرب أن يقول العريض — وهو شاعر — بعد كلامه السابق :
 " فالشابي مثلاً — وهو ولو كان حياً ليسامق هؤلاء — لا ترفعه إلى هذا المستوى الذي يشرف منه اليوم على دنيا الناس من سمائه ، إلا بضع قصائد معدودة في مقدمتها " صلوات في هيكल الحب " عرفتنا قدره ولو لم ينظم شيء غيرها ، فإن هذا الباقي المتبقى من شعره لا ينبئ إلا عن محاولات أدت للشاعر غرضها في حينه ، وقيمتها تخس التاريخ وحده " (٢) .

والغريب أن الأستاذ ابراهيم العريض يخالف نفسه مخالفة صارخة ، حين يقدم لنا مقياساً نعرف به القمم من غيرها . فالشاعر في نظره — لا يبلغ القمة في جميع قصائده وإنما يكفيه فقط بلوغها في عدد محدود منها . ومع اعترافه بأن الشابي قد بلغ الاجادة في " قصائد عرفتنا قدره ولو لم ينظم شيئاً غيرها " ، فإنه لم ينل بقصائده شرف التحليق في قم الشاعرية التي حدد الأستاذ العريض ارتفاعاتها عن سطح البحر . وهذا مقياسه الخاص الذي ذكره في معرض الخشية من اساءة فهمه ، وبالأحرى

(١) ص ٨٥ — ٨٦ من كتاب العريض .

(٢) ص ٨٦ من كتاب العريض — الشعر وقضيته .

تطبيقه :

" وأخشى هنا أن يسئ بعضكم (١) فهم مدلول معنى "القصة" ، فأبادر بالقول - وإن كانت بدايته لا تخفى - على الشعراء أنفسهم - بأن الشاعر لا يوفق إلى الإجابة في آثاره كلها ، وإنما القصائد التي يبلغ فيها غاية الجودة تسجل للناس الذروة التي يستطيع بلوغها . كمثل هذا الميزان الذي يسجل الحرارة في رصده طيلة أيام السنة ، فلا يقدر الملم لوصف مناخ بقعة إلا أرفع ما سجله الميزان لها في الصيف من حرارة الصيف ، في أشد أيامه حرا " !!

ويظهر أن ميزان الأستاذ المريض قد أصابه المطلب حين رصد به مناخ شاعريسة الشابي ، لأن درجات رصده العاليية لم تصل إلى مستوى رصد الآخرين ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما غفل ميزان الأستاذ المريض عن رصد قصائد الشابي التالية : " ارادة الحياة " و " النبي المجهول " و " أغاني الرعاة " و " نشيد الجبار " و " الصباح الجديد " و " قلب الشاعر " و " الجنة الضائعة " و " الحاني العكري " و " الأشواق التائهة " و " في ظل وادي الموت " و " الأبد الصغير " و " قلب الأم " و " الساحرة " و " الايمان بالحياة " و " أيها الليل " و " وأنا أبكيك للحب " و " يا ابن أمي " و " إلى طغاة العالم " و " ومناجاة " و " وياشمر " . ثم قصيدة " صلوات في هيكل الحب " التي ذكرها .

فإذا تركنا القصيدة الأخيرة بقيت عشرون قصيدة أخرى ذكرنا أسماءها ولا أظن أنه إلا يعرفها جميعا . وأظن لا يجهل أيضا أن أيا من الشعراء الذين أحلهم قسم جباله الشعرية ، لم يبلغ . من الإجابة في شعره عددا من القصائد يوازي عدد قصائد الشابي المذكورة ، وقد يختلف معنى حضرته كما قد يختلف معنى غيره في أن هذه القصائد كلها جيدة ، ولكنه لا يستطيع أن ينكر أن أكثر من واحد من الشعراء الذين اعتبرهم قسا في شعرنا الحديث ، ليس لهم قصائد تفوق في جودتها ما يستجده هو نفسه من قصائد الشابي " كمثل صلوات في هيكل الحب " التي اعترف بقيمتها . ولكنها - وأخواتها - لم تشفع عنده لكي يصبح الشابي سامقا لنازك أوفدوي أو المصطفى أو فرحات مثلا . مع اعتبار طابعه الخاص من التجديد كما اعتبر لهم ذلك . (٢)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXX

- (١) الشعر وقضيته للأستاذ إبراهيم المريض ص ٨٦ .
(٢) آثار الشابي وصداه . في الشرق - أبو القاسم محمد كرو - ص ٣٣ - ٥٥ .

الباب الرابع

=====

الثورة في شعر الشابي
دوافعها واتجاهاتها

الثورة في شعر الشابي نقطة انطلاق في شعره الوطني ، إذ أنها تحمل الخطوط
المريضة والواضحة التي تدل على مدى احساسه بضرورة البحث والتطور نحو الأهداف المريضة
التي يريد لها الشاعر لمجتمعها ، وهي في عنفها إنما تدل على نواحي الغضب التي كان يزرع
تحت وهأتها ، ونواحي القوة التي يريد لها الشابي .

ونحن نلمح في شعر الشابي صوراً كثيرة لفكره ، والحياة المتجددة سواء في قصيدتي
إرادة الحياة ، أو نشيد الجبار ، وسواء كان التقاء الشابي بنتشه في هذه الفكرة مصادفة
أم نتيجة لترسبات ثقافية ، فلقد كانت تلك الفكرة هي النواة التي أنبتت الطموح والقوة في قلب
الشاعر التونسي المظلوم ، فبعثت فيه النهضة والوعي ، على أن الشابي وقد اكتفى بالدعوة لهذه
الفكرة ، فإن نتيشة قد طبقها في جميع نواحي الحياة ومناحيها ، فدرسها دراسة فلسفية
عميقة في كتابه " إرادة القوة " أو هكذا تكلم زرداشت .

والثورة دائماً من جانب الشباب ، تلاقي اعراضاً ونفورا من جانب الشيخ القاهمين في
بروجهم العاجية ، والحقيقة أن الشباب مدفوعون إلى الثورة ، وإلى الجموح بسبب جمود هؤلاء
الشيخ ، وما أصدق والت . وإيمان الشاعر الانساني الأمريكي حين قال :
" . . . لا تلوموا الشباب إذا امتلأت نفوسهم بالمرارة والشك والغليان ، فالذنب ذنب الكبار
الذين لم يحولوا المرارة إلى قناعة والشك إلى إيمان ، والغليان والثورة إلى قوة دافعة
للاصلاح . . . " .

والثورة في شعر الشابي ليست ثورة سطحية ، وإنما هي ثورة جذرية في جميع مناحي الحياة
وأشكالها ، ثورة على أعداء الشعب ، ثورة على الظالمين ، ثورة على الرجعيين والجامدين
والخامدين ، إنها ثورة على القيود بكل مناحيها ونواحيها وممانيتها ، وهي متبثقة عن
إيمان عميق بالحرية وبالطبيعة الحرة ، وهي أيضاً ثورة جامحة على غصود الشعب وجمود
المفكرين ويمبر الشابي عن ذلك بقوله :

وأقول للجمع الذين تجشّموا . . . هدمي وودوا لويخربنائي
من جماش بالوحي المقدس قلبه

لم يحتفل بحجارة السدّهما

دوافع الشعور عند الشابي

=====

يختلف الشعراء في احساسهم بالكون وانفسهم وما حولهم اختلافا ميمته العميق والحدة في الادراك والنفوذ الى بواطنهم، أو بواطن ما يصورونه، فهم ليسوا جميعا سواء في الاحساس بل منهم من هو سطحي الاحساس لا يكاد يلص ما يحفه الا لمسا خفيفا، وهو لذلك لا يؤثر فيك الا تأثيرا من الظاهر ان صح التعبير، فشعره فاتر لا حرارة فيه، ومن الممكن أن نودع في هذا القسم مجموعة النظميين الذين لا ينفلون أي انفعال قبل الأشياء، وانما هم يسجلونها في شعرهم كأن شعرهم صحف حسابية لأعداد وأرقام.

وفي الشعراء من يتعمق ما يدركه ويحس من ذات نفسه، أو ما يبصره أو يشاهده في الكون من حوله تعمقا يصل الى باطنه وخفايا داخله، فنقرأ شعره ونحس فيه كأننا في حلم سحري، ونشعر بشيء من التسريع أنفسنا والراح والتمتع الحقيقية، لأن الشاعر بنفس عمّا في داخلنا بما يجري على لسانه من أبياته، أو قل من مشاعره وأحاسيسه، فنحن عنده نستقبل أنفسنا وعالمنا بكل ما فيه من اضطراب وقلق وكمال ونقص، ان المالم ليس كما لا غالبا ولا نقصا خالصا، بل هو مزيج منهما، مزيج ينتظر الشاعر الذي يحسه احسا سادادا ويقرضه.

وبين هذين الفريقين من أصحاب الاحساس السطحي والا احساس العاد، يقع كثير من الشعراء في مدارج وسطى، وليس من شك في أنه بمقدار ما يكون في الشاعر من مادة الاحساس تكون موهبته في الشعر كما يكون تأثيره في سامعيه وقرائه.

وأبو القاسم الشابي الذي هضر غصنه القدر سنة ١٩٣٤م ولمّا يبلغ الخامسة والعشرين، بعد كفاح شاق مرير بينه وبين المرض - مرض القلب - أن أصيب في عنقوان شبابه بتضخم قلبه، هذا الشاعر يمدّ قلته من فترات عصرا الحديث، في حدة الاحساس وعمقه ودقته.

لم يتعلم لغة أجنبية ولا خرج عن محيط بيئته، ولكنه قرأ واستوعب كل ما وقع عليه قديم وحديث وأدب غربي منقول، وانطبعت في خياله عن طريق قراءاته وخاصة للشعراء المجددين صورة فنية للشعر، فيها تحرر من القديم، سواء أكان في شكل القصيدة أم في موضوعها، فقد تخلص من رقي المديح وما يتصل به واتجه الى نفسه وعصره وأمته، وشعر شعورا واضحا بالحق والجمال والكمال، وظل هذا الشعور يجري في شعره تيارا مندفع لا ينقطع ولا ينفصل عن أي قصيدة أو مقطوعة ينظمها، ولكن شعوره هذا ليس هو الذي استنفذ شعره، وانما استنفذه شعورا آخر، هو شعوره بالألم وعلته التي أصابته في شخ شبابه، فالألم هو الدافع الحقيقي

للثورة عند الشابي .

ومن الشعراء من يصاب بالمرض مثل الشابي ، فمنهم من يتألم ولكنه يحول ألمه الى فلسفة في الحياة والى تفكير واسع فيما يلا حقها من نعيم وبؤس وسعادة وشقاء ، فالألم عند هذا الفريق لا يتحول الى نفسه والحديث عن أوجاعه وإنما يتحول الى الحياة البشرية كلها وما ترتطم به من صخور الشر والظلم العارخ .

ومن المرضى من يعلو على ألمه ، بل من يحاول أن يقهر ألمه وينتصر عليه الى النهاية ، فتراه ضاحكا مبتسما ، كأنما تحول الألم عنده الى لذة فهو لا يتشأء م بل يتفاؤل ، وهو لا يضيق بما حوله ، بل هو كثير التسامح ، كل ما حوله في الطبيعة جميل ، وجماله يفقده السوعي بنفسه وما يعتصقوا من المرضى وفرحته تعلو على كل آلامه ، اندتارد من صدره كل الوسواس والأوهام التي تجيش بصدور أمثاله .

غير أن هذان النوعان نادران ، أما الكثير فيكون على فرار أبي القاسم الشابي لا يحوله الألم الى فيلسوف ومفكر كبير ، وأيضا لا تحول العلة الى ضاحك في الحياة أو مبتسم ، وإنما تحول الى لمن ضخم للمويل والبكاء ونذب نفسه وحياته ندبا حارا .

وتصادف أن كان احساس أبو القاسم الشابي حادا ، وجملته حدته محبا للحياة صبا بها ، وشعر برؤوس أفاع تمتد اليه في طريقه ، فتمنعه من السير بل ترده الى داره ان لم يكن الى فراشه وعلته ، فرجع محزونا يجر أذياله والكأبة قد ملأت نفسه ، ومألاها أيضا الا احساس الدقيق بالكارثقوما ينتظره من موت عاجل محتوم .

ولم يجد أمامه ما ييشبه ما أعجبه سوى ناي شمره ، فأخذ يشد وعليه أغاني مشجية نظمها والد موع تنهمر من عينيه ، وهي لذلك تمتد أشجى أغانيا في الصدر الحديث ، لأن صاحبها بللها بدموعه وهو يكتبها ، ولأنها تصور ألما حقيقيا ، بل لأن صاحب هذا الألم كان حاد الحس ، فسقط لا على الألفاظ التي تمثل ألمه ، وإنما على الأبر التي تلسع ، وحمى الأبر في نيران قلبه فأصبحت تكوى وتلدع ، واسمعه يغني أغنية الأحران " .

حطمت كف الأسى قيثارتي

في يد الأحلام

فقط صمتا أنا شيد الفرام

بين أزهار الخريف الذائبة

وتلاشت في سكون الاكتئاب
 كهدى الفريد
 كف عن تلك الأفاني الباسمه
 أيها المصفور
 فحياتي الفت لحن الأسى
 من زمان قد تقضى وعسى
 أن يثير السيفدوني صمت الفؤاد
 بلبل الأفراح
 ففؤادى وهو منصفور الجراح
 بتأريج الحياة الباكية
 ليس تستهويه ألحان السمرور
 وأغاني النور
 ان من أهدى الى صوت المنون
 وصدى الأجداث
 ليس تستهويه ألحان الطيور
 بين أزهار الربيع الساحره
 وابتهامات الحيلة الساخره
 عن جلال الله
 غننى يا طسير أنات الجحيم
 واسقني الآلام
 واترع الكأس بأوجاع الحياه
 واسقني انى كرهت الا بهتسام
 غننى نكدب الأماني الغائبه
 والليالي السود
 غننى صوت الظلام المكتسب
 اننى أمواه

ولا شك أننا نشعر في أثناء قراءتنا لهذه الأغنية بوغز الألم في صدر الشابي ، فقد تحطمت قيثارته ، حطمتها كف الأسى في يد الأحلام ، وذابت نغمات الفرام بدنيه في غمرة هذا التحطيم . ان المريض يطعن في الضمير ، في قلبه ، وهو يتطلع الى الحياة كشخص تفرب تحت عينيه ، وانه ليمجب فسيما غناء المصفور انه لا ييمت حيننا ولا بشرا ولا حياه ، انه لا ييمت الا الذكرى التمسمة

والأُنَّة الأوتار وهو لا يريد بعد اليوم أن يرى الصباح ، ويسمع بلبل الأفراح فحياته أصبحت ظلاما مطبقا لا تمرق النور ولا تطيق السرور ، وكيف تمرقهما والمرض ينشر أجنحته السود فوقها . ولا تلبث رياح الخوف والذعر أن تهب عليه من كل مكان ، إذ يرهف سمعه ، فلا يسمع سوى أصوات الموت المدوية وأصداء القبور المرعبة ، وانفوليفزع سمعه قرع أجراس تقترب من بعيد ، بل من قريب في أحشائه وسويداء فؤاده .

وهذا كله يرهف حسه وأعصابه ، فيبكي ويعلم بكأؤه ، ويتجه الى بعض الطير يطلب اليه أن يهجر غناء الفرح القديم الى أنات الجحيم ساكبا في كؤوسها الآلام وأوجاع الحياة ، حتى ينهل منها ما يشفي ظمأه . ويطفئ غلته . ويتوسل اليه في اسى وحسرة أن يندب له أمانيه الخائبة ولياليه السود الموحشة ، مرتلا صوت الظلام الكئيب ، وقد أشرفت الحياة على المغيب في لجّة الظلام العميق .

ولم يستطع أحد ولا شئ أن يرد الشابي عن هذا الشعور بخيبة الرجاء ، فالملة تعصف بقلبه ، وهو يراقب آمله بالحياة وأحلامه ، فيراها تتساقط على نحو ما تتساقط أوراق الخريف ، ألا قلبك وليرسيل الدمع مدرارا ، وما قصيدته أو أغنيته "مأتم القلب" إلا حبات من هذا الدمع الذي يتناثر دائما من عينيه ، وفيها يقول :

فبي الـديـا جـي

كـم أنا جـي

سمـع القـبر يـفـصـا . . . تنـمـيـي وشـجـونـي

ثم أصـفـي علـني أسـ . . . مع تـمـر ديد أنـي

فأرى صـوتـي فـريد

مـات حـسـبي

مـات قـلـبي

فأذرفي يا مـلـة اللـي . . . لـلـسـدر اذرى عـبر ات

فوق قـلـبي فـهو قـدود . . . عـ أوجـاع الحـيـاة

بـمـد أن ذاق اللـهـيب

وثاني الأسباب التي تجعله يتألم بعد مرضه ، هو هذا الحب الذي يرثيه مع قلبه حبه للحياة وما يتألق في بصره من جمالها الذي يسطع على الأشياء والأشخاص من حوله ، وأنه ليريد أن يعانق هذا الجمال بكل جوارحه ، فتزدده يد سوداء تخرج له من الظلام ، تنهأ أن يقترب فيبكي ويئن

ويشمر كأن الدنيا بكل ما فيها من سعادة وجمال وفتنة قد فرت من تحت
بصره ، ولم يمد له إلا كهوف الموت يتمثر بين مخورها . ويا لبؤس الحياة
حين يضغط الممرض على قلب الشاعر وصدرة ، فتسود الدنيا في عينيه ، ولا
يجد ما يفرج عن كربته ، أو يكشف عن غمته ، حتى أمانيه فانها تهوى
متساقطة تساقط الشهب ، ولم يبق للشاعر من دنياه إلا الظلام الموحش ،
والرؤيا المزعجة والأشباح المخيفة ، أشباح الصوت القاسي الفاشم الذي لا
يرحم :

أرأيت شحور الفلا . . . مترنما بين الفصون
جمد النشيد بصدرة . . لما رأى طيف المنون

++XX++

ففضى وقد غاصت أغا . . ريد الحياة الطاهرة
وهوى من الأغصان ما . . بين الزهور الباسرة

++XX++

أرأيت أم الطفل تبـ . . كي ذاك الطفل الوحيد
لما تناول به بعنـ . . ف ساعد الصوت الشريد

++++XX++

أسمعت نوح الماشق الـ . . . لولها ن ما بين القبور
يبكي حبيبتـه فيها . . لمصارع الموت الجسور

فالدنيا حولته ليس فيها إلا أشباح الموت ، وبصره يشاهد هذه الأشباح جاثمة
على صدر كل شئ : الشحارير والأطفال والمهشوقات ، فيستغيث ، ويستجير ، ويأخذه
الفرع من كل جانب . ولم يكن هناك وقت يزدحم عليه فيه الفرع كالليل ، إذ كان
ينهاه عليه الممرض جلدًا ووخرًا وأقنأ ، وكأنه سيهاط من نار أو كأنه سيوف حامية
فكان يخافه ويهربه ويرتجف حين يدنو منه رجفة شديدة ، حتى ليطير عقله
أحيانًا ويطير صوابه ، ان يشعر كأنه سيخنقه خنقًا ، وأغنيته أيها الليل تصور
محنته به ، وفيها يقول :

أيها الليل يا أبا البؤس والهـ . . لويله ميكل الزمان الرهيب

أنت يا ليل ذرة صعدت لك . . ككون من مواطني الجحيم الفضوب

يا ظلام الحياة يا لوعة الحز . . ن ويا معزف التعميس القريب

فيك تنمو زنايق الحليم المذ . . تبوتدوى لدى لهيب الخطوب

وفوق ديك في هفائك السـ . . دتدب الأيام أي ديب

فالليل عنده رمز البؤس والهول وعذاب الجحيم ، وأي عذاب ؟ أنه عذاب المريض

الذي تغلق عليه دائرة حياته ولا تنفتح إلا للآم والوجع .

وانه ليحس في أثناء ذلك بالعزلة في هذا القفر الضيى الذى سجن وراء قضبانة ، ان أصبح غريبا عن الحياة وسط دياجيريه . بل وسط لهيبه الذى تتناثر فيه الزنايق أحلامه ، وانه ليسير وقد أسرا الأيام والآمال في ضفائره السود ، التى قد تشبه أدق الشبه الأغلال والقيود . ويجمع الشابي أمره وينظر في كل هذا الهول الى أعصاقه ، وسرعان ما يقول :

سَدَدَتْ فِي سَكِينَةِ الْكُـوـو . . نَ لِلْأَعْمَاقِ نَفْسِي لِحَظَا بِعِيدِ الرُّسُوبِ
نَظْرَةً مَزَقَّتْ شُغَافَ اللَّيْسَالِي . . فَرَأَتْ لَهْجَةً الظَّلَامِ الْهَيْسُوبِ
وَرَأَتْ فِي صَمِيمِهَا لَوْعَةَ الْحُزْنِ . . وَأَهْمَشَتْ إِلَى صِرَاحِ الْقُلُوبِ
أَمَّا النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ طَيِّسُور . . قَدْ رَمَاهَا الْقَضَابُودُ رَهِيْسُوبِ
يَعْصِفُ الْهَوْلُ فِي جَوَانِبِهِ السُّو . . دَلِيْقُضِي عَلَى صَدَى الْمُنْدَلَسِيْبِ
فَهُوَ يَسُدُّ نَظْرَهُ إِلَى اللَّيْلِ فَلَا يَرَى فِيهِ إِلَّا أَمْوَاجًا مِنَ الظَّلَامِ قَدْ رَسَبَتْ فِي
أَعْمَاقِهَا لَوْعَاتُ الْحُزْنِ وَالْآثَمَةُ وَغَوِيلُ الْقُلُوبِ وَصَرَاحُهَا ، هَذَا الصِّرَاحُ الَّذِي يَطْلُنُ
فِي قَلْبِهِ طَنِينُ النَّاقُوسِ ، وَمَا يَلْبِثُ أَنْ يَلْقَى سَلَا حَبَّهُ ، وَيَسْتَسْلِمُ قَائِلًا :
” أِنَّ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ طَيِّسُورٌ رَمَاهَا قَضَابُودٌ ، وَدَلِيْقُضِي عَلَى صَدَى الْمُنْدَلَسِيْبِ
يَعْصِفُ الْهَوْلُ وَالرَّعْبُ فِي جَوَانِبِهِ الْمَدَاجِيْعُ حَيْثُ الْمَوْتُ فَاغْرَفَاهُ . يَلْتَهِمُ كُلُّ مَا
يَلْقَاهُ .

وعلى هذه الشاكلة أغاني الشابي ، فكلمها حزناً وهكاه ، وكلها ثمرة هذا الألم الذي كان يحصر قلبه عسرا . وكأن هذا الألم هو صممت وحيه ومنبع شا عريته فلولا ، على ما يظهر ، ما تحركت في داخلي نفسة الباطنية عبقرية الشاعرة ، وتميلت أغصانها في ظلمة المرض وهمومه وأوجاعه .

وثالث أسباب الألم الذى يعانى منه الشاهي : الظروف التي كانت ترزح فيها أمته
ان وجد هذه الأمة ترزح تحت كابوس الاستعمار الفرنسي وتستشعر منه ألما مريرا وهو
ألم ينبعث من قلبها وصميمها كما ينبعث ألمه من قلبه وصميمه ، فقد أذهلها
الفرنسيون ، وهولوا حياتها إلى جحيم لا يطاق .

وكان الشعب التونسي في مجموعه كالنائم ، لم يستيقظ منه الا اقلون عددا ، ثاروا
لأمتهم وثار معهم الشابي ثورة تغفلت في أعماقه ، ان تصادف أن كان معلولا ،
فأحس إحساسا دقيقا بملأ أمته وبالمرض السياسي الذي يطحنها طحن الرحى
تحت أنيابه ، انه الاستعمار البشع الفاشم ، الذي أبكلا كلهُ على صدر أمته ، وانها
لتذوق منه ومن ظلمه وبطشه الأثمين ، فترفع رأسها تريد أن تحيا حياة حرة
كريمة ، فينهال عليها ضربا ولعننا ، حتى تخرب مهيضة الجناح ، وهي تئن أنين
الثكلى ويهب الشابي في وجه المستعمر ، فيلطمه بعشل قوله :

الآ أيها الظالم المستبد . . حبيب الفناء عُدَّ والحياة
سُخِرَتْ بآنا ت شـعـب ضـمـيف . . وكفك مـخـضـوبـة مـن دـمـاء
وعشست تدنس سحر الوجود . . وتبذر شوك الأسى فى رياه

XXXXXXXXXX

رؤيدك لا يـخـدـعـك الـريـيح . . وصـحـو الفـضـاء وضـو الصـبـاح
ففى الأفق البرحبهول الظلام . . وقصـف الرعود وعصف الـريـح
ولا تهزأ نـبـوح الضـمـيف . . فمن يـبـذر الشوك يـجـن الجـراح

XXXXXXXXXX

تأمل هنالك أتى حصـد تـ . . رؤوس الورى وزهور الأمـل
ورويت بالدم قلب البـتـراب . . وأشربتـه الدـمـع حـتى ثـمـل
سـجـر فـك السـيل سـيل الدـمـاء . . وبأكلـك العاصف المـشـتمـل

فهو يسجل على عدو شعبه ظلمه واستبداده وما يسفح من دماء الزكية ،
وانه كـيـد نـس رياه الظاهرة بما يفرس فيها من شوك الأسى والألم ، ويقول له :

مهلا لا يـخـدـعـك ما ترى من الصحو وابتهام النور فى السريح ، فستعصف بك عما
قريب ربح صرصر عاتية ، تجرفك هي وأمواج الدماء التي أسلتهاد موعا حمراء فى
بنيات الوطن ، ان كل ذاك سيلتف بك ويبتلعك فى جوفه ابتلاعا .

وهذا الشعر السياسي أو الوطني كان منتشرا فى كل بلاد الشرق الأوسط : فى
مصر والشام والعراق ، ولكن شاعرا لم يبلغ فى هذه البلدان ما بلغه الشابي فى
تونس من حدة الاحساس وعنفه .

حقا نجد عند حافظ والرصافي وأضرابهما تعبيرا سياسيا أو وطنيا مستحدثا
فى لغتنا ، ولكننا لا نجد عندهما هذا الاحساس الحاد الذى يجعل الشاعر
يـحـس فى أعماقه الآم أخته وأوجاعها تلقاء المستعمر الظالم ، فينتفض ويـزأ رفى
وجه الفاصب زئير العاصفة ، على نحو ما يـزأ الشابي ان يقول :

ألا أيها الظالم المـصـرّ خـدّ . . رؤيدك ان الدهر يـبـني ويـهـدم
أفرك أن الشعب مـفـرض على قـد ي . . لك الويل من يوم به الشر قـشـم
سيثار للـعـزّ المـحـطـم تـاجـسـه . . رجال اذا جاش الردى فهوهم
رجال يرون الذل عارا وسـبـة . . ولا يرهبون الموت والموت مـقـد م
ألا ان أحلام البلاد د فينـسـة . . تـجـمـجـم فى أعماقها ما تـجـمـجـم
ولكن سيأتي بـمـد لا يـنـشـورها . . وينشق اليوم الذى يـتـرنـسـم
هو الحق يبقى راكدا فاذا طفى . . بأعماقه السخط العـصـوف يـدـمـم
وينمط كالصخر الأصم اذا هوى . . على عمام أهنام العتو فيهمـم

وهو في هذا الزئير الذي يدمدم فيه دمدمة الأسد لا يقف في صف أمته فحسب ، بل هو ينطق بلسانها وروحها ويمر عن ضميرها ومكنون أحلامها وأنها لا بد يوما أن تشأركرامتها وحريتها التي ذبحها المستعمر ذبحا وولغ في دمها وما يزال الدم عالقاً بفسه ، انه يوم البعث والنشور ، يوم الحق الذي يهوى فيه نجم الباطل .

وإذا كان الشابي هان يوما وذل أمام الصّابو أمام مرضه الذي يعيش في قلبه ، فإنه لم يهين ولم يذل أبدا أمام المستعمر بل ظلّ قويا متحفّزا ، يريد أن ينشب أظفاره فيه ، بل أظافر شعبه ، ومن أروع ما يصور ذلك أنشوده "ارادة الحياة" والتي يقول فيها :

إذا الشعب يوما أراد الحياة . . فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بدّ لئلا أن ينجلي . . ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يمانقه شوق الحياة . . تبخر في جوها واندثر
كذلك قالت لي الكائنات . . وهدّني روحها المستتتر
ودمدت الرياح بين الفجاج . . وفوق الجبال وتحت الشجر
إذا ما طمعت السى غاية . . لبست المني وعلمت المسير
ولم أتخوف وعور الشما ب . . ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صمود الجبال . . يمشي أهد الدهر بين الحفر
وأطرقت أصفي لعزف الرياح . . وقصف الرعود ووقع المطر
وقالت لي الأرض ما تسأل . . تيا أم هل تكرهين البشر ؟ !

أبارك في الناس أهل الطموح . . ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان . . ويقنع بالعيش عيش الحمار
هو الكون يحب الحياة . . ويحقر الميت المنكد شر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور . . ولا النحل يلثم ميت الزهر
فويل لمن لم تشقه الحياة . . همة من كمنة المدم المنتصر

وهذا الشعر كله قوة ، وكأن الشابي يريد أن يبعث أمته ، فلم نفسه ونفخ في الصور ، لعلها تحيا من جديد ويحيا معها ميت الأمل ، انه يريد أن ينقذ الضحية من يد جزائها ، وهو يدفعها لعلها تشور ثورة فيها جرأة وفيها قوة وفيها مخاطرة ، حتى تفقدى نفسها ، بل حتى تشأركرامتها وعزتها الطريحة .

ويستمر الشابي في بقية الأنشودة مقبلا على دنيا فهو طموح ، قد خلع عنه رداء التشاؤم ، وكأنما أحس الحياة وتألفت فيها إرادتها ، وأراد أن يعكسها على أمتلتها من رقادها ، وتنفض غبار الذل والاستكانة عن بصرها وبصيرتها .

ويمر به الليل فلا يؤذيه ، بل ينتشي فيه ويسكر من ضياء نجومه وينا غيه ، ويشعر
بظلمة الليل من نهر الحياة ، ويقبل عليه يريد أن يقبض منه ، كما يقبل على
النور يريد أن تكتحل به عيناه .

ورابع أسباب ألمه : موقف أعدائه منه وخاصة هؤلاء الذين لا يقدرّون أدبه
وشعره ، ولم يكن يثور الشابي لشعبه من دونه ، بل كان يثور أيضا لنفسه ثورات
شخصية ، فقد أصيب بخصوم لا يقدرّون له أدبه وشعره ، وكان هذا يحزّ في نفسه
ويؤلم صدره ، وكان اذا عاد له شيء من نقاهته حول بصره اليهم فأنشد
أناشيد مدوية تأخذ بأسماعهم وأبصارهم من مثل تشيد " الجبار " الذي يصور
تسكه بارادة الحياة وهو يستهله بقوله :

سأعيش رغم الداء والأعداء . . كالنسر فوق القمة الشماء

أرئو الى الشمس الضيئة هازئا

بالسحب والأطمار والأنواء

لا ألمح الظل الكثيب ولا أرى . . ما في قرار الهوة السوداء

وأسير في دنيا الشاعر حالما . . غردا وتلك طبيعة الشعرا

وأقول للقدر الذي لا ينثنى . . عن حرب أمالي بكل بلا

لا يطفئ اللهب الموجج في دمي . . موج الأسى وعواصف الأرزاء

فأهدم فؤادي ما استطعت فانه . . سيكون مثل الصخرة الصماء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا . . وهراقة الأطفال والضعفاء

ويعيش كالجبار يرئو داءا . . للفجر ، للفجر الجميل النائي

ويمضي في هذا الصوت القوي معلنا أنه لن يهتم بالقدر وما يضعه في طريقه

من مخاوف الليل وزوابع الشكوك وصواعق البؤس ، فسيستبصر بروج عالم متوهج
بالنور ، ولن يلقي بالاً ولا اهتماما لما ينشره حوله من ظلام حالك .

وحتى ان عمر وافاه القدر المحتوم فسيكون سعيدا لتحولته عن عالم البغضاء

والاثام وهذه الوجوه الصّبرة من حوله التي تود لسوتداعى بناؤه ، بل انهم ليشعلون
النار يريدون أن يشعروا عليها أشلاء ، ويتوجه اليهم بخطابه :

ان المماول لا تهدد ضاكي . . والنار لا تأتي على أعضائي

فارموا الى النار الحشائش والمبوا

يا معشر الأطفال تحت سمائي

وكان يألم على ما يظهر أشد الألم لما يزدري هؤلاء الخصوم من شعره وفنه ،

وكانهم يعرفون أن هذه عادة النفوس الضعيفة ، فأصحبها كالنباتات الطفيلية ترى

الشجرة الباسقة وقد علت رأسها وتمادت في السماء ، فتلفّ بها تريد أن تصمد اليها

وتود لو تجهز عليها فتستريح منها ومن علوها ، وما بأيديها ولا بأيدي أعداء الشابي
وأمثالها أن يمنعوا صعود الجبال والأشجار إلى عنان السماء ، وما كان لهم أن يطغثوا نور العبقرية
أيّة عبقرية من العبقرية أراد الله لها أن تنبئ وتتلأ لا رغم أنوفهم .

وعلى هذا النحو لم يكن الشابي يلق خصومه بشي من التسامح ، فقد كان
حاد الحس والشعور فتحوّل يقذفهم بهذه الحجارة يريد أن يدمي رؤوسهم ، ويوسع الدائرة التي
يقذف بها حجارته فلم يقف بها عند طائفة معينة من شعبه ، بل ربما عمّ بها الشعب كله
في ساعة من ساعات غضبه ، فإذا هو يصب عليها طوفانا من الأحجار رحتمسي
ليقول :

أيها الشعب ليتني كنت خطا . . . يا فأهوى على الجدوع بفأسني
ليت لي قوة الأعاصير يا شعبه . . . بي فألقي اليك ثورة نفسي
ليت لي قوة الأعاصير لكـنـن . . . أنت حيّ يقضي الحياة برمس
أنت روح غيبة تكرر النـمـو . . . روتقضي الدهور في ليل مـلـس
في صباح الحياة ضمخت أكوا . . . بي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فأهرقـت . . . رحيقي ودست يا شعب كأسي
ثم نضدت من أراهاير قلبي . . . باقة لم يمسهـا أي أنـسي
ثم قدمتها اليك فمزقـت . . . ورودي ودستها أي دو س
ثم ألبستني من الحزن ثوبا . . . وبشوك الصخور توجت رأسي
ها أنا ذا هب إلى الفـسـلـب يا شمـ

بي لأقضي الحياة وحدي بيأسي

ولا يمكن أن تفسر هذه الثورة على شعبه إلا بأنه كان يستقبل شعره استقبالا فاترا فصب
جام غضبه عليه ، حين رآه لا يعرف مواهبه ، ولا يستقبل أناشيد بالحرارة التي يجب أن
يستقبل بها ، وربما كانت ثورة خاصة فعممها فهو يشوز على خصومه ممن ينكرون عبقريته
الشعرية ويتسع نطاق ثورته إلى الشعب جميعه . على كل حال هي ثورة عابرة في
أشماره ومثلها مثل الدوامة تظهر على الماء ثم تمحى ، وكانت حياة الشابي كدورة
كدورها المرث والامه ، (١) .

وغامس هذه الأسبا التي تدعوه إلى الألم هو وفاة حبيبته ، ولقد ماتت
حبيبته في صباها وتركت له سلا من الألم والذكريات الحزينة ففي قصيدته "جدول
الحب" يقول :

بالأمس كانت حياتي كالسماء البساسمه

واليوم قد أمت كاعماق الكهوف الواجمة

هو جدول الحب الذي قد فوجرت ينبوعه في مهجتي

أجفان فاتن أرتيها الحياة لشقوتـسي

أجفاني فانتمة تترأت لي على فجر الشباب .
كعروسة من غنايات الشعر في شفق السحاب
ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الخيوم

حيث العذارى الخالدات ، يحسن ما بين النجوم
قد كان ذا بالأس ، بالأس البعيد

والأس قد جرفته متهورا ، يد الموت العتيد

بل لقد كان لها أيضا في نشره أثر . ففي مقالته "صفحات دامية من حياة الفنان نراه يبكي
هذا الحب الطفولي الطاهر ، فيبكي فيها حياة مشرقة وألحانا رواقص من حبها السعيد
ثم نراه يند في نهايته ذلك الأس السعيد الذي كان فيه ينعمان بالحب والسعادة دون
رقيب أو نذير ، ولا نظن هذه الصفحات الآن كانت عن حبه هو وحياته ، هو قال :
" . . . تلك كانت حياتي بالأس ، حينما كنت بخورا يتخوع في معبد الحب ، ورحيقا
يهرق تحت أقدام الجمال ، وأنشودة تلهيه تتغنى في هيك الوجود " .

ويقول :

" . . . تلك كانت حياتي بالأس ، أما اليوم فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك الزهرة
الساوية الطاهرة التي كنت تهبط لي البقاء في هذا العالم وبقيت وحدي
بين الصخور أشيب بالموت ، وأتفرزل بأهواء القبور " .

وسواء كنا نعرف قصة حب الشابي في صباه أو لم نعرفها تمامة الفصول
فإننا نستطيع أن نقول : أن الشابي في صباه قد أحب حبا عذبا جميلا ، وكان موت
حبيبته صدمة عظيمة على قلب الشاعر حتى أن صديقه زين العابدين السنوسي
ليعلق أن صدمة الشابي في حبه كانت من أسباب مرضه . (١) .

ويؤيد السنوسي فيما ذهب إليه من أن موت حبيبته كان صدمة عنيفة عليه
ولكنه لم يشأ أن يعزو إليه حزن الشاعر وألموهجته أن الشباب أو الشعراء الذين
عانوا مثل تجربته في مثل عمره كثيرون ، ولم تسطع أثمارهم بهذه الصدمة
القائمة ، وراح يبحث عن تفسير آخر لكاتبه في تفسير الحب فيقول :

" . . . أما أحواله الخاصة فقد كان في درجة محدودة من العيش ، ولم يصرف
عنه التهالك على حب اللذات والحياء ، وأما مرضه فقد صادفه شاعرا كامل
الأداة فليس في أحواله الخاصة كذلك ما يعلل أحزان هذا الشاعر . فإذا
نظرنا إلى أحوال تونس الأخلاقية والاجتماعية والسياسية أيضا فإننا نجد لها
تورث الحزن لا محالة . ولكن كم هم الشعراء الذين زاملوا أبا القاسم
الشابي ، ولم تستبه تلك الأحزان بأثمارهم ؟ " .

كل هذا في نظر الكاتب "روافد ممتعات" . . . اننا ينهضي عنده أن يطلب

تعليل الآم الشابي داخل نفسه ، ويبحث عن التعريف لكاتبه المجهولة في نظريته للأشياء لاغير ، لأن البحث عنها غيرها غير مجد ، وتعليل هذه الآلام بأمور أخرى خارجة عن ذاته لغير تركها اليه النفس .

والكاتب يعني بداخله نفسه : " يقطعة شعور الشابي التي ركلت ما حولها " ويقدر الكاتب أن الشاعر لوعا شري : " بهذه الشعور ولم يرافقه حنين السي حياة أخرى ، لكن من الواضح أن يشتمل شعره على اشراق وبهجة ، تنسينا أحيانا تلك الفيوم من السامية والضجر .
أي أن حلم الشابي الشاعر بحياة أخرى يميز يقطعة الشعور في تلوين شعر الشابي بصيغته القاتمة ، وهو كما يبدو من صياغة الكاتب ليس من الروافد المتممات " فحسب ولكنه يتقاسم الأهمية مع السبب الذي التمسه الكاتب تفسيراً لحزن الشابي ويقطعة شعوره .

وأما الدكتور - نعمات أحمد فؤاد - فصهي ترى أن جميع العوامل السابقة من مرض ، وفقد أحبة ، وتماسكاً وطنه في أيامه ، ويقطعة شعوره ، كلها عوامل لا يكاد يرجح أحدها على الآخر في تعليل ألمه بل إنها تتساوى تقريباً في الوصف إلى هذا التعليل . (١)

كفاح الشابي :

=====

لم يكن الشابي شاعراً تشاؤمياً حزيناً منطوياً على ذات نفسه ، فيتمدد عن الحياة وعن المجتمع ، وإنما كان انساناً حساساً مرهف الحس كاد احساسه بالأحداث والانفعالات يصل درجة الكمال ، وهكذا مضى الشابي يفعل بأحداث مجتمعه ومساوويه ، والشابي لا يمكن أن يساير حياة الاستكانة والضعف ، حياة يسيطر عليها الجمود والموت ، حياة تفرغ عليها أسراب الرجعيين الاستعماريين بأجنحتها السوداء ، فتظلم عليه الجؤولا يرى من نور الشمعة إلا قدراً قليلاً ضئيلاً ، كان عليه اذن أن يكافح لبني المجتمع الذي يريد ويمثله ويهدم الحواجز التي تعوقه ، ولم الشابي قائداً عسكرياً حتى يشنها انقلاباً يطيح بالمتجربين عن عروشهم ، ولا زعيماً سياسياً حتى يدعوا إلى الاضراب ، والمظاهرات حتى يفرض على الشعب رأيهم وان كان فعلاً قد فعل شيئاً من هذا في أثناء دراسته في الجامعة الزيتونية ، وإنما كان شاعراً فناناً لا يملك سوى روحه وشعره وقلبه ، فذوب شعره قرباناً لبلده وشعبه ،

وراح يشدوا على قيثار الشمر أروع أغاني الكفاح ، وراح يبيت الثورة في نفوس الجامدين
الخامدين المستذلين ، وراح يندد بالظلم ويدعو الى الحرية والبناء ، وكانت قصائده
للشعب ترانيم سماوية خالدة ومبعث نور وقوة خارقة في الأدب وطرق الانبعاث القومي
والانسانى الحر .

واذا كنا نرى في تونس اليوم نهضة سياسة وأدبية واجتماعية فنحن مضطرون الى
أن نعود الى كفاح هؤلاء الأوائل الذين وضعوا حجر الزاوية في بناء صرح النهضة
بتونس الحديثة : أمثال أبو القاسم الشابي - والطاهر حداد محرر المرأة - وخير الدين
باشا المصلح العظيم وغيرهم من رجال الاصلاح والبناء والتمجير ، ويمكن تلخيص كفاح
الشابي في عنصرين هامين هما :

- ١ - رسالة الشابي التحررية .
- ٢ - كفاحه في سبيل هذه الرسالة .

أولا : رسالة الشابي

=====

هذه الرسالة التي نتحدث عنها اليوم لم يختلقها الشابي اختلاقا ، ولم يفرضها
على مجتمعه ، وانما فرضتها عليه ظروف مجتمعه الجامدة الرجعية الظالمة ، فمن أول
يوم من أيام دراسته بالزيتونة نجده نائرا على أنظمة تدريس الكتب القديمة المصْفَّرة
المتعفِّنة ، ومن أول قصيدة في شعره نلمس منها ثورة على أنظمة الشعر العربي التقليدي
المطبوع بكل ما فيها من أدران وتفاهات ، فلقد كان مؤمناً بالشعر كقضية ومبدأ ورسالة
وليس كنظم يراد به أغراض تافهة من مدح وهجاء وعرضيات .

ولقد أوضح الشابي رسالة التجديد كلها في مقال واحد هو (نقطة الاحساس)
ويقظة الاحساس هي تلك الفلسفة الشاملة التي عرضها الشابي في سائر الياديين في المجتمع
وليس أقدر على شرح فكرة الشاعر الا ايراد مقتطعات من مقاله :

قال الشابي مضمرا عن هذا الأمل الذي يراوده في كتابه الخيال الشمرى عند العرب .

نقطة الاحساس وأثرها في الفرد والجماعة :

=====

" تسمع لهذا الشاعر فاذا أنت أمام روح الهى نبيل يسمو بنفسك الى آفاق الحق
والفن والجمال ، ويجعل منك كتلة من شعور قدسى مشبوب ، وتسمع لآخر فترى أنك تسمع
لحديث ساذج بسيط لا يميزه من أحاديث الناس المادية الارنة النغم ، وتواتر القوافى
وجمال التعبير ، وتسمع لفيره فتخال أنك تجلد بالسياط أو تساق الى الموت !! " .

" وهذا شعب من شعوب الأرض يجد ويكدح ويهتج ويخصب أينع الثمار وأحلاها
فاذا له حياته الأدبية الناضجة ، وحياته العلمية الراقية ، وحياته المادية المهدبة ، وشاعره
الطامحة الى ما هو أجل من ذلك وأسمى ، الى المثل الأعلى المحجب في الظلام ،

وهذا شنب آخر منصرف الى التبطل والفراغ ، مخلص الى الكسل الخمول ، لا يعلم ولا يعمل ولا يعتج ولا يجود على الانسانية بخير ، ليس له فن ولا علم ولا أدب ولا طموح بل ولا حياة أيضا الا كما تما مشيته في الحقل وآبدة الجبل ، فما السر في هذا التفاوت الواضح بين هؤلاء ؟ " .

سنتقول الحرية ، فكما كان الفنان حرّاً في فنه اكتشف آفاق جديدة من السحر والجمال وبذلك يسمو على غيره من لا يعطى فنه حرية الحياة ، وهذا حسن لولا أنه ان صح صرفه الى الفنان فانه لا يصح صرفه الى الشعوب ، لأنك كثيراً ما تجد الشنب حيا منتجا تزخر في عروقه دماء الحياة وعزها ، ومع ذلك لا يملك من الحرية ما يتكافأ مع حيويته ونتاجه وهو فوق ذلك تعليل للشئ بغير علة .

وعندى أن السبب الحقيقي لذلك هو " يقظة الاحساس " لأن حرية الفنان في فنه انما هي أثر من آثار هاته اليقظة الروحية وثمره من ثمارها ، فاذا ما تيقظ الاحساس في قلب الشاعر والفنان — بتعبير أشمل — كان له — بالرغم منه — استقلاله الذاتي الذي يشعره بأنه قوة حية منتجة ، من المستحيل أن تندمج في سواها ، وألا تشق لنفسها سبيلا بكرًا للمجد والحياة ، وكانت له كرامة تترفع عن أن تذوب في غيرها ، أو ان تنحط الى درك التقليد ، وبذلك تصبح نفسه شعلة نامية حية تتوهج في قلب الحياة ، وطائرا ساويا يتغنى بأفكار البشر وأحلامهم .

واذا تيقظ الاحساس في نفس الشنب ، وروح الأمة ، تحركت في صدره — برغم كسل شئ — تلك الأشواق الطامعة ، والرغبات الجامحة ، التي كانت مكحلة نائمة في ليل الدهور وان ذلك يشعر بنفسه — واذا قلنا يشعر بنفسه فقد قلنا كل شئ — ويعلم أنه عضو في هاته الجامعة البشرية ، عليه واجب السعى والعمل في سبيل كفاح الانسانية المنشودة .

وان شنباً يكون مستيقظ المشاعر ، متسع جوانب الحياة ، لجدير بأن يستخرج من الحياة خير ما فيها من فن وصحة ، وان فناً يكون مصدره ذلك العطش الروحي الذي يلهب النفوس ، وتلك المواقف الشائرة التي تصصف في قلب الشنب ، وبمباراة أخرى ان فناً يكون مصدره تلك اليقظة الروحية المهيبة التي سميناها " يقظة الاحساس " لهو الفن الحى في صميمه ، الفن الذى لا ينصرف الى القشور ولا يقنع بما دون اللبّاب " ومن هنا تفهم معنى أن يقظة الاحساس هي روح الحياة المنتجة الولود ، التي تصل المبهقبة وتؤجج نيران النبوغ " .

هكذا انن عبر الشابي عن فكرته وآمن بها وطبقها على سائر مجالات الحياة بل لقد دعا اليها أيضا في شعره :

لا ينهض الشنب الا حين يدفعه . . . روح الحياة اذا ما استيقظت فيه .

هكذا اذن كاتب الشابي رسالته التي فرضتها ظروف مجتمعه ، هي رسالة التجديد والتطور والبناء والاصلاح ، ولقد كان رواد التجديد مثليين في جمعية قدماء الصادقية ، فانضم الشابي اليها وعلى منبرها دعا دعوته التجديدية الأولى مثلة في محاضراته الخيال الشعري عند العرب.

كانت رسالة الشابي أن يبعث الروح في الشعب الساكت الجامد ، وأن يبعث الثورة في النفوس ، وأن يدلّهم على نواحي الجمال والحب والرحمة والحنان والتطلع الى مناهي الجمال والافتتان بها والايمان بالحياة ، والايمان بالحرية كحق مقدس لكل انسان ، هذه كانت رسالة الشابي في السياسة والمجتمع والأدب وسنتعرض لها بالتفصيل .

الشـابـي ومأساة وطنه :

=====

كان من أهم نواحي رسالة الشابي الوطنية الدعوة الى الثورة والتجديد فلقد كان شاعر الثورة والقوة ، ولم تكن ثورة الشابي ثورة مدبرة مهذبة ، بل كانت ثورة همة ترمي الى الاصلاح والبناء ، كانت ثورة على الظلم والظالمين ودعوة الى الايمان بارادة الحياة الحرة ، تلك الحياة التي تكره الجمود والخمول والخمود ، فذلك نوع من الصوت.

كانت رسالته أن يعيش الشعب حراً غير مقيّداً أو مأسوراً ، وكانت رسالته هي أن يعرف الشعب بالنور وأن يدعو اليه الى الحرية والبناء والثورة على الظلم والظالمين والطفيلان والاستعمار رمز المبودية . الى النور فالنور عذب جميل . الى النور فالنور ظل الاله ولقد كان الشابي مؤمناً ببلاده ومستقبلها ، محباً لها مؤيداً لحريتها داعياً الى تقدمها ، ولقد عبر الشاعر عن هذا كله في قصيدته الرائعة تونس الجميلة حيث قال :

ضيّع الدهر مجد شعبي ولكن

سترى الحياة يوماً وشاحه

لقد آمن الشابي بوطنه وكان دائماً يؤكد أن في أعماق هذا الشعب التونسي ثروة روحية ضخمة وفناقوية ، ولكنها ثروة مهملة وفن غير مصقول وان في طبيعته هاته البلاد سحراً يلهم الصخر أسمى معاني الجمال وأروع الأفكار لو كان للصخر شاعر حية واعية ، وان الداء كل الداء في الألسنة المعبرة ، لا في روح الشعب وطبيعة البلاد .

ولقد كان من رسالة الشابي أن يندد بالظلم والظالمين ، وأن

وأن يفزع مؤامرات الاستعمار وأكاذيبه، ولقد كان ناقما على استعباد الانسان للانسان ثائرا على الظلم أينما كان، فظالما كان هناك ظلم وظالمون، وظالما هنالك سيد ومسود هنالك موت وجمود وخمود ورجعية، ولقد كاث الشابي في نغمته على الظلم والظالمين يحفز الشعوب على الكفاح والثورة اذ يقول:

سيثأر للمز المحطم تاجه. رجال اذا جاش الوري فهمهم
رجال يروث الذل عارا وسبقا. ولا يرهبون الموت والموت مقدم
ولظالما حذر الشابي الظالمين ثورة المظلومين مؤمنا بأن الحق لا بد أن ينتصر وأن ينشر لواءه:

هذار فتحت الرصاد اللهيپ. ومن يبذر الشوك يجن الجراح

ولقد كان الشابي يهاجم الظلم والظالمين ليفسح الطريق أمام الشعب ليعيش ويتحرر ويبنى ويصلح، وكان يحارب الأوهام والخدع الاستعمارية والسياسات المماكرة، التي تدعو الى الادماج.

ولقد دعا الشابي الشعب الى أن يجدد حياته ويطور مجتمعه وأن يعيش حياة مستقلة تنمو فيها شخصيته وذاتيته وروحه، فهو في ايمانه بشعبه ومستقبله نراه يسأل شعبه قائلا:

أينس يا شعب قلبك النابض الحساس؟ أين الطموح والأحلام؟

xxxxxxxxxx

خلقت طليقا كطيف النسيم. وحرّاً ككور الضحى في سماه
فمالك ترضى بذل القيود. وتحني لمن كبلوك الجباه؟
ألا انهض وسر في سبيل الحياة

فمن نام لم تنتظـره الحياة

ولقد أعلنها حرباً شمواء على المفكرين المنزليين عن المجتمع وجمودهم القابعين في أبراجهم العاجية، وكانت رسالته أن يدعو الشعب الى الحياة المتطورة المتجددة، وكانت رسالته أن يصمد بروح الشعب الى آفاق النور وسماوات الايمان بالحياة، والثقة بنفسه وبغده ومستقبله والاحترام لما ضيـهه والايمان بالمخدرات الهائلة في أعماقه.

ولقد عاش الشابي مأساة الشعب كله بقلبه وروحه الحساس، وحاول أن يبعث فيه الروح والثورة على الموت والايمان الصادق بانتصار الحياة، الحياة الكريمة المتجددة المطردة، فهو أول من عاش مأساته الخاصة في مأساة شعبه كله. وبدأت رسالته الى الوعي الاجتماعي المقدس الذي يؤمن بالحق والحب والخير ايمانه بالله - والذي يحرف مواطن الجمال ويبتغيه في الروح الانسانية - وفي الجمال الطبيعي الفتان.

الشابي ومأساة مجتمعه

=====

كان المجتمع التونسي في مبادئ القرن الحالي مجتمعا فكريا ،
عائما يتغشى فيه الجهل والظلام ، وتلتف حوله قيود الآراء الاجتماعية
الرجعية الكثيرة تلك التي كانت تسيطر عليه من كل ناحية : من الناحية
السياسية والادارية والأدبية .

وعلى الرغم من تلك الاشاعات الثورية التي كانت قد تسربت خلال
تلك الظلمات الى هذا المجتمع ، فإن هذه الثورات والأفكار لم تكن لتنتشر
على نطاق واسع ، إذ هي فقط قد انتشرت في جماعة من الشباب يمدون
قلة وهم المثقفون ، أما الباقون وهم الأكثرية والسواد الأعظم من الشعب
فقد كانوا مستسلمين لتلك الأوضاع الفاسدة :

" استسلام العناصر غير العاقلة لمشئة الأيام والليالي " كما يقول جبران
فالمجتمع العربي في هذا الحين كانت تسيطر عليه الرجعية بأفكارها
المقيمة التي تدعي أن كل مجدد شاعر عاق للدين عاص لله ! وكان يكفي
الفئة الحاكمة من شيوخ الدين بتونس أو غيرها أن يدعوا للشعب في
المنابر أن تقاليدهم مسخت وأن قدسياته انتهت ، وأصنامهم المعبودة حطمت
كان هذا يكفي حتى يشور الشعب الجاهل الظلم على الشائنة المجددين
وأن تحاربهم الجموع الفقيرة أينما حلّوا ، منا يؤدي بلا شك الى ضياع
جهودهم وشوراتهم الجديدة هباء .

وكان نمة عامل آخر غير هذه الرجعية المنحلة ، إنها القوى الفرنسية الاستعمارية
فلقد كان من مصلحة الاستعمار أن يظل الشعب في غفوته نائما مسترسلا في نومه
لا يحرك ساكنا للانتفاضة على المستعمرين ، وهم يحتضون ثروته ويستغلون بياديه ،
وامكانياته ، وكان الاستعمار الفرنسي يعمل على نشر الفقر والجهل والاضلال
والمرض وسائر الوضاب التي تعمل على قتل روح الحياة في المجتمع ، وأين لانسان
فقير مريض جاهل ، لا يجد منا يسد رمقه أن يشور وأن يدافع عن حقوقه وأن
يمرف الحق من الباطل ؟ .

هكذا إذن نرى المجتمع التونسي في هذا الحين مجتمعة عليه كل وسائل الهدم ، وقد
تضافرت عليه كل قوى المدوان والشر : من رجعية متأخرة جاهلة في ذاتها ، الى قوى
استعمارية متعسفة غاشمة ، الى تفكرين دينيين ليسوا من الفكر في شيء ، وإنما هم أموات يتنفسون
ويتحركون ، موتى بمقولهم وتفكيرهم ومعلوماتهم ، وأحياء بأجسامهم . وما أذل حياة فيها
موت للعقل والقلب والروح وحياة للجسد إنها حياة حيوانية ليس فيها من الانسانية شيء .
هكذا إذن كان المجتمع الذي عاشر في ربوعه الشابي ، مجتمع محطم

متها لك مستعمر تسيطر على أفكاره الرجعية الخائنة المتسلطة مرة ، مجتمع ليس فيه من مفاهيم البشرية أو مبادئ العدل الانساني سوى صورة مشوهة وكلمات رنانة ، فهل كان على الشاهي الناصر المجدد المؤمن بالحياة وتطورها هل كان يستطيع أن يساير مجتمعا مثل هذا ؟

لقد كان من المستحيل أن يمشي الشاهي بثورته وايمانه وقوته وحيويته مع هذه الأنظمة وهذه الصورة من المبادئ الزائفة ، وكان من المستحيل على شاعر وقائد الفكر مشبوب الماطفة ، رقيق الاحساس أن يرضى عن هذا المجتمع ، وأن يساير هذا النوع الحيواني غير الانساني من الحياة فماذا تراه يفعل ؟

لم يكن الشاهي يملك سوى قلبه وروحه وفنه ، فما هو بقائد عسكري ولا سياسي ولا هو بشي . من هذا القبيل بحيث يستطيع أن يشنها ثورة دامية على هؤلاء المتجبرين ، وغد هؤلاء المستعمرين الفاسدين وانما كان شاعرا والشاعر لا يملك سوى روحه وفنه ، كان شاعرا مرهف الحس مشبوب الماطفة والشعور ، قوى المزيمة راسخ الايمان ، فما كان منه إلا أن ثار على القيود ، وصدحت أشعاره بدعوة صارخة الى التجديد والبناء والاصلاح .

حارب الشاهي الأوهام والخدع والمؤامرات الاستعمارية ، وراح يدعو الى هذا التفكير القدرى المبني على الاستسلام ، الذى فرضته القسوى الرجعية باسم الدين وما هو من الدين بشي ، وأخذ يدعو الى حياة جديدة ووعي جديد وفهم جديد لمشكلات المجتمع ، أعلن هذه الرسالة في كتابه الأول " الخيال الشمري عند العرب " بجرأة وحماسة نادرتهين قال :

" .. لقد أصبحنا نطلب حياة قوية مشرقة ، ملؤها المزم والشباب ومن يتطلب الحياة ، فليعبد غده الذى في قلب الحياة ، أنا من يعبد أمسه وينسى غده ، فهو من أهمل الموت وأنظار القبور الساخرة ، بل لقد عبر عنها في شعره أيضا فقال :

والناس شخصان ذا يسمى به قدم

من القنوت وذا يسمى به أمل

هذا الى الموت والأحداث ساخرة

وذا الى المجد والآمال تتصل

وقد بين صورة هذا المجتمع المثالي الذى يريده ومثله في

مجتمعه الطبيعي - الطبيعة الخالده ، أو الفاب ، فهناك يرى الشاهي أن

المجد والأخوة والصداقة والمحبة والحب والاخلاص والخير - كل هذه تجدها

في الطبيعة ، وهذه ولا شك صور انسانية يريد بها الشاهي أن تتمثل في مجتمعه التونسي ، ولكن أتى له ذلك فالشوط طويل والحرب سجال بين القوى التقدمية الانسانية المتجددة وبين التقاليد المتعفنة والرجعية المتآمرة ، وتلك البيئة الخائفة الذليلة التي تأبى أن تترك تفكيرها الرجعي القدرى وأن تساير ركب التقدم والتطور :

كما قام في البلاد خطيب . . . موقظ شعبه يريد صلاحه
أخمدوا صوته الالهى بالمس . . . فأصواتوا صداحه ونواحه
ألبسوا روحه قميصا ظهرا . . . فأتاك شاك ، يرد جماعه
هكذا المصلحون في كل صوب

رشقات الردي الهم متاحة

غير أننا تناوبنا الرزايا . . . وأستبج الحمى وأى استباحه

ولقد دعا الشاهي الى القضاء على أوصاب المجتمع تلك ورزاياه ، وذلك بأن يؤمن كل انسان بنفسه وروحه وبلاده ، وأن يعمل على خلاصها من كل اثم وشر ، وأن دعوته الى الاستقلال الذاتي ونمو الشخصية الفردية من أهم مراحل دعوته الشعب كله الى الايمان بالنفس والروح وبالوطن وبالتقدم والتطور ، وهي طبيعة الحياة ، فاذا تيقظ الاحساس في الشاعر أو الفنان كان له بالرغم منه استقلاله الذاتي الذي يشمره أنه قوة حيّة منتجة وأنه من المستحيل أن يندمج في سواها والآتش لنفسها طريقا وسبيلا بكر للمجد والحياة .

وكانت له كرامة تترفع عن أن تذوب في غيرها أو أن تتحط الى درك التقليد ، فالشاهي يؤمن اذا بأن ارادة الفرد هي التي تصوغ وجوده وتحدد شخصيته وطريقه في الحياة ، بل هو يدعو الى ذلك ويؤكد دعوته لأنه يرى في ذلك سبيلا الى التطور والتقدم نحو الحرية والالهام والبناء ، والى الاستقلال الذاتي المنبسط عن الروح ، واذا تيقظ الاحساس في الروح روح الشعب تحركت في صدره تلك الأشواق الطامحة والرغبات الجامحة التي كانت مكبلة نائمة في ليل الدهور ، وان ذاك يشمر بنفسه ويعلم أنه عضو في هاته الجامعة البشرية ، عليه واجبالسمي والممل في سبيل كمال الانسانية المنشود وفي سبيل مثل الحياة الطلياء ، وفي سبيل الحق والقوة والجمال .

تلك هي آراء الشاهي عن الشخصية الذاتية للفرد والشعب كما صاغها في مقاله عن " بقطة الحمى " . فهو يؤمن بالذاتية وبالحرية الفردية والشخصية الذاتية للفرد والجماعة والشعب وهو يحب أن

أن تتطور هذه الذاتية حتى تصل الي الحياة الانسانية الحقيقية فتعيشها بأدق معانيها وصورها .

وليس معنى ذلك أن تندمج فيها وأن تترك روحها الذاتية والقومية وانما معنى ذلك أن نشارك في بناء المجتمع المثالي الفاضل للانسانية كلها ولذا يدعو طائر الشعر - طائر شعره هو - أن يبتث الشهور في القلوب الدامية الجامدة ، وأن ينشر الايمان ببقظة الاحساس التي هي عماد الحياة الانسانية السليمة :

يا طائر الشعر رُوح على الحياة الكئيبة
وامسح بريشك دمع القلوب فهي غريبة
وعزها عن أساها فقد دنتها المصيبة
وأنت روح جميل بين الهضاب الحديدية
فانفخ بها من لهيب السماء روحا خصيبة
وابعث بسحرك في قلبها ضرام الشبيبة
ملوقف الشاهي من السفسور والحجاب :

=====

ودعوة الشاهي الى الحب الروحي والى النظر الى المرأة ككائن هي يحس ويتحرك ، وكروح تطيف ، وعقل يفكر ، وليس كجسد ومفاتيح شكلية ليست ضريا من الروحانية فحسب ، ولا نوعا من الايمان بالروح والجوهر فقط ، بل هي أيضا نوع من الملاج الاجتماعي لمشكلة تحجب المرأة وحبسها بين الجدران في البيت .

فالمرأة سواء في الأدب العربي القديم أو في المجتمع العربي أينما كان - كانت عبارة عن جسد وأشكال ، وكان كل الشعر السعري الذي في المرأة - على الرغم من أن كثيرا منه في المرأة - تقريرا منصبا على تلك النغم الجسدية والجمال الشكلي ؛ أما هذا الجمال الروحي الذي يعد المرأة روحا انسانية لها حقوق وعليها واجبات ، أما هذه الفكرة الروحية - فكانت معدومة تماما ، ولقد كان من نتائج هذا النوع من الاسفاف أن صارت المرأة نوعا من الأحجار المصونة والجواهر المكنونة ثقفل عليها البيوت والحجب ، ولم يكن لها أي نوع من الرأي الحي أو الحقوق أو الواجبات ، بل قل كان عليها واجبات : من اطاعة الزوج اطاعة عماء ، وارضاء أقاربه ، والاستخفاء وراء الحجاب حيث كانت هذه الواجبات هي كل حياتها ومجالات نشاطها ولم يكن

لها أي نوع من أنواع النشاط الذاتي .
وفي مبادئ هذا القرن الحالي عندما صار كل شيء في العالم
العربي كان لتحرير المرأة دور عظيم وبخاصة في كتابات قاسم
أمين في مصر ، ثم صداه في تونس والمغرب العربي على يد
الطاهر حداد الذي ألف كتابه " امراتنا في الشريعة والمجتمع " .
قال فيه :

١٠. إذا كنا نحترق المرأة ولا نمبأ بها هي فيه من هوان وسقوط
فإننا ذلك صورة لاحتقارنا لأنفسنا ورضائنا لما نحن فيه من هوان
وسقوط. وإذا كنا نحترمها ونحبها ونسمى لنكمل ذاتها فليس ذلك
الآن صورة من هبنا واحترامنا لأنفسنا وسعينا في سبيل تكميل ذاتنا.
ولقد لقيت هذه الدعوة الحارة التأييد الكامل من الشاهي ،
فهو في ثورته الاجتماعية كان يؤمن أنه على جميع أفراد المجتمع
أن يشاركوا في بنائه وإنشائه ، لذا نراه في معرض دراسته لمفاهيم
الشعر القديم يقول :

.. فالشاعر القديم لم يكن يفهم المرأة إلا أنها جسد يشتهي ومتعة من متع العيش الدنيوي، أما تلك النظرة السامية التي يمتزج فيها الحب بالاجلال والشغف بالتوقير، أما تلك النظرة الروحية الصيقة التي نجدها عند الشعراء الأوروبيين فإنها معدومة أو كالمعدومة في الأدب العربي، كله إلا اذا أستثنى منه الأندلس الأقل. لم يعرف العرب ولا الشاعر العربي تلك النظرة الفنية التي تعد المرأة كقطعة فنية من فنون السماء يلتبس لديها الوحي والالهام ولم يحاول الشاعر العربي أن يحس بما وراء الجسد من روح جميلة ساحرة تمثل في جنبها سعادة الحب ومعنى الأمومة، وهما أقدر ما في الوجود..

ولقد حاول الشافعي - ولقد نجح فيما حاول - أن يطويع شعره لتلك النظرة الروحية التي المرأة في المجتمع والتي ثورته على أوضاعها وأن يستجيب لظمأه الروحي التي مثال رفيع للمرأة يملأ قلبه ومشاعره .
ولقد جاء شعره شالا صادقا على فهم المرأة كإنسان حتى يعمش ويتحرك ويفكر بروح إنسانية جميلة ساحرة ، تطيف في عوالم الجمال والغموض ، لذا نجد أيضا في شعره ما يحمل معنى القداسة للمرأة والربط بينها وبين أقدس ما في الطبيعة من مظاهر وقيم .

والشابي أيضا يرمي في شعره الى تقديس الحب كوسيلة وغاية
شجع الوجود كله ، وهو في ذلك يحاول أن يبعث في الناس حب
الحياة والأخوة ، وحب الوطن ، وحب الجلال ، ولقد كان الشابي شاعر
الحب بحق ، فهو لنا بما للحب من قيم مثالية في عالم الواقع
ولذا نراه يصبر في هذا عن شعره فيقول :

أيها الحب أنت سر وجودي . . . وحياتي وعزتي وإثباتي
وشماعي ما بين ديجور دغري

وألغبي وقرتي ورجائي

والشابي في ثورته على المجتمع إنما يدعو الشعب الى أن يؤمن
بالحياة ، وبالحياة المتجددة المتطورة فهو يقدها ، ويدعو لها في
شعره ، ولقد كان شعره صورة صادقة للحياة بمآتم معانيها ، وصورة
صادقة للحب حب الحياة بأسمى غاياتها :

فأنا اذن طفل الحياة المنتشي

شوقا الى الأضواء والألحان

وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها

ضرب من البهتان والسهذيان

ولكن الحياة عند الشابي لا تمنى التنفس والتحرك من سائر صفات
الجسد ، وإنما الحياة عنده التجدد والتطور والبناء والاصلاح ، وهي أغيرا
الايمان بالحياة المتجددة المتطورة ، وهو بهذه لفكرة وبهذه الدراسة
الجديدة في شعره غذاء روحيا للشعب التونسي ابنا محنثه في أثناء
الاحتلال الفاشي وسياسة الاذماج والرجعية المتأخرة وسياسة الخمود
والجسود والسكوت والموت وهو يدعو الى هذه الحياة ، حياة الكفاح في
شعره ونثره ، أنظر اليه في قصيدته " ارادة الحياة " يقول :

وقالت لي الأرض لما شاءت . . . تيا أم هل تكرمين البشر ؟

أبارك في الناس أهل الطموح

ومن يستلذ ركوب الخطر

وألمن من لا يماشي الزمان . . . ويقنع بالعيش عيش الحجر

هو الكون حي يحب الحياة . . . ويحتقر الميت المنسدر

فويل لمن لم تشقه الحيا . . . من لعنة المدم المنتصر

والشابي يدعو في شعره الى تقديس حرية الانسان ، والدعوة

الى كسر القيود بتقدير أن الحرية هي أعظم ما في الوجود :

ألا تراه في هيمته هذين يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة... فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لئلا أن ينجلسنى... ولا بد للقيد أن ينكسر

فهو إذن يكافح التقاليد المتعفنة والرجعية، والبيئة الخائنة،
ويحاول أن ينشرف فيها روح الحياة والحرية، والقوة والمدل والانسانية،
ويغهم روح الانسانية، ويفهم كل تلك المبادئ التي وضعت لتسير عليها
الانسانية في طريقها الى الكمال، والحب والجمال، تلك المبادئ التي
أنتزعت من قيمنا الاجتماعية، والتي بنيت على أساس من المقائد
الدينية والسماوية العليا، فهو يقول :

هل الحروب سوى وحشية نهضت

في أنفوس الناس فانقادت لها الدول

فأيقظت في قلوب الناس ماضية

فاستودت الشمس وأربدت لها السبل

فالدهر منتعل بالنار ملتحق

من الماتم والأيام تشتعل

والأرض دامية والكأس حامية

والشر يخفق في أفاقها مثل

والموتيسيح في موج الضجيج فلا

يبقى ويخطف من قد خانه الأمل

رأى الشاهي في الأدب والشعر المصري القديم

=====

ولكي نتعرف على رأي الشاهي في الشعر المصري القديم، لا بد

من عرض رأيه مثلاً في رسالة بحث بها الى مجلة " أبوللو " يرد

بها على أحد ناقدى كتابه " الخيال الشعري عند العرب " قال :

"... انني اذا كنت أدعو الى التجديد الأدبي وأعمل له فنان ذلك

لا بدفني الى الهز والسخرية بناداب الأجداد... كما قد حسب

بل اني لأومن كل الايمان بما فيها من جمال فني وسحرى قوى

وأعتقد أنها قد أتت في صورتها الحية لأجدادنا بكل ما طمحت

اليه أشواقهم من غذاء معنوي دسم، ولكني أومن الى جانب ذلك

أن في الحياة اتفاقاً جديدة مبهولة ساحرة، غير ما فى الأدب

المصري من اتفاق، وان هذا الأدب اذا كان قد سد خلة آبائنا الروحية

فانه لمعجز كل المعجز على أن يشبع ما فى أرواحنا، من جوع وعطش،

وطيوح، وأنه إذا كان لزاما علينا أن نعجب بهذا الأدب، وأن نفخر به كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية، وكجسم ذهبي نرجع إليه كلما أردنا أن نصوغ أفكارنا عليها الساحرة الجميلة، فإن ذلك الاعجاب لا ينهني أن ينقلب في نفوسنا إلى تقديس فعبادة، فجمود، فإطلاق لأبصارنا عن كل ما في السماء من أشعة ونجوم.

ليس من شك أن أحدا لا يستطيع أن يكون هذا الرأي، فهو الحق كل الحق، عبر عنه الشابي في إيجاز وبلاغة، ولكن لا يستطيع أن يؤمن به كشعر مناسب لعصرنا الآن، فعصرنا بلا شك يخالف كل العصور السابقة، وإذا كان كل شيء لا يستطيع إلا أن يتأثر باختلاف العصور السابقة، وما طرأ على الناس من اختلاف وتباين في مشاربهم ومذاهبهم سواء أكان هذا الاختلاف جوهريا أم عرضيا، فإن الأدب أجدر كل هذه الأشياء بالتأثر بهذه المظاهر، لأن الأدب ليس إلا تعبيرا عن روح العصر وأمانيه وما يجول في أذهان الناس فيه، فيجب إذن أن يتطور وأن يسهم في بناء هذه المجتمعات الانسانية الجديدة، مجتمع الخير والحب والجمال والكمال.

الشعر والشاعر في رأى الشابي

=====

كان الشابي أول من اتخذ من الشعر قضية انسانية مكتملة المعالم، تمس الروح البشرية في الصميم، وكانت رسالته هي أن يدفع بالشعر والشاعر إلى درجات التقديس والاحترام، بوصف أن الشعر روح الانسانية، وأن الشاعر رسول نور وقائد دائم، يرتفع بها إلى المثل الأعلى، لترتفع أن وتسمو بحياتها وواقعها، وكانت وسيلته إلى ذلك أن يصل الفنان بواقعه، وأن يصل الشعر بالحياة، بحيث يكون ممبرا عن أحوال المجتمع وظروفه، وأن يكون مصورا للمعاني الساعية الخالدة في الانسان والمجتمع. والشعر عند الشابي هو الحياة بنفسها، في حسناتها وجمالها، في صحتها وضحتها، في هدوئها وثورتها، وفي نومها ويقظتها، وفي كل صورة من صورها ولون من ألوانها.

والشعر هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وعدير البحر، وبسة الورد الحائرة، يدمدم فوقها النخل ويرفرف حولها الفراش، وفي النخلة البصرة المفردة، يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول، وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار، وفي مطلع الشمس وغروب النجوم، وفي كل ما تراه وتسمعه

وتحبه وتكرهه وتخشاه .

نعم هذا هو الشعر المعبّر ، وهذا هو الشعر الوجداني الروحي الذي تفرضه نفس الفنان على الفن ، وهو الشعور الذي يرى في الحياة حقيقة من حقائق الوجود المقدسة ، ويرى في الموت صورة من عدم التطور والتقدم ، فالشعر عنده "تصوير وتعبير" .

تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك مغنية ضاحكة لاهية أو مقبلة واجمة باكية أو وادعة حاملة راضية ، أو محترمة شائرة ساخطة ، تصوير لأثار هذه الحياة التي تحس بها في أعماق قلبك وتقلبات أفكارك ، وخلجات نفسك وزفرة أحلامك وعواطفك .

وهو تعبیر عن تلك الصور أو عاتيه الآثار بأسلوب فني جميل ، صاؤه القوة والحياة ، يقرؤه الناس فيعلمون أنه قطعة انسانية من لحم ودم وقلب وشعور ، لأنهم يحسون أنه قطعة من روح الشاعر ، وعبق من عواطفه ، أو قلذة من فؤاد الحياة .

والشعر هو هذا الأسلوب الذي يكاد يكون كالماصفة حينما يمثل سخط الحياة أو ثورة العاطفة ، ويكون وادعا كضوء القمر حينما يمثل أحلام الحياة وطمأنينتها وسكون النفس ، ويكون رقيقا شجيلا كأنات ناي بعيد ، حينما يمثل نجوى القلوب المتحاببة وشجوها ، ويكون كثيبا مظلمًا كقلب الظلام حينما يمثل بؤس الحياة وأحزان البشر .

ورسالة الشعر عند الشابي هي التي توسع أفق الحياة من نفسك وتجعلها تحس بتيارات الوجود أكثر مما ألفت أن تسدرك ، وتنسيك ، وجودك الانساني لحظة ، وتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ويديغ عليه من نفسه ، إنها تعميق لفاهيم الانسان نحو الحياة ، وتأکید لمبادئ الخير في الانسان ، وتوسيع لفكر الانسان ونظريته نحو أحداث حياته ، فيا لها من رسالة شاقة .

واذا كان ذلك هي صور الشعر - في رأي الشابي - وهذه هي رسالته فلا شك أن قيمة الشاعر ورسالته قيمة عظيمة وصورة أوسع ورسالته أعمق .

فالشاعر في رأي الشابي عين تمتلأ من الدنيا ، وسمع يعميها وقلب يتدهرهما ، ولسان يعبر عنها .

والشاعر هو الرسول والقائد الذي يقود الأمة ليرتفع بها إلى مثله العليا لترتفع في حياتها وتطور إلى ما هو أجل وأعظم ، ولهذا

فلقد كان من رأي الشابي بل والفن عامة ، والشاعر الفنان كل ذلك أعلى من أن يقدره الشعب وأن يتحكم فيه الرأي العام .

ورسالة الشاعر في رأي الشابي هي "رسالة القائد الذي يقود الأمة الى المثل الأعلى، وهو الرجل العظيم الذي ينير للإنسانية جميعا الطريق الى المجتمع السامي ، والى معاني الحب وشابح الجمال ، وسائر المفاهيم الانسانية الخالدة المميقة ، وتلك الرسالة التي وصفها الشابي للشاعر كانت هي التي وصفها لنفسه ، ولذلك حينما نذكر رسالة الشاعر انما نذكر رسالة الشابي نفسه .

اتجاهات الثورة في شعر الشابي

=====

أولا : الثورة الأدبية ، وتشمل الثورة على ما يلي :

(١) : الثورة على القديم والجمود المطبق في شعر الشابي :

في مبدأ حياة الشابي ، أي حوالي سنة ١٩٢٥ م ، وشاعرنا يناهز السادسة عشرة . ونظم الشابي قصيدة كانت من أوائل قصائده عبر فيها عن فكرته عن الشاعر والفن قال :

لا أنظم الشعر أرجو . . به رضا الأمير

بمدح أو رثاء . . تهدي لرب السرير

حسبي اذا قلت شعرا . . أن يرتضيه ضميري

ولقد كانت ثورة الشابي على المعاني القديمة وإيمانه بأن الشعر خاصة والفن عامة أقدم من أن يتعرض لمثل هذه السطحيات - مدعاة للاهتمام بهذا الشاعر المبكر الذي أدرك أدق أسرار الشعر والفن وهو دون العشرين ، ولقد ظل الشابي على ولائه لهذه المبادئ الخالدة ، فمنه لانرى في ديوانه "أغاني الحياة" أي نوع من أنواع الهجاء أو المدح أو التهنية ، أو غير ذلك مما كان يحج به شعر أضراب الشابي في الشرق والغرب ، حتى أولئك الرومانسيين الذين عبّروا عن روح العصر وفكره وتطوره أشال ٣٤ - راعيم ناجي ، وعلي طه ، والزهاوي ، والبرصافي ، وغيرهم .

ولقد كافح الشابي ضد جمود الفكر وعزله وخمود المفكرين ، ودعوه لاتصال الفن بالحياة ، وتمييزه عن مجتمعيها المثالي - كان هذا شار اهتمام آخر لشاعر الخضراء .

(٢) : الثورة على مضمون الشعر - المعاني والأفكار :

دعا الشابي الى ارتباط الأدب بالحياة والتعبير عنها ، وعن أهدافها ، وعن أهم المفاهيم الشالوية السامية التي تبني المستقبل ، مستقبلا

مستقبل الانسان ، ومؤسس المجتمع الانساني المثالي .

ولقد كان الشابي يؤمن بأن رسالة الشعر والشاعر ، هي تحرير النفس من كل أسر ، والثورة على العبودية ، والتمرد على كل قيد والثورة على الأوضاع البالية والأوضاع والتقاليد السخيفة ، والنفاق المتشقق ، ولقد ثار على الفن كارتزاق وتزييف ، وأنكر الشعر كشعور سطحي بمفاهيم الحياة ، ولكن آمن به كرسالة وقيادة وإلهام وشعور بكل ما في الحياة . والشابي كان يريد الأدب المتصل بالحياة أن يقوم على التجربة الصادقة والألا يقوم على التزييف والتهويل ، حتى لا تفسد الصور أو تحجب الحقائق ، فالحقائق هي وسيلة العصر الحديث لفهم ذاته ومكونات نفسه وأدراك مشكلاته .

وهذه النظرة الواقعية للأدب ليست رد فعل للأدب الخيالي الرومانسي في أدب الشاعر ، لأن الشابي نفسه انسان خيالي ، وفنان رومانسي مشبوب الماطفة ، ولكن هذه النظرة الواقعية للأدب هي رد فعل للأدب الكذب ان صح التعبير ، فقد طغى استخراج الأدب من القواميس والكتب الصفراء القديمة الكالحة على العصر الحديث ، طول أربعة قرون أو تزيد ، وكان نتيجة لذلك أن انفصل الأدب والفنان عن شخصيته وذاتيته وأصبح مجرد آلة للطبع والتقليد ، وكان هدف الأديب هو أن ينزع من بطون الكتب يملاً كتباً جديدة ، وأما التجارب الخاصة والشخصية والفنية والذاتية في نفس الشاعر ، فلا تلج لها شيئاً في إنتاجه وفنه .

أغف الى ذلك أن تلك الأفكار التي يضررب بها المجتمع والعالم الخارجي المحيط بالفنان أو الأديب ، وما يمج في صدور الناس في هذا العصر من أفكار وما يعوقهم من مشكلات ، كل ذلك لا تجد له مجالا في فن الشاعر وأدبه . وأدب الحياة عند الشابي ليس مجرد تسجيل سريع للمناظر التي تشهدها العين انما هو فهم عميق لمكونات هذه المظاهر وبواعثها وتكوين متين للملكات الأدبية ، فأدب الحياة لن يكون عميقا الا اذا كان الأديب نفسه عميقا في فكره وتأملاته ، شأنه شأن تشكوف ، وجوركي ، وتولستوى في روسيا ، وبرنارد شو في إنجلترا ، وفولتير ، وجان جاك روسو في فرنسا ، فالشعر أداة تعبير في يد التجربة الحية الصادقة .

ولقد عبر الشابي نفسه عن ذلك فقال في كتابه " الخيال الشعري عند العرب " :
 " لقد أصبحنا نطلب حياة قوية مشرقة ملوها العزم والشباب ، ومن يتطلب الحياة فليعبد غده الذي في قلب الحياة ، أما من يعبد أمسه وينسى غده فهو من أمناء الموت وأنظار القبور الساخرة " .

(٣) : الثورة على الأسلوب :
=====

وتشمل ثورته على الأسلوب ما يلى :

١ - الثورة على الأوزان والقوافى :

الأوزان والقوافى العربية أضيق من أن تتفسح للشاعر الفنان الذى تفتحت روحه ونفسه ورأى ضروها من الشعر العربى ، ورأى كذلك كيف استطاع الفرييون أن يودعوا أشعارهم وأوزانهم أقاصيص ومسرحيات مطولة ، وكيف ترحب هذه الأوزان والقوافى للأغراض والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين لهم القوالب الشعرية ، فيودعوها ما لا قدرة لشاعر عربى على وضعه فى غير النثر ، وكيف استطاع العامة أن ينظموا القصص المسهبة والملاحم الصعبة فى قوافيهم المرسله .

ولقد كان الشعر العربى وما زال محتاج الى تعديل فى الأوزان والقوافى ، حتى ترحب وتوسع وتتفسح لشتى الأغراض الفنية والمقاصد الشعرية ، فنرى من شعرائنا شعراء الرواية وشعراء الوصف ، وشعراء المسرح ، وغير ذلك من هذه الأنواع المختلفة ، التى عجز شعرا العربى عن أن يحتويها .

ولقد كان الشايبى من أوائل من جددوا فى الأوزان : فنحن نرى عنده كثيرا من الأوزان الجديدة التى اتبع فيها نمطا جديدا فى الأدب العربى غير ذلك الذى وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدى ، كذلك أحيا الشايبى نظم التواشيح الأندلسية فى شعره ونحن نرى عنده بعض أمثلة من القوافى المرسله والمزدوجة والمتقابلة ، وغير ذلك من أنواع التجديدات فى الشعر وأوزانه ، حتى يرحب ويتسع لكل تلك التجارب الشعرية والفنية المختلفة .

ب - الثورة على الألفاظ والتراكيب :

دعا الشايبى الى الألفاظ الشعبية الحية - وهى فى نظره - ليست تلك التى تستخرج من الكتب القديمة الصفراء التى عفا عليها الدهر ، وانما تلك التى تعبر بلمغة الطبيعة الحية عن منابع الجمال والكمال .

وتراكيب الشايبى وألفاظه نستطيع أن نقول أنها رومانسية أصيلة ، ونعطيك مثالا لذلك : فوق الندى ، ووصل الحبيب ، ووله الحبيبة ، كلها تعد من التراكيب الكلاسيكية المتينة ، على أننا لو استعرضنا تراكيب الشايبى لوجدنا فيها أمثال : " عزم الحياة " و " صميم الحياة " و " ملكات النفس " و " يقظة الحس " ، وكل هذه ألفاظ وتراكيب رومانسية .

ج - التزام الموضوعية ووحدة الموضوع والثورة على المبالغة :

والشايبى يتوخى فى قصائده الشعرية الموضوعية ، وأن يكون شعرا انسانيا يثير أرقى الملكات الشعرية والنفسية الانسانية ، ويثير المشاعر الانسانية السامية .

والشعر تصادق بين الفكر والمأظفة والموسيقى ، ولكن المأظفة النبيلة الصيقة هى المطلوب ليس الا ، أما تلك المأظف الشريرة المفقوتة فهى ليست من أهداف الأدب فى

شئ .

وتوخى الشايبى الموضوعية فى شعره ، وأخذ به وحدة الموضوع من أهم هذه الصفات التى تميز شعره ، فالشاعر العربى القديم حينما كان يمدح شخصا أو يهجو كان يصفى عليه من الصفات ما يريد هو أن تكون فيه ، وقليلون أولئك الذين أخذوا بالموضوعية والتجرد فى الشعر أمثال : زهير بن أبى سلمى فى العصر الجاهلى ، واسماعيل صبرى فى العصر الحديث ولقد دعا الشايبى الى التجرد فى الأدب والموضوعية فى الدراسة والفن ، ولكنه لم يعم أن يكون الشاعر كالآلة بل كآلة التصوير يطبع الصورة كما هى ، وإنما يعنى ألا يضيف إليها شيئا من الخارج ، وأن يتوخى الصدق فى التعبير والتصوير ، ولا يضير بعد ذلك إذا هو قد خلغ عليها من نفسه ألوانا وصورا وألحانا من روحه ونفسه ، فتفيض الصورة بالحيوية والاشراق ولكن دون أن يبعد عن الصدق فى التعبير والتصوير .

ثانيا : الثورة السياسية والاجتماعية :
=====

كان الشايبى أول من عاش مأساة شعبه الكبرى فى مأساته الخاصة ، وما كان لفنان مرهف الحس مشبوب العاطفة أن ينمزل عن تيار الثورة الذى تعج به الصدور خلال عصره ، ولقد كان الشايبى عاملا فعّالا فى الكفاح ، ذوّب نفسه وروحه فى سبيل فنه ، وذوّب فنه وشعره فى سبيل وطنه وشعبه .

ولم يكن كفاح الشايبى مقصورا على فنه وأدبه ، وإنما كان أيضا كفاحا فعليا ، فقد شارك الشايبى فى معظم الحركات التحررية الصادقة خلال هذه المدة سواء أكانت حركة تجديدية تعليمية كما حدث فى رحاب جامع الزيتونة ، أم كانت حركات سياسية فى جميع أركان البلاد .

على أن الشايبى لم يكن فى أكثر حياته افنانا شاعرا ، وكان سلاحه الدائم البتار خلال معركته تلك ضد البفس والمدوان هو الشعر ، ولقد كانت وطنية الشايبى وكفاحه القومى ووطنية قومية إنسانية وكفاحا قوميا إنسانيا ، فالإنسانية بكل مبادئها ومعانيها ومفاهيمها كانت تسيطر على تفكير الشايبى وشعره أيّما سيطرة ، فكان شعره لمسة إنسانية لجوانب الحياة ، وكانت قصائده الى الشعب ترانيم سماوية خالدة ، وصيحت قوة خارقة فى الأمة ، وكانت نورا يهتدى الشعب الى طرق الانبعاث القومى والانسانى الحي .

لقد كان الشايبى شاعر الحزبة وهب لها نفسه ومضى يدعو لها ، ويصدح بها ، وكان ايمانه بالذاتية الفردية ايمانا عميقا ، وكان يؤمن أن الالهة الفرد وعزيمته هى التى تصوغ وجوده ، وتكون كيانه ، وتبنى شخصيته ، وكان شعره دعوة حارة الى الحرية والنور فهو يقول :

الى النور فالنور عذب ضياء . . الى النور فالنور ظل الاله

((وسائل الثورة في شعر الشابي))

لقد اتخذ الشابي في ثورته السياسية والاجتماعية وسائل متعددة من الضروري أن نشير إليها وهي :

أولاً : الترهيب والتقريع والحفز واللوم والمزيم والطموح :
يقولون : ان شعر الشابي يضطرب ما بين التفاؤل والتشاؤم وهو هكذا حقاً ، وإنما عندى أن اضطرابه هذا ما بين حذرين المتناقضين ، إنما هو اضطراب الأمة التونسية ما بين اليقظة والغفلة ، والعمل والتواكل ، والاصابة والخطأ ، فلقد كان شعره اذاً صدى للأمة في حركاتها وتطورها ، وكان هو المدرس الحكيم ، والزعيم المجهول الذي يضع للأمة خطتها في طريقها نحو الحياة الحرة .

والشعر الوطني عامة إنما يدور حول التفاؤل والتشاؤم والتأمل وعدمه ، والترغيب والترهيب والمدح والتشجيع ، والذم والتقريع ، ولقد أجاد الشابي كلتا الناحيتين ، ولكن شمرة في الترغيب والتقريع كان أكثر شعره الوطني ، وذلك يرجع الى سببين هما :

١ - الضرب الأول هو الأنسب الى نفسه الحزينة المريضة العرجة ، وهو ما نستطيع أن نسميه بمأساته الخاصة .

٢ - ان الأمة التونسية في هذا الحين كانت تغط في نوم عميق وأنا لا أتكلم عن الظاهر ، فقد كان هناك فعلاً بعض الحركات الوطنية الظاهرية ، ولكن هذا لا يعنى أن الشعب كله كان مستيقظاً ثائراً ، وإنما كانت هذه الحركات من عمل الفئة النشطة الناعمة ، وهي قليلة العدد ، ومن طليعتها شعاعنا الشابي ، لذا كان من اللازم أن يكون شعر الشابي فائضاً بالترهيب والتقريع واللوم والثورة وهكذا وجدنا أن شعر الشابي كان نفمة حزينة على حال الشعب وكان صرخة ثائرة على حال الشعب أيضاً .

على أن ثورة الشابي ونقمتها في " النبي المجهول " كانت ثورة على الجسود والخمود ، فان من حق صاحب الرسالة أن ينقم ويهبط على الذين أراد أن يبلغهم الحياة وطبيعتها في رسالته ، فلم يستجيبوا لها ، وقديماً قال نوح عليه السلام " رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً " .

ثانياً : الايمان بالوطن والتحسر على حاله والاستعداد للفداء في سبيله :
آمن الشابي بوطنه وأهله ، آمن بماضيهم العظيم ومستقبله الباهر وعبر عن ذلك كله في قصيدته " تونس الجميلة " :

ضَمَّ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ

سَتَرْدَ الْحَيَاةُ يَوْمًا وَشَاوَهُ .

وهو في ايمانه بالحياة وبالشعب مستعد للتضحية في سبيل تخليصه من جميع الشرور

والآثام التي تعلق به من استعمار ورجمية :

أنا يا تونس الجميلة ، في لجج

م الهوى قد سبحت أنت سباحه

لا أبالي وان أريق دمائي

فدماء العشاق دوما مباحه

لقد آمن الشابي أيضاً في أعماق هذا الشعب التونسي ثروة روحية وفنا ثوريا ، ولكنها ثروة مهملة وفن غير مصقول ، وان في طبيعة هذه البلاد سحرا يلهم الصخر أسى معانيه وأرقها لو كان للصخر مشاعر حيّة ، ولئن كانت الداء كل الداء في الألسنة المعبرة ، لا في روح الشعب ولا طبيعة البلاد .

على أن الاستاذ عمر فروخ يرى أن الشابي كان أولا آت في بادئ حياته مؤمنا ببلاده ، ولكنه بعد ذلك كان ناقما ، نافضا ككتا يديه^٣ إمكان الإصلاح ، ويرى أن قصيدته :^٣ النبي المجهول "مثلا لا تحمل سوى نقمة وثورة على الشعب والأمة .

ولكن حمدي عبد الوهاب يرى أن قصيدته^٣ النبي المجهول "خير شعر وطني ظهر في العهد الأخير ، فغني عن الذكر أن محبة الشعب ليست في الألفاظ المسولة وذكر الأجداد السابقة والتفني بها ، إنما محبة الشعب والعمل في سبيله إنما هما في أمثال تلك الصيحات الثورية الخالدة التي كان يتفجر بها شعر الشابي ، ان محبة الشابي للشعب تتمثل وتتبين في تلك الصيحات الثورية الموقظة الصاخبة التي تبعث في الشعب روح الثورة والتي تبين لهم باخلاص نوع هذه الحياة التي يحيونها وما فيها من مساوي ولها من أوصاب وأمراض وعلل ، وأنظر إليه يقول :

أيها الشعب ليتني كنت حطا

با فأهوى على الجذوع بفأسني

ليتني كنت كالسيول : اذا سا

لت تهدد القبور رمسا برمسي

ليتني كنت كالرياح فأطوى

كل ما يخلق الزهور بنهسي

ليتني كنت كالشتاء فأغشى

كلما أزيل الخريف بفرسي

ليت لي قوة المواصفيا شعبي

م فألقي اليك جرة نفسي

ألا ترى معي هنا اغلاص الشاعر لوطنه وإيمانه به ، انه يريد أن يكون كل شيء مهذبا مذبذبا جبارا من سيول ورياح ، الى شتاء قاس وعواصف شائنة ، كي يدمر أعداء الشعب ، وكي يبعث في شعبه من روحه نار الثورة المأججة في قلبه ، فيثيره على أعدائه المستعمرين . ثم أنظر اليه وقد تصوّر أنه ذاهب الى الغاب ، فقد بعد عن تلك المساويء والمظالم ، التي يضع فيها شعبه دون أن يحرك ساكنا للانقضاض على أعدائه :

ثم أنساك ما استطعت فما أد

ت بأهل لخمرتي ولكأسي

ألا ترى معي وطنية الشاعر واغلاصه وحبّه لشعبه في "ما استطعت" حتى ليخيل اليّ هنا أنه لا يستطيع أن ينسى شعبه ، ويرغم ذلك فان الشابي كان الى آخر لحظة من حياته مؤمنا بالمستقبل ، واذا كانت ثمة روح حزينة تسود شعره عامة ، والوطنيّ منه خاصة ، فان ذلك ليس سوى انعكاس لحاضر بلاده ومأساتها أولا ، ثم لمأساته الخاصة من مرضه وغربته وعذابه الشخصي آخر .

ثالثا : اشارة الشعب ضد الظلم والطغيان والذل والجمود :

هكذا رأينا كيف كان الشابي مؤمنا بمستقبل وطنه ، وكيف كانت ثورته في قصيدته "النبي" وغيرها ، ثورة على الظلم وصيحة من صيحات الثورة والبناء ، ولم تكن صورة لنقمته على شعبه ونفذه كلتا يديه من الاصلاح .

والشابي في ايمانه بالشعب وفي دفعه اليه للكفاح والثورة كان يهاجم الظلم والظالمين ، لكي يفسح الطريق للشعب وأحراره وقواده كي يسير على الدرب حتى يصل الى الكرامة ، الى الحرية والاستقلال .

على أننا أيضا نلمس في شعر الشابي كرها شديدا للظلم والذل والقمود ، وصفها المواقف الأولى التي تموق تقدم الانسانية المنشود وهو لهذا يدعو الى الحرية والاستقلال قائلا :

الى النور عذب جميل . . الى النور فالنور ظل الاله .

ولقد كانت قصيدته "النبي المجهول" دعوة حارة الى الشعب لكي يتحرر ويثور ويبني وهو في بثه الثورة في ربوع البلاد ونفوس الشعب يسائل شعبه أين طبيعته الثورية الاصلاحية البناءة +

أين يا شعب قلبك الخافق الحسنا

س أين الخيال والأحلام !

ولقد دعا الشابي الى الحياة ، الى النور ، الى الحرية الى الثورة
والى البناء ، وكان في دعوته الى الحرية ، يحمل في قلبه سخرية
مزة لهؤلاء الناس الراضين بالذل ، الذين يأبوا الثورة ويمسكونها فهو
يقول :

غُلِقَتْ طليقاً كطيفِ النسيم . . . وَحُرّاً ككور الضحى في سماء
تَغَرَّدُ كالطير أنى اندفعت

وتشددو بما شاء وهي الاله
كذا صاغك الله يا ابن الوجود . . . وألقتك في الكون هذه الحياة
فمالك ترضى بذل القيود . . . وتحني لمن كبلوك الجباه
ألا انهض وسر في سبيل الحياة
فمن نام لم تنتظره الحياة

رابعاً : تهديد الظالمين والطغاة بثورة الشعب وسيله الجارف :

توهي قصائد الشابي الوطنية بايمان عميق بقيمة الحرية وانتصارها
وايمان عميق بانتصار الخير وزوال الشر ، ولقد كان شعر الشابي نذيراً
للظالمين ودويماً دوت في مسامعهم ، فجعلهم يرهبون ثورة الشعب فهو
يقول :

ألا أيها الظالم المستبد . . . هيب الفناء عدو الحياة
رويدك لا يخذعك الريح . . . وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام
وقصف الرعود وعصف الرياح

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

تأمل هنالك أننى صحت . . . رؤوس الورى وزهور الأمل
وأرويت بالدم قلب التراب . . . وأشربتته الدمع حتى ثمل
سجرفك السيل ، سيل الدما
ويألك الماصف المشتعل

ولا شك لدينا أن الشابي في وصفه ثورة الشعب بالسيل والعواصف
المشتعلة إنما يضع صورة حية لهذه الثورة التي يجب أن تكون ثورية
كبرى جذرية تحو كل عناصر الظلم والاستعمار والرجعية ، وهو هنا
أيضا يحذر ويهدد وينذر الظالمين بقوة الشعب وثورته :

سشار للمز المحطم تاجه . . . رجال اذا جاش الورى فهوهم
رجال يرون الذل عاراً وسباً . . . ولا يرحبون الموت والموت مقدم

وهنا أيضا يظهر بوضوح ايمان الشابي بمستقبل الشعب التونسي

في تأكيده بأنهم سوف يثأرون ، ولا شك أن هذين البيتين يحملان دعوة صارخة للثورة وعدم الاستكانة للذل والعار، ثم ها هو ذا يُنذر ويحذر وينقم :

حذار فتحت الرماح الهيب . . . ومن يبذر الشوك يجن الجراح
ثم أنظر الى قصيدته "لعلمة الحق" لترى الى أي حد آمن
الشابي بانتصار الحق وانتصار الشعب، ثم أنظر الى دعوته للشعب
للالتفاف حوله .

ولعلمة الحق الغضوب لها صدى

ودمدمة الحرب الضروس لها فم

على أن الشابي أيضا قد استطاع بوعيه وبفكره الشاقب كشف تلك .

الخدع السني حاول المستمر أن يطمسها وأن يخفيها تحت هذه الكلمات
فها هو ذا يقول في قصيدته فلسفة الاستعمار المقدس أقصد "الثمان
المقدس".

لا عدل إلا أن تعادلت القوى . . . وتصادم الأرهاب بالارهاب

لا رأي للحق الضعيف ولا صدى . . . الرأي رأي القاهر الغلاب

آمن الشابي اذا بالحرية ، ودعا الى ارادة الفرد ، ودعا الى أن
تكون ارادة الفرد هي العامل الأكبر في صوغ شخصيته ووجوده ، ولقد
كان الشابي بايمانه بالحرية وكفاحه في سبيلها يكافح القدرية
والأوهام والخدع ويملنها أن الثقة بالحياة هي كل شيء .

وكان الشابي مؤمنا بانتصار الحق غير أنه في تصويره لطبيعة
الحياة الاجتماعية في قصيدته " في فجاج الألم " كان ذا روح حزينة ،
فهو في تصويره للانسان المتعب الحائر والفتاة الحزينة على أبيها
والأم الثكلى وما الى ذلك من هذه الأشكال للمجتمع التونسي المضطرب
انما كان يعبر عن روح حزينة قائمة .

ولقد كان الشابي يكافح كفاحا قاسيا ، كان يقابل فيه أعداء

رجعيين جامدين حتى لقد رماء رجال الرجعية الدينية بالاحمار
والعميان من فوق المنابر، فهل كان الشابي ملهما ؟

ان شعر الشابي كله في نظرنا انما كان نغمة من نغمات
الايمان ولم يكن فيه الحاد مطلقا حتى في تلك القصائد التي يزعم
بعض النقاد فيها أن الشابي كان ملهما مثل : " صلوات في هيك
الحب " ، وفي " ظل وادي الصوت " :

ففي هيك الحب ينادى الشابي :
 أنت أنشودةُ الأناشيدِ غنّا . . . ك إلهُ الغناء ربُّ القصيدِ
 أنت قُدسي ومعبدي وصباحي
 وريمي ونشوتي ، وخلود ي

يا ابنةَ النور انبي أنا وحدى
 من رأى فيك روعةَ المعبود
 وقال بضم النقاد عنه أنه وشي يؤمن بالله للغناء ، والله للنور ،
 والحب وغير ذلك من صور الاشراك الوثني ، والحقيقة أن الشابي لم يكن
 في شعره وثنيا ، وإنما كان مؤمنا ^{بأن} الله تجسيد لكل شيء طاهر ،
 وهو لهذا يصف الاله بكل هذه الأوصاف .
 أضف الى ذلك أنه كان يؤمن أن على الشاعر أن يتكلم بما يعطيه
 وهي الشعر والأ يتقيد بقيود الألفاظ ، ولا معنى إذن أن نصم الشاعر بأنه
 وثني ملحد لأنه أتى بألفاظ وثنية ، أليس هو القائل :
 صانكن الاله من ظلمة الرو

ح ومن ضلّة الضمير العنيد
 فظلام النفوس شرّ ظلام . . . سرمدي الأسى شنيع الخلود
 غير باقى في الكون الا جمّا . . . ل الروح غضا على الزمان الأبد
 والحقيقة أن الشابي لم يكن وثنيا ، ولكنها الترجمية ، والمجب أن هذا
 هو الذى لا يزال يحدث حتى الآن : فقضية " لا تكذبي " مثلا لكامل
 الشناوى قد منعت من الغناء والنشر في تونس - ذلك لأن كامل الشناوى
 يقول فيها :

كُنت لي قيدا حَرَصْتُ العُمرَ ألا أكسره . . . فكسرتِه
 كُنت لي ذنبا حَزِضْتُ العُمرَ ألا أغفره . . . فغفرتِه

وهكذا كان كامل الشناوى ملحدا في نظر الترجمية الدينية في
 تونس ، فهل كان كامل الشناوى ملحدا ؟ .

يقول حمدى عبد الوهاب : معاذ الله كلا ، وإنما معنى ذلك أن الشاعر
 يحب أن يتكلم ، وأن يعبر بالألفاظ كيفما شاء ، فليس معنى ذلك أنه ملحد
 وأنه ضد الدين ، وإنما الدين الجوعر وليس الألفاظ والمظاهر .
 وأخيرا وليس آخرا ، لقد عمل أبو القاسم الشابي الشاعر المجيد
 لواء الإصلاح الأدبي ، وتحرير الأدب العربي من قيوده ، وشارك في جميع
 الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وكان له شرف بناء الوعي

الجديد في العالم العربي عامة ، وفي تونس خاصة .
ولقد بدأت رسالة الشابي كما آمن بها تظهر في عالم الحقيقة
والواقع بعد أن كانت منذ ربع قرن تقابل بالسخرية والهزء ، لقد
أصبح الشابي اليوم في تونس خاصة والعالم العربي عامة صورة
من صور الثورة السياسية والاجتماعية والعقلية ، وأصبح مظهراً قوياً من
مظاهر الثورة الفنية ، وما هي ذا ثورة الشابي قد انتصرت في كل
مكان ، وهذا هو شعر الشابي قد أصبح رمزا من رموز الثورة والانطلاق
فلقد انتصر الشابي وهو ميت ، لأن شعره خالد لا يموت (١) :

إذا الشعب يوماً أراد الحياةً

فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدرُ

ولا بُدَّ للَّيلِ أن ينجسَ لي

ولا بُدَّ للقيـد أن ينكسرَ

=====

=====

=====

== =====

=====

=====

(١) : الشابي شاعر الفضااء - حمدي عبد الوهاب

بعد الاطلاع على ديوان الشاهي ، وجدت له مجموعة من القصائد الشعرية الرائعة في ميدان الثورة ودرستها دراسة مستأنية ووجدت من الملائم أن أثبتها في هذه الدراسة ، وأشرت أن أدونها حسب تأريخ نظمها ان وجدت الشاهي ذيل كل قصيدة شعرية بتاريخ ووجدت بعضها دون تاريخ ، لذا سأبدأ بالقصائد المؤرخة حسب سيقها وسأضع القصائد غير المؤرخة تالية لها . وأول هذه القصائد وأقدمها تاريخاً قصيدته التالية :

١- خَلِمَ للموت ((١ / محرم / ١٣٤٣ هـ)) - ٢ / آب / ١٩٢٤ م .

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخُسْفَ ، وَمَا . . . مَلَّ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ الْأَرْذَلِ
كُلُّ شَمْبٍ قَدْ طَفَتْ فِيهِ الدَّمَا . . . دُونَ أَنْ يَثَّارَ لِلْحَقِّ الْجَلِيِّ
خَلِمَ للموت يطويه فَمَا . . . حَظَّهُ غَيْرُ الْفَنَاءِ الْأَنْكَلِيِّ (١)

٢- الصَّحَّة ((٢١ / ذو القعدة / ١٣٤٣ هـ - ١٣ / حزيران / ١٩٢٥ م))

يَا قَوْمُ ! عَيْنِي شَامِسَتْ . . . لِلْجَهْلِ فِي الْجَوِّ نَارَا
تَلُوسُ حَابَا رُكْبَا . . . يَطْلُو قَتَامَا مُشَارَا
يُشِيرُ فِي الْأَرْضِ رِيْمَا . . . يُهَيِّجُ فِيهَا غُبَارَا
تُلْقِي الشَّدِيدَ صَرِيْمَا . . . تُبْقِي الْأَدِيمَ حَمَارَا !
مِنْهَا الْفَنَاءُ ظَلَامٌ . . . ! والناسُ مِنْهَا سُكَارَى !
قَدْ أَوْرَثْتَهُمْ دُورَا . . . وَأَعْقَبْتَهُمْ خُمَارَا !
لَا يَفْقِرُ الْمَرْءُ مِنْهَا . . . لِيَلَّا رَأَى أُمَّ نَهَارَا !
يَخَالُ كُلُّ خَيَْالٍ . . . سَرَى تَسْرِيْلَ فَارَا !

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يَا قَوْمُ سِرْتُمْ حَثِيثَا . . . خُطَى ، وَرَاءَ ، كِبَارَا
نَبَذْتُمْ الْعِلْمَ نَبَذَ النُّوَى . . . قَلْبِي وَصَغَارَا
لَبِسْتُمْ الْجَهْلَ ثَوْبَا . . . تَخَيَّدْتُمُوهُ شِعَارَا
يَا قَوْمُ سَالِي أَرَاكُم . . . قَطَنْتُمْ الْجَهْلَ دَارَا ؟
أَضَعْتُمْ مَجَادَ قَوْمِي . . . شَادُوا الْحَيَاةَ فَخَارَا
أَبْقَوْا سَمَاءَ الْمَالِي . . . بِمَا أَضْمَاءَ وَانْسَارَا
حَاكُوا لَكُمْ ثَوْبَ عَزٍّ . . . خَلَعْتُمُوهُ احْتِقَارَا
ثُمَّ ارْتَدَيْتُمْ لِبَسَ وَسْ خِزْيٍ ، وَعَارَا (٢)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يَا لَيْتَ قَوْمِي أَصَاخُوا . . لِمَا أَقُولُ جَهَارًا
يَا شَعْرًا أَسْمَقْتُ لَكِنَّ . . قَوْمِي أَرَاهُمْ سَكَارًا
فَلَا تُتَهَالِ إِذَا مَسَا . . أَعْطُو لِي ذَاكَ أَزُورًا رَا
وَاصْبِرْ عَلَى مَا تُتَلَاقي . . وَاصْدَعْ وَقِيَّتَ الْفِتَارَا .

٣- إلى الطاغية

بتاريخ (١٥ / شعبان / ١٣٤٥ هـ ، شباط / ١٩٢٧ م)
يقولون : "صوت المستذللين خافت" . . وسمع طفلة الأرض أطرش أضخم
وفي صيحة الشعب المسخر زعزع . . تخربلها شمّ العروش، وتهدم
ولمعة الحق الغيوب لها صدى . . ودمعة الحرب الضروس لها فم
إذا التف حول الحق قوم فأنه . . يصرم أحداث الزمان ويبرم

XXXXXXXXXX

لك الويل يا صرح المطالم من غدا . . إذا نهض المستضعفون وصمموا !
إذا حطم المستعبدون قيودهم . . وصبوا حميم السخط أيان تعلم . .
أغرك أن الشعب مفضى على قذى . . وأن الغضاء الرحب وسان، مظلم ؟
ألا أن أحلام البلاد دفينّة . . تججم في أعماقها ما تججم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها . . وينبثق اليوم الذي يتسرنم
هو الحق ينفى ثم ينهض ساخطا . . فيهدم ما شاد الظلام ويحطم^(١)
غدا الرّوع إن هبّ الضعيف ببأسه . . ستعلم من منا سيجرفه الدّم
إلى حيث تجنى كفه بذر أمسه . . ومزدرع الأوجاع لا بُدّ ينعدم
ستجرع أوصاب الحياة، وتنشبي . . فتصفي إلى الحق الذي يتكلم
إذا ما سقاك الدهر من كأسه التي

قمراتها صابّ مرير وعلقم

إذا ضحك الجبار تحت قيوده . . يصيح لأوجاع الحياة ويفهم^(٢) !!

٤- قالت الأيام

بتاريخ (١٥ / رجب / ١٣٤٦ م - ٨ / كانون أول / ١٩٢٨ م)
يا أيها السادر في غيما . . يا واقفا فوق حطام الجباة !
مهلاً في أنات من دستهم . . صوت رهيب سوف يدوى صداه

XXXXXXXXXX

لاتأمن الدهر، ماغفلا . . في كهف الداجي، وطالت رؤاه

(١) : الظلام بكسر القاف الظاء : الظلم

(٢) : الديوان ص ١١٨

فلن قضى الموم وما قبله . . . ففى الفد الحى صباح الحياة

XXXXXXXXXXXX

يا أيها الجبار لا تزدرى . . . فالحق جبار طويل الأناء
يمفى ، وفى أجفانه يقظ . . . ترنو الى الفجر الذى لا تراه (١)
٥ - يا ابن أسى

بتارخ ١٠ من رمضان سنة ١٣٤٧ هـ ، ٢٠ فيفري (شباط) ١٩٢٩ م .
مُخَلِّقَتَ طَلِيقَا كَطِيفِ النَّسِيمِ . . . وَحَبِيرًا كَوْرَ الضُّحَى فِى سَمَاءِ
تَفَرَّدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ ائْتَدَفَسَتْ . . . وَتَشَدُّوا بِمَا شَاءَ وَحَى الْإِلَه
وَتَسْرُحُ بَيْنَ وَرُودِ الصَّبَاحِ . . . وَتَتَمُّمُ بِالنُّورِ ، أَتَى تَسْرَاهُ
وَتَمَشَى كَمَا شِئْتَ بَيْنَ الْمَسْرُوجِ . . . وَتَقْطِفُ وَرْدَ الرَّبِّى فِى رُبَاهُ

XXXXXXXXXXXX

كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْوَجُودِ . . . وَأَلْقَتْكَ فِى الْكُونِ هَذَى الْحَيَاةِ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذُلِّ الْقِيَمَةِ . . . وَتَحْنَى لِمَنْ كَلُوكَ الْجَبَّاهِ ؟
وَتُسَكَّتْ فِى النَّفْسِ صَوْتُ الْحَيَاةِ . . . الْقَوَى إِذَا مَا تَفَتَّنَى صَدَاةُ ؟
وَتَطْبِقُ أَجْفَانَكَ النَّسِيرَاتِ . . . عَنِ الْفَجْرِ ، وَالْفَجْرِ عَذَبَ ضِيَاءُ ؟
وَتَقْنَعُ بِالْعَمِشِ بَيْنَ الْكَهْـفِ . . . فَأَيْنَ النَّشِيدِ ؟ وَأَيْنَ الْإِبْرَاهِ ؟
أَتَخْشَى نَشِيدَ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ ؟ . . . أَتُرْهِبُ نَوْرَ الْفَضَا فِى ضَحَاهِ ؟
أَلَا ائْتَدَفَسَتْ وَسُفِرَ فِى سَبِيلِ الْحَيَاةِ . . . فَمَنْ نَامَ لِمَ تَتَقَطَّرُ الْحَيَاةُ !
وَلَا تَخْشَى مِمَّا وَرَاءَ التَّيْلَاعِ . . . فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِى صَبَاهِ
وَالْإِزْهِجُ الْوُجُودِ الْفَرِيدِ . . . يَطْرَرُ بِالْوَرْدِ ضَافَى رَدَاهِ
وَالْأَرْحُ الْزَهْرُورِ الصَّبَاحِ . . . وَرَقْمُ الْأَشَقَّةِ بَيْنَ الْمِيَاهِ
وَالْأَحْمَامُ الْمَرْجُ الْأَنْبَسَقُ . . . يُفَرِّدُ مِنْطَلَقًا فِى غَنَاهِ
إِلَى النُّورِ ، فَالنُّورُ عَذَبَ جَمِيلٍ . . . إِلَى النُّورِ ، فَالنُّورُ ظُلُّ الْإِلَهِ (٢)

XXXXXXXXXXXX

٦ - النبى المجهول (٣)

بتارخ ٢٠ من شعبان سنة ١٣٤٨ هـ - ٢١ جانفى (كانون أول) سنة ١٩٣٠ م .
أيها الشعب ! ليتنى كنت حطبا . . . يا فاهوى على الجدوع بفأسى !
ليتنى كنت كالسيول ، إذا ساء . . . لت تهبط القبور رسا برمس !

-
- (١) : الديوان ص ١٦٤
(٢) : الديوان ص ٢٢٠
(٣) : الديوان ص ٢٤٦

" فأبعدوا الكافر الخبيث عن الهيبة . . . كل إن الخبيث منبع رجس .
 " اطرده ، ولا تُصيخوا اليه . . . فهو روح شريرة ، ذات نحس ."

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

هكذا قال شاعرٌ فيلسوف . . . عاش في شعبه الخبيث بتعس
 جهل الناس روحه ، وأغصا . . . نيهافساموا شعوره سؤم بخس
 فهو في مذهب الحياة نبهي . . . وهو في شعبه مصاب بمس
 هكذا قال ، ثم سار الى الغما . . . باليحيى حياة شمر وقد س
 وبميداً ، هناك في معبد الغا . . . بالذي لا يظلمه أي بوؤس
 في ظلال الصنوبر الحلو ، والزيتون . . . يقضي الحياة : حرساً بحرس
 في الصباح الجميل ، يشدومع الطير . . . رويشي في نشوة المتحسي
 نافخاً نايه حوالثه ، تهتز . . . وروؤ الربيع من كل فقس
 شمرة مرسل تداعيه الربيع . . . ح على منكبيه مثل الدمقس
 والطيور الطراب تشدوا حواليه . . . وتلفوا في الدوح ، من كل جنس
 ويراه عند الاصيل ، لدى الجسد . . . ول يزول للظاثير المتحسي
 او يغني بين الصنوبر ، أو يسر . . . نوالى سدفية الظلام المسمي
 فاذا أقبل الظلام ، وأمس . . . ظلمات الوجود في الأرض تغسي
 كان في كوخه الجميل مقيماً . . . يسأل الكون في خشوع وهمس
 عن مصب الحياة ، أين مداه ؟ . . . ووصم الوجود أيمان ، يرسي ؟
 وأريج الورود في كل . . . وانشيد الطيور ، حين تمسي
 وهزم الرياح ، في كل فج . . . ورسوم الحياة من أمس أمس
 وأغاني الرعاة أين يسوارهم . . . بها سكون الفضا ، وأيمان تمسي ؟؟

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

هكذا يصرف الحياة ، ويفني . . . حبات السنين : حرساً بحرس
 يالها من معيشة في صميم الفما . . . بتضي بين الطيور وتمسي !
 يالها من معيشة ، لم تدنس . . . بها نفوس الوري بخبث ورجس
 يالها من معيشة ، هي في الكوة . . . ن حياة غريبة ، ذات قودس .

++++XXXXXXXXXXXX++++

بتاريخ - ٢٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٦ / سبتمبر / ١٩٣٣ م.
 اذا الشعب يوما أراد الحياة . . فلا بُدَّ أن يستجيب القدرُ
 ولا بدَّ لليكل أن ينجلي . . ولا بدَّ للقيد أن ينكسرَ
 ومن لم يمانقه شوقُ الحياة . . تبخرَ في جوفها واندثر
 فويل لمن لم تشقه الحياة . . من صفقة المدم المنتصر

XXXXXXXXXX

ودمدت الريح بين الفجاج . . وفوق الجبال وتحت الشجر
 اذا ما طمعت الى غاية . . ركبُ المني ونسيتُ الحذرُ
 " ولم أتجنب وعورَ الشَّباب . . ولا كُبةَ اللهب المستعر
 " ومن لا يحب صعودَ الجبال . . يمشي أبداً الدهر بين الحفر
 فمجت بقلبي دماءَ الشباب . . وضجت بصدي رياح أخسر
 وأطرقت، أصفى لقصف الرعود . . وعزف الرياح، ووقع المطر

XXXXXXXXXX

وقالت لي الأرض: لما سألت . . "أيا أم هل تكرهين البشر؟"
 "أبارك في الناس أهل الطمو . . ح ومن يستلذ ركوب الخطر"
 " وألمن من لا يمشي الزمان . . ويقنع بالعيش عيش الحجر"
 " هو الكون حي، يحب الحياة . . ة ويحتقر الميت، مهما كبر"
 " فلا الأفق يحضن سيئ الطمو . . ر ولا النحل يلثم ميت الزهر"
 " ولولا أمومة قلبي الرؤ . . م لما ضمت الميت تلك الحفر"
 " فويل لمن لم تشقه الحياة . . من لعنة المدم المنتصر!"
 وفي ليلة من ليالي الخريف . . فيثقلية بالأسى والضجر
 سكرت بها من ضياء النجوم . . وغنيت للحنن حتى سكر
 سألت الدجى: هل تميدُ الحيا . . ة لما أذبلته ربيع الممر؟
 فلم تتكلم شفاة الظلام . . ولم تترنم عذارى السحر
 وقال لي الفأب في رقبة . . محبة مثل خفق البسوتر:
 "يجي الشتاء، شتاء الضبا . . بشتاء الثلوج، شتاء المطر"
 " فينطفئ السحر، سحر الفصو . . ن، وسحر الزهور، وسحر الثمر"
 " وسحر السماء الشجي الو . . دي . . بع، وسحر المروج الشهي، العطير"

"وتهوى الفصون، وأوراقها . . . وأزهار عهد حبيب نضر"
 "وتلهو بها الريح في كل واد . . . ويدفنها السيل أنى عابر"
 "ويغنى الجميع كحلهم يدبوع . . . تألق في مهجة واندثر"
 "وتبقى البذور، التي حُمِلَتْ . . . ذخيرة عمر جميل، غابر"
 "وذكرى فصول، ورويا حيا . . . وأشباح دنيا، تلاشت زمـر"
 "لطيف الحياة الذى لا يـل . . . وقلب الربيع الشذى الخضر"
 "وحالة بأغاني الطيور، . . . وعطر الزهور، وطعم الثمر"

XXXXXXXXXXXX

"ويعشى الزمان، فتتمو صروف . . . وتذوى صروف، وتحيا أغـر"
 "وتضئح أحلامها يقظـة . . . موشحة بغموض السـحر"
 "تسائل: أين ضباب الصباح؟ . . . وسحر المساء؟ وضوء القمر"
 "وأسراب ذاك الفراش، الأنـيـد . . . حق وأنحل؟ يعني؟ وغيم يمر"
 "وأين الأشعة والكائنات . . . أين الحياة التي أنتظر"
 "ظمت إلى النور، فوق الفصـو . . . ن! ظمت إلى الظل تحت الشجر"
 "ظمت إلى النبع بين المـرو . . . ج، يغني ويرقص فوق الزمـر"
 "ظمت إلى نغمات الطـيـو . . . ر، وهمس النسيم، ولحن المطر"
 "ظمت إلى الكون! أين الوجود . . . وأنى أرى المآل المنتظر"
 "هو الكون، خلف سبات الجمود . . . وفي أفق اليقظات الكـبر"

XXXXXXXXXXXX

"وما هو إلا كخفق الجنـة . . . ح حتى نأ شوقها وانتصر"
 "فصدعت الأرض من فوقها . . . وأبصرت الكون عذب الصـور"
 "وجاء الربيع بأنفاميه . . . وأحلامه، وصباه العطـر"
 "وقبلها قُبلاً في الشفـيـاه . . . تعيد الشباب الذى قد غـبر"
 "وقال لها: قد منحت الحياة؟ . . . وخُلِدَتْ فى نسلك المد خـبر"
 "وباركك النور، فاستقبلي . . . شباب الحياة وخضب العـمر"
 "ومن تعبد النور أحلامه . . . يباركه النور أنى ظهـر"
 "إليك الفضاء، إليك الضيـا . . . إليك الشئ الحالم، المزهـر"
 "فميدى كما شئت، فوق الحقـو . . . ل، بطلو الثمار وغفر الزهـر"
 "وناجي النسيم، وناجي الفيوم . . . وناجي النجوم، وناجي القمر"
 "وناجي الحياة وأشواقها . . . وفتنة هذا الوجود الأغـر"
 "مصف الدجى عن جمال عيـق . . . يشب الخيال، ويذكي الفـكر"

"وَمَدَّ عَلَى الْكَوْنِ سِحْرَ غَرِيبٍ،... يُصَرِّفُهُ سَاحِرٌ مُقْتَدِرٌ"
 "وَضَاءُ تَشْمُوعِ النُّجُومِ الْوَضَاءُ،... وَضَاعَ الْبُخُورِ، بِخُورِ الزَّهَرِ"
 "وَرَفَرَفَ رُوحٌ، غَرِيبٌ الْجَمَا... لَ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَرِ"
 "وَأُعْلِنَ فِي الْكَوْنِ: أَقْبَى الطَّمَسِ... حَ لَهَيْبِ الْحَيَاةِ، وَرُوحِ الظَّفَرِ"
 "إِذَا طَمَعَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ... فَلَإِ بَدَأَ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ"

=====

=====

=====

=====

==

=

٨ الى الشعب

٢٥ / من جمادى الثانية / سنة ١٣٥٢ هـ ، ١٥ / أكتوبر / سنة ١٩٣٣ م (١١٠)
 أين يا شعبُ قلبك الخافقُ الحسَّاءُ . . . سُنْ؟ أين الطمُوحُ ، والأحلامُ ؟
 أين يا شعبُ رُوحك الشاعرُ الفُـ . . . نَبَّانُ؟ أين الخيالُ والالهامُ ؟
 أين يا شعبُ ، فَنك الساحرُ الخِـ . . . قُ؟ أين الرسومُ والأنغامُ ؟
 ان يَمِّ الحياةُ يَدَوِي حِـ . . . كَ قُلُوبِ المُفَامِرِ العِـ . . .
 أين عِزُّ الحياةِ ؟ لا شِـ . . . الموتُ ، والصمتُ ، والأسَى ، والظلامُ
 عَمَّرَ مَيِّتَ ، وقلوبُ خـ . . . ودمٌ لا تُـ . . .
 وحياةٌ تنامُ في ظلمةِ السـ . . . وتنمو من فوقها الأوهامُ
 أيُّ عيشٍ هذا ، وأيُّ حِـ . . . " رَبِّ عَيْشٍ أَخْفَ مِنْهُ الحِـ " (٢)
 قد مَشَتْ حَوْلَكَ الفصولُ وغنَّتْ . . . كَ فلم تبتهج ، ولم تترنم
 ودَوَتْ فوقك المَـ . . . واءُ حتى أوشكتُ أن تتحطَّم
 وأطافتْ بك الوحوشُ وناشتتْ . . . كَ فلم تضطرب ، ولم تتألم
 يا الهي ! أما تحسُّ؟ أما تشـ . . . دو؟ أما تشكي ؟ أما تتكلمُ ؟
 ملَّ نَهْرُ الزمانِ أيامك المـ . . . تى وأنقاضُ عُرُك المتهبِّم
 أنت لا مَيِّتَ فيبلى ، ولا حـ . . . تى فيمشي ، بل كائنٌ ، ليس يفهمُ
 أبدا يرمقُ الفراغَ بطـ . . . جامدٌ ، لا يرى المَـ ، مَـ
 أيُّ سِحْرٍ دهاك ، هل أنت مـ . . . حورٌ شقيٌّ ؟ أو ماردٌ يتهكِّبُ ؟

XXXXXXXXXXXX

أهـ ! هل أنت في الشعوبِ عـ . . . زء ، فيلسوفٌ ، مُحطَّمٌ في اهـ
 ماتَ شوقُ الشبابِ في قلبه الـ . . . وى ، وعِزُّ الحياةِ في أعصابه
 فمضى ينشدُ السلامَ بعيدا . . . في " قُبُورِ الزمانِ " خلفَ هـ
 وهناك ، اصطفى البقاءَ مع الأـ . . . واء ، في " قَبْرِ لِسَمِ " غيرَ ابـ
 وارتضى القبرَ مسكناً ، تتلاشـ . . . فيه أيامُ عِـ المَشَاهِدِ
 وتتأسى الحياةُ ، والزمنُ الـ . . . وى ، وما كان مِنْ قديمِ رِـ
 فالزَمَ القبرَ . . . فهو بيتٌ شبيـ . . . بك في صت قلبه ، وخرا بـ
 وأبعدُ الأَمْسَ " وأذكِرُ صُـ . . . ضى فدُنْياً المجوزَ ذِكْرى شِـ

XXXXXXXXXXXX

وإذا مَرَّتْ الحياةُ حـ . . . كَ جميلاً ، كالزهر غُـ صباها
 تتفنى الحياةُ بالشوقِ والعـ . . . م فيحني قلبُ الجِـ غناها
 والربيعُ الجميلُ ، يرقصُ فـ . . . الوردِ ، والعشبِ ، مُـ ، ثياها

ومشى الناس خلفها ، يتلّون . . . جمال الوجود في مراها
 فاحذر السّحر ! أيها الناسك القند . . . يس ان الحياة يفوى بهاها
 والربيع القنان شاعرهما المفتّ . . . ستون يفوى بحبها وهواها
 وتلّ الجمال في رم الموتى ! . . . بعيدا عن سحرها وصنعاها
 وتفزّل بسحر أهلك الأولى . . . وغلّ الحياة تخطو خطاها

واذا هبت الطيور مع الفجر . . . تفني بين المروج الجميل
 وتحبّي الحياة ، والمالم الحيّ . . . بصوت المحبّة المعسولة
 والفرار الجميل رفرف في السّرو . . . ضي ، يناجي زهوره المطبولة
 وأفاق الوجود للعمل المسجّ . . . مدى وللسقي ، والمعاني الجليله
 ومشى الناس في الشباب وفي النّ . . . غاب وفوق المسالك المجهولة
 ينشدون الجمال ، والنور ، والأف . . . راح والمجد ، والحياة النبيلة
 فاغضى للطرف في الظلام ! وحاذر . . . فتنة النور . . . إلهي رؤيا مهولة
 وصباح الحياة لا يوقظ المسو . . . تى ولا يرحم الجفون الكليله

كل شيء يحاطف المالم الحيّ . . . ويذكى حياته ، ويفيده
 والذي لا يجاب الكون بالاح . . . ساس على الوجود وجوده
 كل شيء يسامر الزمن الماشي . . . بمزم ، حتى التراب ، ودوده
 كل شيء - الأك - حيّ ، عطوف . . . يؤنس الكون شوقه ونشيد
 فلماذا تميش في الكون يا صاح ! . . . وما فيك من جسنّي يستفيد
 لست يا شيخ للحياة بأهل . . . أنت داء يبيدها وتبيده
 أنت قفر جهنميّ لمسين . . . مظلم ، قاحل ، مريع جموده
 لا ترف الحياة فـلا طي . . . ر يغني ، ولا سحاب يجوده
 أنت يا كاهن الظلام حياة . . . تعبد الموت ! أنت روح شقيّ
 كافر بالحياة والنور ، لا . . . يصفى الى الكون قلبه الحبريّ
 أنت قلب ، لا شوق فيه ولا عز . . . م وهذا داء الحياة السّدى
 أنت دنيا ، يظلمها أفسق الما . . . ضي وليل الكاتبة الأبدى
 مات فيها الزمان ، والكون ال . . . أسها الغابر ، القديم ، القصي
 والشقيّ الشقيّ ، في الأرض قلب . . . يومه ميّت ، وماضيه حيّ
 أنت لاشيء في الوجود ، فذا . . . دره الى الموت فهو عنك غنيّ

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxx

٩ - الى طفلة المالم

=====

بتاريخ / ٢٣ / من ذو الحجة / سنة ١٣٥٢ هـ ، ٨ أفريل " نيسان / سنة ١٩٣٤ م .
 ألا أيها الظالم المستبد . . حبيب الظلام ، عدو الحياة
 سخرت بأنات شعب ضعيف . . وكفك مخضوبة من دماء
 وسرت تشوه سيحر الوجوه . . وتبذر شوك الأسى في رباه

رويدك ألا يخدمك الربيع . . وصحو الغضاء ، ووضوء الصباح
 ففي الأفق الرحب عول الظلام . . وقصف الرعود ، وعصف الرياح
 حذار فتحت الرماد اللهب . . ومن يبذر الشوك يحن الجراح

+*****

تأمل ! هتالك أننى حصدت . . رؤوس الورى وزهور الأمسل
 وزويت بالدم قلب التراب . . وأشربت الدمع حتى ثمل
 سيجرفك السيل ، سيل الدماء .. ويسألك الماصف المشتعل (١)

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxx

xxxxxx

xx

x

=====

بتاريخ / ٢٨ من ربيع الثاني / ١٣٥٣ هـ ، ١٠ / اوت " آب " / سنة ١٩٣٤ م .

اني أرى . . . فأرى جموعاً جمّة . . . لكتّها تحيّاً بلا الباب
 يدوى حوالبها الزمان ، كأنسباً . . . يدوى حوالبى جندل وترا رب
 وإذا استجابوا للزمان تناكبوا . . . وتراشقوا بالشوق والأخصاب
 وقضوا على روح الأخرى بينهم . . . جهلاً وعاشوا عيشة الأغراب
 فرحت بهم غول التماسق والفنسا . . . ومطامع السلاب والفلاب
 لقب ، تحركها المطامع ، واللهمسى . . . وصفائر الأحقاد والآراب
 وأرى نفوساً من دخان جاميد . . . ميت ، كأشباح ، وراء ضباب
 موتى ، تسوا شوق الحياة وعزمها . . . وتحركوا كتحرّك الأنصاب
 وخبا بهم لهب الوجود ، فما بقوا . . . إلا كمحترق من الأخشاب
 لا قلب يقتحم الحياة ، ولا هجسى . . . يسمو سؤال الطائر الجواب
 بل في التراب الميت ، في حزن الثرى . . . تنمو مشاعرهم مع الأعشاب
 وتموت خاملة ، كزهر بائس . . . ينمو ويذبل في ظلام الفباب
 أبداً تحدق في التراب ، ولا ترى . . . نور السماء فروحها كتراب
 الشاعر الموهوب يهرق فنّيه . . . هدراً على الأقدام والأعتاب
 ويميش في كون عقيم ، ميت . . . قد شيدته غباوة الأحقاب
 والمالم التحير ينفق عنته . . . في فهم الفاظ ، ودرس كتاب
 يحيا علي رمم القديم المجتوى . . . كالود في حتم الرمان الخابي
 والشعب بينهما قطيع ضائع . . . دنياه دنيا مأكّل وشراب
 الويل للحساس في دنياههم . . . ماذا يلاقى من أسى وعذاب

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxx

xxxxxxx

xxx

x

=====

بتاريخ / ٩ من جمادى الأولى / سنة ١٣٥٣ هـ / ٢٠٠٤ / أوت " آب " / سنة ١٩٢٤ م
 كان الريحُ الحَيُّ روحاً، حَالِماً . . . غَضَّ الشَّبَابِ، مَعَطَّرَ الْجِلْبَابِ
 يشي على الدُّنيا بفِكْرَةٍ شاعِرٍ . . . ويطوفُها في موكِبِ خِلالِ
 والأفقُ يملأُ هُ الحُلَّانُ، كَأَنَّهُ . . . قَلْبُ الوُجُودِ المُنْتِجِ الوَهَّابِ
 والكونُ من طَهرِ الحَيَاةِ كَأَنَّمَا . . . هو مَقْبَدٌ، والفأبُ كالْمَحْرَابِ
 والشاعرُ الشَّعْرُورُ يرقى، مُنْشِداً . . . لِلشَّمْسِ، فَوْقَ الوُرُودِ والأَعْشَابِ
 شِعْرَ السَّعَادَةِ والسَّلامِ، ونَفْسُهُ . . . سَكَّرَ بِسِحْرِ العَالَمِ الخَلَابِ
 وراهَ ثَمْبَانِ الجبالِ، ففَمَّسَهُ . . . ما فيه من مَرَجٍ، وفيضِ شَبَابِ
 وأنقى، مُضْطَفِّناً عَلَيَّه كَأَنَّهُ . . . سَوَّطُ القَضَاءِ، وَلَمَنَّةُ الأَرْبَابِ
 جَفَتِ الشَّقِيُّ، فصاحَ في هَوْلِ القَضَا . . . مَتَلَقَّتِا لِلصَّائِلِ المُنْتَطَابِ
 وتدفَّقَ المسكِينُ يَصْرُخُ شَائِراً: - " ما ذا جَنَيْتَ أَنَا فُحِّقْ عِقَابِي " . . .
 " لاشيَءَ إلا أَنِّي مُتَفَرِّداً . . . بالكائناتِ، مُتَرَدِّداً في غَابِي " . . .
 " وسَعَادَةُ الضُّعْفَاءِ جُزْمٌ، مَالِكُهُ . . . عِنْدَ القَوَى سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ
 " أَلْقَى من الدُّنيا حَنَاناً طَاهِراً . . . وَأَهْبَثَا نَجْوَى المُحِبِّ الصَّابِي " . . .
 " أَيْعَدُ هَذَا في الوُجُودِ جَرِيماً؟ . . . أَيْنَ العَدَالَةُ يَا رَفَاقَ شَبَابِي؟ " . . .
 " لا (أَيْنَ؟) فَالْشَّرُّ المُقَدَّسُ ههنا . . . رَأَى القَوَى وَفِكْرَةَ النِّسْبِ! " . . .
 " وسَعَادَةُ الضُّعْفَاءِ جُزْمٌ . . . مَالِكُهُ . . . عِنْدَ القَوَى سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ! " . . .
 " وَلِتَشْهَدِ الدُّنْيَا التي غَنِيَتْهَا . . . حُلْمَ الشَّبَابِ، وَرُوعَةَ الإعْجَابِ
 " أَنَّ السَّلامَ حَقِيقَةٌ مُكْدُونَةٌ . . . وَالْعَدْلُ فَلَسْفَةُ اللَّهَبِ الخَابِي " . . .
 " لَاعْدَلْ، إلا إِنْ تَعَادَلَتِ القُنُوى . . . وَتَصَادَمَ الإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ " . . .
 " فَتَبَسَّمَ الثَّمْبَانُ بِسُطَّةٍ هَازِيَةٍ؛ . . . وَأَجَابَ في سَمْتٍ وَقُرْطِ كَيْدِ آبِ
 " يَا أَيُّهَا الْفِرُّ الشُّرْثِيُّرُ، إِنِّي . . . أَرَى لِثُورَةِ جَهْلِكَ التَّيْسِيَّالَابِ " . . .
 " وَالْفِرُّ يَمْدُرُهُ الْحَكِيمُ إِذَا طَفَسَى . . . جَهْلُ، وَالصَّبَا فِي قَلْبِهِ الوَثَابِ " . . .
 " فَالْكُحَّ عَوَاطِفُكَ الجَوَامِحُ، إِنَّهَا . . . شَرَدَتْ بِلَيْكٍ، وَاسْتَعْمِعْ لِخِطَابِي " . . .
 " إِنِّي إِلَهٌ طَالَمَا عَهَدَ السُّورَى . . . طَلَسِي وَخَافُوا لَمَعْنِي وَعِقَابِي " . . .
 " وَتَقَدَّمُوا لِي بِالضَّحَايَا عَنْهُمْ . . . فَرحينَ شَأْنَ العَابِدِ الأوَّابِ " . . .
 " وسَعَادَةُ النَفْسِ النُّفْيَةِ أَنَّهُمَا . . . يَوْمًا تَكُونُ صَحِيَّةَ الأَرْسَابِ " . . .

" فتصير في رُوح الألوهُة بِضِعْمَةٍ . . . قُدُسِيَّةً خَلَمَتْ مِنَ الْأَوْشَابِ "
 " أَفَلَا يَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّتِي . . . فَتَحُلْ فِي لَحْمِي وَفِي أَعْصَابِي "
 " وَتَكُونُ عِزًّا فِي دَمِي وَتَوْجَعًا . . . فِي نَاطِرِي وَجِدَّةً فِي نَابِيِي "
 " وَتَذُوبَ فِي رُوحِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي . . . وَتَصِيرُ بَعْضَ أُلُوهِي وَشِبَابِي . . . "
 " أَنْبِيَّ أَرَدْتُ لَكَ الْخُلُودَ مَوْلَهَا . . . فِي رُوحِي الْبَاقِي عَلَى الْأَحْقَابِ "
 " فَكَيْفَ، لِتَذَرِكَ مَا أُرِيدُ وَأَنْتَ . . . أَسْتَعِي مِنَ الْعَيْشِ الْقَصِيرِ النَّابِي "
 " فَأَجَابَهُ الْبُخْرِيُّ فِي غُصَصِ الْكَرْدَى . . . وَالْمَوْتُ يَخْنُقُهُ : " إِلَيْكَ جَوَابِي : "
 " لَا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعِيفِ ، وَلَا صَدَى ، . . . وَالرَّأْيُ رَأْيُ الْقَاهِرِ الْفِطْلَانِ "
 " فَأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ الَّتِي قَدْ شِئْتَهَا . . . وَارْحَمْ جَلَالَكَ مِنْ سَمَاعِ خِطَابِي "

وكذاك تتخذ المظالم منطوقاً . . . عَذَابًا لَتُخْفِيَ سَوَاءَ الْأَرَا . ب .

=====

=====

=====

=====

==

=

=====

بتاريخ / ١٩ من جمادى الأولى/ سنة ١٢٣٤ هـ .

لقد نامَ أهلُ العلمِ نومًا مَفَنِّطَسًا . . فلم يسمَعُوا ما رَدَّتْهُ العوَالِمُ
ولكنَّ صوتًا صارخًا، متصاعداً . . من الروح يدرى كنهه المتصاعده
سيوقظُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ هُوَ نَائِسٌ . . وَيُنْطِقُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ وَاجِمٌ

سَكْتُمْ حُمَاةَ الدِّينِ ! سَكْتَةً وَاجِمَةً . . وَنَعْتُمْ بِلُدِّ الْجَفَنِ ، وَالسَّيْلِ دَاهِمَةً
سَكْتُمْ ، وَقَدْ شَمِعْتُمْ ظَالِمًا ، غَضُوبًا . . عَلَائِمُ كُفْرٍ ثَائِرٍ وَمَمَالِمُ
مَوَاقِبِ الْحَارِبِ وَرَاءَ سُكُوتِكُمْ . . تَصْجَحُ وَهَذَا إِنَّ الْقَضَاءَ مَآثِمُ
أَفِيقُوا فَلَيْلُ النَّوْمِ وَلَيْلَى شَهَابُهُ . . وَلَا حَتِيلًا لِأَلِّ الصَّبَاحِ عَلَائِمُ
فَدُونَ ضَجِيجِ الْفَاسِقِينَ سَكِينَةً . . هِيَ الْمَوْتُ ، مِمَّا أَوْرَثَتْهُ التَّوَائِمُ
عَوَائِدُ تُحْيِي فِي الْبِلَادِ نَوَائِبًا . . تَقْدُرُ قَوَامَ الدِّينِ ، وَالدِّينُ قَائِمُ
أَفِيقُوا وَهَبُوا هَبَّةً ضَيْفَمِيَّةً . . وَلَا تَحْمَجُوا ، فَالْمَوْتُ فِي الْجُبْنِ جَائِمُ
فَدُونَ نِقَابِ الصَّمْتِ تَنُمُو مَلَامِيحُ . . تَبْرَقَعَتِ الشَّرُّ الذِّى لَا يُقَاوَمُ
فَقَدْ فَتَّ فِي زَنْدِ الدِّيَانَةِ مَعْشَرُ . . أَثَارُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ قَدْ يَهَاجِمُ
فَوَا الْحَقِّ مَا هَذِهِ الزَّوَايَا وَأَهْلُهَا . . سَوَى مَضْمَعٍ فِيهِ تُصَاغُ السَّخَائِمُ
لَحَى اللَّهُ مَنَّا لَمْ تَسْتِثِرْهُ حَمِيَّةً . . عَلَى دِينِهِ ، إِنَّ دَاغَتَهُ الْمَظَائِمُ
لَحَى اللَّهُ قَوْمًا ، لَمْ يُبَالُوا بِمَأْسَاهُمْ . . يُصَوِّبُهَا نَحْوَ الدِّيَانَةِ ظَالِمُ

١٢- زئير الماصفة (٢)

تَسَائِلُنِي بِمَالِي سَكْتٌ وَلَمْ أَهَيْبْ . . بِقَوْمِي ، وَتَشْجُورُ الْمَصَائِبِ مُظْلِمُ
" وَسَيْلُ الرِّزَايَا جَارِفٌ ، مَتَدٌ قُضِعَ . . غَضُوبٌ ، وَوَجْهُ الدَّهْرِ أَرِيدُ أَقْتَمُ

سَكْتٌ ، وَقَدْ كَانَتْ قَنَاتِي غَضْبَةً . . تُصِيحُ إِلَى هَمِّسِ التَّسِيمِ ، وَتَحْلَمُ
وَقَلَّتْ ، وَقَدْ أَطْمَتِ إِلَى الرِّيحِ مَرَّةً . . فَجَاشَ بِهَا إِعْصَارُهُ الْمُتَهَرِّمُ
وَقَلَّتْ وَقَدْ جَاشَ الْقَرِيفُ بِخَاطِرِي . . كَمَا جَاشَ صَخَابُ الْأَوَازِ ، وَالْمُسْحَمُ

+*****

(١) : الديوان ص ١١٧٥ .

(٢) : الديوان ص ٤٩٤ . - وهي مدونة بدون تاريخ .

" أرى المجد معصوب الجبين مُجدلاً . . . على حسنك الآلام، يفمره السدم
 " وقد كان وضاح الأسارير باسماً . . . يهيب إلى الجلى، ولا يتبرم
 " فيا أيها الظلم المصفر خذ . . . رويدك ! إن الدهر بيني وبينهم
 " سينأى للمز المحطم ثاجاً . . . رجالاً إذا جاش الردى فهم هم
 " رجال يرون الدل عاراً وسباً . . . ولا يرهبون الموت، والموت مقدر
 " وهل تملي إلا نفوس أبيات . . . تصدح أغلال الهوان، وتحطهم "

١٣ - ليت شمري (١)

مَزَقَتْ ثوبَ سكون الليل أنشأت كلهم
 بين طيات سجاج الفاسق، الداجي البهيم
 حرَّكت ميني شعورا كأن من قبل رحيم
 فتحسست مكان الصوت، في ذاك الأديم
 فإذا بالأرض ملقى هيكلاً نضوا كل يوم
 عفرته التراب والمعين على الخيد سجوم
 فتأملت ملياً وجهه تحت الفيوم
 فإذا الملقى بوادي وطمني حسم الملووم !
 يا بني الأوطان هبوا فلقد طال الوجوم
 وانهضوا نهضة جبار بمنز مستقيم
 ليست أهنئي نهضة المأجز يتلوها الحسوم
 ليت شمري ! هل سحاب الجهل تذروه المقسيم ؟
 فترى الأعين بذر العلم قد شقق الفيوم ؟
 ليت شمري ! يا بلادي هل تصافيك الملووم ؟

=====

=====

=====

=====

=====

الباب الخامس

=====

الحب وصورة في شعر الشابي

ليس في الوجود انسان رقيق المشاعر ، مرهف الاحساس ، لا يخفق قلبه للحب العذرى الطاهر ، ولا يفتتن بالجمال وينظر الجمال الساحر الجذاب ، ويعلق بالحس في جميع مظاهره المادية والمعنوية .

وما زالت النفس البشرية تشمر بهذه العاطفة الجامعة القوية ، فانها تجد بالشعر غير معبر ناطق عما يلابسها من متباين الحس ومختلف الشعور ، وأصدق محدث ينطق بما توحى به بيئة كل شاعر ، ومحيطه الذى نشأ فيه ، وما يؤثر عليه في حياته من متنوع الحوادث والخطوب .

لقد خفق قلب الشابي بالحب ، وهو وحده كان له أكبر عزاء وأعظم عوض ، لكل ما فقدته في حياته المليئة بالآلام والسقم ، وكان يرى في الحب مشتهى نفسه ، وئنية فؤاده ، ولولا هذا الحب العذرى لما خفق قلبه بالحياة التي كرهها وسئمها ، فكل ما فيها قائم مظلم الجوانب ، مسود الصفحات ، ولا يثيره سوى ضوء الحب الذى يسطع ، ويفسر حناها نفسه الحالكة ، فينمشها ويحبب اليها الحياة .

ولم يكن الشابي رحمه الله تعالى - ميالا للجسد أو للجاء الذى ينشده غيره من محبي الظهور والرياء ، ولم يكن راغبا في الثراء المرفي والمعيش الهنيء ، لأنه كان يقنع بما قسمه الاله للناس من حظوظ وأرزاق ، بل كان يصبو ويتوق الى مجد يختلف عن مجد الناس ، يجده ويحس به في هذا الحب الذى كان يملأ قلبه بهاء ونقاء ورواء ، وكان يتمثل له هذا الحب الصافي في ضوء الفجر ، وفي شدة الطير ، وفي رفيف الزهر ، فيملا نفسه سرورا لا يعدله سرور . (١)

صور الحب في شعر الشابي

ولعلنا من قراءة شعره قراءة مستأنية ، أن نجد ألوانا مختلفة من الحب وصورا رائعة ، ان لم يقتصر في حبه على المرأة والتفني بما فيها من جمال ومفاتن ، وانما ذهب في حبه مذاهب أخرى ، خالف بها أقرانه

من الشعراء ، وأهم هذه الصور التي تتضح من شعره هي :

١ - حب الأرض والوطن والدعوة الى تحريره .

٢ - حب المرأة .

٣ - حب والده .

٤ - حب الحياة .

٥ - حب الطبيعة .

وستحدث عن كل صورة من هذه الصور على حده :

أولا : حب الأرض والوطن

=====

نشأ الشابي في تونس ونفسه الرقيقة يتألقها حُبّان عفيفان ، أهمهما وأولهما حبه لتونس الخضراء الجميلة ، وحبه الثاني للملم والمعرفة وعاش سنواته القليلة الصاعدة بالأحزان ، يوزع القلب بين حبه لتونس ، وحب الملم والمعرفة والتحصيل ، فانكب على الاطلاع يخرف منه بنهم ، غير مكترث بأعصاب تتمرض للارهاق ، وبفؤاد تشغله جراح الصدمات العنيفة ، وعرف أن حبه لتونس ان لم يكن مبنيا على الملم والمعرفة ، وهادفا الى رفع مستوى شعبها ، وهو حب غير مجد ، ولذا فقلقه كان شعاره في حبه لبلاده الجهاد المتواصل ، ولكن الشعب مكبل بأغلال الاستعمار ، وبأغلال غيرها هي أشد خطورة وآلم لنفس الشاعر الفكر لأنها أغلال معنوية بمقدمة الأثر في حياة الأمم ، ألا وهي أغلال الجهل والفقر والتقاليد البالية ، والمعتقدات الرجعية .

وأقدم الشاعر متجنبا للجهاد ، وسلاحه فكر نير ونفس متفتحة وشاعرية خلّاقة مبدعة ، وثقافة عالية ترسبت فيها ثقافات عديدة .

لم يكن الشابي يتقن لغة أجنبية ، لكنه كان يقرأ كل ما يترجم عن أدب الغرب ، ويتأثر به الى أبعد حد ، ولم يكن الشابي يصرّف الرحمة بنفسه ، ولذا كان يرهقها بالسهر والعمل المستمر ، سعي وراء المعرفة ، وتفذية لنفس شائرة القابلية ، الى المزيد من الفداء الروحي .

ولشد ما كان الشابي يتحسر ويتألم حين كان يرى الشعب التونسي مفكك الأوصال ، ويتكرر للجديد في الأدب ، ويشور ثورة رجعية تقليدية رجعية الأسس في كل جهاد يزكيه الشباب الخلاق في عزائمه وطموحه .

ويتطلع بمد ذلك ليرى المجاهدين من اخوانه ، يصار بهم الى الموت أو الى الظلام ، أو الى ظلمات السجون ، كلما قام منهم مطالب بحق أو شاعر في وجه ظلم ! فيبكي شاعرنا ذو القلب النابض ، والنفس الكريمة ،

لا بكاء تقليديا عرفه الشمرء منذ القدم ، ساعة كانوا يقفون على الأطلال ، بل بكاء الكرام اللذين جدت في طلبهم المحن ! وهو ان يخاطب تونس الجميلة يقول :

لست أبكي لمسف ليل طويل . . أو لربع غدا العفاء مراحه
انما عبرتي لخطب ثقیل . . قد عرانا ولم نجد من أراحه
كلما قام في البلاد خطيب . . موقظ شعبه يريد صلاحه
أخمدوا صوته الالهى بالمسف . . أماتوا صداحه ونواحيه
ألبسوا روحه قيم اضطهاد . . فأتك ، شائك ، يرد جماحه
وشديد على النفس العزيزة أن تتحمل الضيم ، ولا يكون لديها من وسائل
المقاومة ما تملك به الدفاع عن نفسها .

كان الشاعر ما يزال غمر الاهصاب عندما كان يرسل نغثاته الملتهية
ناطقة بالشكوى زاخرة بالحسرات ، علّيه يحرك في النفوس تيار الثورة ،
ليعود فيقول :

أنا يا تونس الجميلة في لجج . . الهوى قد سبحت أي سباحه
شمرعتي حبك المميتق وانني . . قد تذوقت مره وقراحيه
لا أبالي وان أريقت دمائي . . فدماء المشاق دوما مباحه
لقد أحب الشاعر بلاده حبّا أراد به لو يستطيع أن يجعلها تحيا
أبية ، وأحبها ليمزق بحبه ستائر الأوهام ، التي كانت تعجب عنه أنوار
الحقيقة ، وأراد لها حياة سميده عزيزة ، فاضطهدم بالعقوبات
وكان في جهاده المستمر يتعرض للصدمات العنيفة ، فيستسلم للقنوط
والخيبة ، وتترأى له عرائس الشعر متشحة بالسواد ، فتغمر نفسه الفتية
موجة من الحزن المميتق فيسترسل قائلاً :

ليت شمرى

أي طير

يسمع الأحزان تبكي . . بين أحشاء الكتيب

ثم لا يتلو على الفجر . . أغاريد النحيب

بخشوع واكتئاب (١)

ولقد أحب الشابي بلاده حباً لم يحبه أحد قبله ، وقد اتضح ذلك في
روائع قصائده التي تحث التونسيين على الثورة والتمرد ، وقد مر ذكرها في الفصل الماضي .

(١) : - آثار الشابي وصداة - أبو القاسم محمد كرو من مقال لسعاد

أبو شقرا - ص ١٩٣ .

حب المرأة

=====

يقول الأستاذ عمر فروخ :

" على الرغم من أن الشابي قد أتمتع نفسه بضرورة الزواج ارضاءً لأبيه، وعلى الرغم أنه رزق من زواجه هذا ولدين، وعلى الرغم من قول زين العابدين السنوسي - فإن سلوك الشابي الماظمي كما نرى ذلك من ديوانه - لا يدل على أن الشابي كان وادعا سعيدا في حياته الزوجية.

هذه الحياة الزوجية لم تستطع أن تهيب الشابي الاطمئنان الذي ينعم به الانسان عادةً بالزواج، فاندفع - ولما يمضي عام واحد على زواجه - الى تكتلب سمادة موهومة في حب فتاة ظنّ فيها تحقيقاً لأحلامه. تلك كانت أولى السيئات التي ظهرت في حياة الشابي من أثر جبران، ولكن هذه الفتاة التي أحبها الشابي في ابّان طفولته على الأصح ماتت وشيكاً، فأذكى موتها في نفسه الأسى على حاله، والنقمة على حوادث الدهر.

وظل الشابي يذكر حبه هذا مدة، ثم جعل ينساه أو يحمل نفسه على نسيانه، وسرعان ما أطاعته نفسه فنسي حبه الأول، وانتقل الى حب جديد ثم الى حب آخر فأخسر، ويجهز لنكاح الشابي في ديوانه بمواقف من الحب شوحي بأنه قد اندفع بماطفته وراء المرأة ولا يلوى على شيء ولا ريب في أن هذا الاندفاع كان من الأسباب التي قربت منيته اليه مع أنه كان يستطيع أن يحيا مع دائه كما عاش غيره مع أدوائهم، ولكن القضاء النافذ والقضاء نفسه في التهلكة بيده كان عليه كتابها موقوتاً.

وهذا الحب يستحق شيئاً من المناقشة، وهذا مكائها :

يرى زين العابدين السنوسي أن الشابي أحب حبين :

حبا عذرياً.

وحبا صريحاً.

أما الحب العذري فكان حبا باكراً، نما في قلبه من ألفة فتاة عرفها ونشأ معها " حتى بلغ الحادية عشرة من عمره " قبل أن يأتي الى تونس العاصمة، ولكن هذه الفتاة توفيت بعد التحاقه بالزيتونة بوقت قصير فخلّف له حزنًا ومرسماً، وانطقته شعرا عذرياً كثيراً، ثم ظلت مـلـ قلبه ونصب خيالاً له زمناً طويلاً حتى أنه أشار اليها في

مذكراته سنة ١٩٣٠م (١)

أما محمد الحليوي فيجعل هذا الحب الباكر نفسه أحدث عهدا إذ يقول :
 " ان الشابي كان في عام ١٩٢٤م شابا في الخامسة عشرة من عمره ،
 وكان قد مضى عليه أربع سنوات في التعلم بالزيتونة ، وكان والده اذ
 ذاك قاضيا شرعيا في رأس الجبل . ومن المرجح أن يكون الشابي قد
 عرف أثناء اقامته مع والده فتاة كان يلقاها ويتفصح معها في بعض المتنزهات
 وأن حياته الفتاة هي التي تحدت عنها في أوائل شعره حديثا ساذجا
 ونظم فيها أولى قصائده ، واتفق أن ماتت في تلك المدة ، وانتقلت أسرة
 الشابي الى زغوان سنة ١٩٢٧م ومن المؤكد عندى أن الشابي لم تكن له
 حياة قلبية غير تلك الفتاة التي أحبها وهو في سن الخامسة عشرة " (٢)
 ولكن محمد الحليوي يصل هذا الحديث بحديث قصيدة للشابي عنوانها
 " صلوات في هيكल الحب " وينفي أن تكون هذه القصيدة قد قيلت في فتاة
 رأس الجبل ، ثم يقول :

" والحقيقة أن الشابي استوحى هذه القصيدة حسبا ذكر لي (هو) شفويا
 من فتاة انجليزية مصورة كاثوليك قد أقامت مدة في توزر لتصوير بعض مناظر
 المدينة ووحداتها على نحو ما يفعل الفنانون الأجانب في بلادنا فراها
 الشابي تفردو وتروح تقبل وتدبر ، فاستولى جمالها وشبابها على مشاعره الى
 درجة الذهول الصوفي فبرقع لها تلك الصلوات .

والى جانب هذا الحب العذرى حب آخر استبد بقلب الشاعر أبي القاسم
 لشابي ، يقول زين العابدين السنوسي :

" وفوق ذلك فان لوعه الحب العذرى على هولها - لم تطفئ كفاءة
 لجسد طول الأبد ، ولكن صريحين مع الواقع ، فان الشابي الشاعر - برغم
 لصدمة التي لقيها في حبه العذرى ، اذ ماتت حبيبته الصغيرة - قد أحس
 بدما الشباب ونغمات الحب تفريه .

ويمضي السنوسي فيقول :

" وانما نريد أن نشبت طواعية شاعرنا لنواميس الحب وخضوعه لسر
 الوجود في ذلك الملاك المجنح الذي يصمي القلوب بنباله ، ولو كان منها
 دياك القلب الكبير ، فهو يحدثنا بكل صراحة وصدق وجد () ليلته عن ليلة لسه
 مما فيها من حسب وذكريات ثم يشتشهد السنوسي بابيات

(١) - تراجع السنوسي - ص ٢٢ ، ثم ٢٣ وما بعدها ثم ٢٥ .

(٢) - الفكر - عدد مايو " ماى " - سنة ١٩٦٠م - ص ٢٠ .

للشابي من قصيدته الساحرة (١) فيها حوار صريح بين الشاعر وبين امرأة يبدو أنها من المتزنيات للرجال، يقول الشابي في هذه القصيدة :

خَلَّ عَنَّا الحَيَاةَ عَنكَ، وَهَمًّا . . . بِحُمُومٍ كَالصُّبْحِ طَلَّقَ أَدِيمُهُ
وَأَمْسَى فِي رَوْضَةِ السُّبَابِ طَرُوبًا . . . فَحَوَالِيكَ وَرَدَهُ وَكُرُومُهُ
وَاحْتَضَنِي فَأَنَّنِي لَكَ حَسْبِي . . . يَتَوَارَى هَذَا الدُّجَى وَنَجُومُهُ
وَاقْطِفِ الْوَرْدَ مِنْ خُدُودِي وَجِيدِي . . . وَنَهْودِي وَأَفْعَلْ بِهِ مَا تَرُومُهُ
وَأَنْسَ فِي الحَيَاةِ، فَالْعُمُرُ قَفَرٌ . . . مَرَعًا أَنْ ذَوَى وَجَفَّ نَعِيمُهُ
تِلْكَ يَا فِيلَسُوفَ، فِلَسُوفَةُ الْكُؤُونِ . . . وَوَحْيِي الْوُجُودِ هَذَا قَدِيمُهُ.

ويستجيب الشاعر لهذه الفاتمة الساحرة في نفس القصيدة :

فَرَمَاهَا بِنَظَرَةٍ، غَشِيَتْهَا . . . سَكْرَةُ الْحُبِّ، وَالْأَسَى، وَغُيُومُهُ
وَتَلَاهَا بِهَيْمَةٍ، رَشَفَتْهَا . . . مِنْهُ سَكْرَانَةُ الشَّبَابِ رُؤُومُهُ
وَالْتَقَتْ عِنْدَهَا الشِّفَاءُ، وَغَتَّتْ . . . قُبُلًا أَجْفَلَتْ لَدَيْهَا هُومُهُ
مَا تَرِيدُ الْهَمُّومَ مِنْ عَالَمٍ، ضَا . . . تِ مَسَرَّاتِهِ وَغَتَّتْ نَجُومُهُ ؟
لَيْلَهُ أَسْبَلَ الْفَرَامُ عَلَيْهَا . . . سِحْرَهُ النَّاعِمِ، الطَّرِيفِ نَعِيمُهُ
أَغْرَقَ الْفِيلَسُوفُ فِلَسُوفَةَ الْأَحَدِ . . . زَانَ فِي بَحْرِهَا، فَمَنْ يَلُومُهُ ؟
أَنَّ فِي السَّرَاةِ الْجَمِيلَةِ سَحْرًا . . . عِبْقَرِيًّا يُذَكِّي الْأَسَى، وَيُنِيمُهُ !
وَيَمْلُقُ عَلَى ذَلِكَ السَّنُوسِي بِقَوْلِهِ : (ص ٣١ - السطر الأخير) :

" فَالْحُبُّ كَانَ جَحِيمَهُ وَالْحُبُّ كَانَ نَعِيمَهُ، وَفَنَنِي بِهِ عَلَى كُلِّ رِيحٍ "

ولا يستغرب غديره (ص ٢٧) أن يكون الشابي قد أحب في بلدة رأس الجبل، وأحب في زغوان، ثم أحب ثالثة في تونس، وقد يكون قد أحب فتاة بعينها، وقد يكون أحب من بعيد مكتفيا بنظرة أو سماع .

ويقول فروخ :

وكتب إليّ الأديب الشاذلي ذو كار (٢) أن الشابي أحب فتاة إيطالية في بلدة زغوان التي كان والده قاضيا فيها، ولم تكن هذه الفتاة تبادل الحب ولا تتمس عليه بصداقة، ولملها لم تعرف بحبه لها، ولكنه كان يجتهد في رؤيتها بل أن يكثر من رؤيتها، ثم يترجم عن شعوره نحوها بقصائد من الغزل الرائع.

أما محمد الحليوي فيخالف هؤلاء، كلهم في ذلك ويقول : (٣)

" المرأة عند الشابي هي الجميل الذي يحمل في قلبه رحيق الحياة "

(١) : الديوان / ص ٣٥٥ - ٣٦٥ .

(٢) : جده / بتاريخ ٣/٨ / ١٩٦٠ م ص ٢٢ .

(٣) : مع الشابي - محمد الحليوي / ص ٧١ - ٧٢ .

وسلسيل المحبة، وهي الطيف السماوي الذي هبط الى الأرض ليؤجج نيران
السبابة، ويعلم البشرية طهارة النفس وجمال الحنان وهو " الشابي " لا
يذكر امرأة مخصوصة ولا واقعة بعينها، وإنما يذكر المرأة والمحبة فكأنه
يصف فكرة لا امرأة، ويصور مثلاً أعلى لا امرأة من لحم ودم... وربما
كانت حارة شعره الغزلي ولهفته الصادقة متأثرياً من هرمانسه
من الاتصال بالمرأة التي توحى الي الشاعر وتوجه عاطفته وجهتها
الغنية " .

لقد أراد الحليوي أن يقطع الصلة بين الشابي وبين العاطفة البشرية
ليحيطه بهالة من القداسة، ولعل القارئ ما زال يذكر قصة المصورة
الانجليزية التي رآها الشاعر الشابي في تَوَزَّرَ ثَقِيلٌ وَتَدْبِيرٌ فاستولى
جمالها وشبابها على مشاعره . (١)

وأما الأستاذ رجاء النقاش فيرى أن الحب عند الشابي حب رومانسي
صادق، وأول مظاهر الرومانسية فيه هي المثالية الكاملة، فالمرأة التي
أحبها هي امرأة من صنع خياله السامي، إنها امرأة مثالية تتكون
من الأحلام والأطياف والزهور، وهي ليست من جسد بل من روح شفافة .
وليست سزيجا من الخير والشر بل من الخير المطلق فهي خير مطلق وصفاء
مطلق، وحبها ليس حباً حسيّاً، بل لا يختلط أبداً بأي معنى من معاني
الحس، إنه حب روحي شفاف يسمو فوق نداء الفريضة، ويختلف عن ذلك
الحب المادي الذي يعرفه الناس .

ولعل مثالية الحب عند الشابي لم تفتح مثلما تفتحت في قعيدته
الشهيرة " صلوات في همكل الحب " ففي هذه القصيدة صورة شفافة
رقيقة للمرأة، وكأنها امرأة تجيء من عالم ملائكي سحري لم يعرفه
البشر، ويقول الشابي في هذه القصيدة :

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالْطُفُولَةِ كَالْأَخْ . . . لَامَ كَاللَّحْنِ ، كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ كَاللَّيْلِ الْقَمَرِ . . . كَالْوَرْدِ ، كَالْبَتْسَامِ الْوَلِيدِ
يَالَهَا مِنْ وَدَاعَةٍ وَجَمَالِ . . . وَشَبَابٍ مُنْقَمٍ أَمْلَسُودِ
يَالَهَا مِنْ طَهَارَةٍ تَبْعُ التَّقْدِيرِ . . . سَرَفِي مَهْجَةِ الشَّقِيِّ الْعَنِيدِ
يَا لِهَذِ رَقَّةٍ يَكَادُ يَرِفُ السُّورِ . . . دُمْنَهَا فِي الصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ
أَنْتِ مَا أَنْتِ ؟ أَنْتِ رَسْمٌ جَمِيلٌ . . . تَهْقِرِي مِنْ فَنِّ هَذَا الْوُجُودِ
فِيكَ مَا فِيهِ مِنْ غُوضٍ وَسِحْرِ . . . وَجَمَالٍ مُقَدَّسٍ مَعْبُودِ

ويستمر الشابي في القصيدة على هذه الطريقة ، في الاحساس والتصوير الفني ، وكل صور المرأة عنده لا تختلف عن هذه الصور الملائكية الكاملة التي تجسم أجمل ما في العالم ، وتمثل كل المماني الانسانية الراقية الشفافة .

وإذا كان الحب عند الشابي عاطفة مقدسة تتجه الى كائن مقدس هو المرأة ، فإن هذا الحب المثالي هو حب حزين لأنه يصطدم بمقبات ومشكلات تجعل منه حبا يائسا " فاجما " فالحب في كثير من قصائده يقتن بالموت ، ان هناك دائما عقبة تترض هذا الحب فتحوله الى مأساة والحب عند الشابي حب تراجيدي فاشل شأنه في ذلك شأن جميع الرومانسيين لأنه يغذى فيهم ذلك الشغور الى نفوسهم وهو شغور الحزن وهذا الحزن أيضا هو منطق طبيعي لأحلام خيالية تصطدم بقوانين الواقع ، ولو عدنا الى الانتاج الأدبي الرومانسي المعروف ، لوجدناه دائما مُستَمَدًا من عذاب الحب الفاشل ، ففي " غادة الكيا مهيا " لألكسندر دumas ، يفشل الحب بسبب معارضة أسرة البطل لزواجه من حبيبته لأنها ذات سمعة سيئة ، وفي " هيلومز الجديدة " لجان جاك روسو يموت الحب بين الحبيبتين لأختلاف الطبقة الاجتماعية بينهما ، وهكذا يصطدم الحب دائما بمقبة من المقبات فيصبح حبا باكيا حزينًا فاشلا .

وفي شعر الشابي نجد هذه الظاهرة بوضوح في كثير من قصائده ...
ففي قصيدة " الذكرى " يقول :

كُنَّا كَزَوْجَيَّ طَائِرٍ . . . فِي نَرْوَحَةِ الْحُبِّ الْأَمِينِ
نَتَلُو أَنَا شَيْدَ الْمُنَى . . . بَيْنَ الْخَيَالِ وَالْفُضُوءِ
مُتَفَرِّدَيْنِ مَعَ الْهَلَاكِ . . . فِي السُّهُولِ وَفِي الْحُزُونِ
مَلَا الْهَوَى كُنَّا سَ الْحَيَا . . . لَنَا ، وَشَعَشَعَهَا الْفُتُونُ
حَتَّى إِذَا كِدْنَا نُرَشِّفُ . . . خَمَرَهَا ، غَضِبَ الْمَنُوءُ
فَأَرَاكَ خَمَرَ الْحُبِّ فِي . . . وَادِي الْكَابَةِ وَالْأَنْسِيِّ
وَأَهَابَ بِالْحَيِّبِ الْوَدِيعِ . . . فَوَدَّ عَ الْعُشِّ الْأَمِينِ
وَشَدَا يَلْحَنَ الْمَوْتَ فِي . . . الْأَفْقِ الْحَزِينِ الْمُسْتَكِينِ
ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ الْيَوْمِ . . . لِأَنَّهُ الطَّيْفُ الْحَزِينِ

وفي قصيدة أخرى عنوانها " جدول الحب " يقتن الموت بالحب

أيضا :

قَدْ كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ جَدُّولٍ
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْمَحَبَّةِ طَاهِراً، يَتَسَلَّسَلُ
تَسْمِي بِهِ الْأَمْوَاجُ بِاسْمَةِ كَأَحْلَامِ الصَّبَا،
بَيْضَاءُ نَاصِبَةً ضَحُوكاً مِثْلَ أَرْهَارِ السُّرْبَى
مَيَّاسَةً كَمَرَائِسِ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ حَقُولِيهِ
تَتَلَوُ أَنَاشِيدَ الْمُنَى فِي مَدَدِهِ وَقُفُولِيهِ

كَلِّدْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْأَمْسِ ! بِالْأَمْسِ الْهَمِيدِ
وَالْأَمْسِ قَدْ جَرَفَتْهُ مَقْهُوراً يَدُ الْمَوْتِ الْعَتِيدِ

وكثير من قصائد الشابي عن الحب تعبر عن نفس المأساة : مأساة
اقتران الحب بالموت ، وذهول الزهور على يد الخريف القاسي الذي
يحمل اليها رياح العدم الصفراء فتقضي على كل ما فيها من غلاسات
الحياة .

ولكنه على رغم ذلك كله كان يشعر أن معنى الحياة الرئيسي هو الحب
بل أن الموت لا يصبح موتاً إلا لأنه يقضي على الحب ، كأن الحب عند
الشاعر قد أصبح هو المعنى الوحيد للحياة ، أو كأنه مرادف لتكلمة
الحياة ، بل لكلمة الحياة ، وفي قصيدته الجميلة " أنا أيكيك للحب "
يقول الشاعر أبو القاسم الشابي :

لَسْتُ بِمَا أَمْسَى أَهْكَكَ لِمَجْدٍ أَوْ لِحَاةٍ
سَلَبْتُهُ مِنِّي الدُّنْيَا وَبَرَّتَنِي رِدَاةُ
فَأَنَا أَحْتَقِرُ الْمَجْدَ وَأَوْهَامَ الْحَيَاةِ
أَوْ لُغْمِيرَ هَلَفْتِ بِنَيْهِ اللَّيَالِي مُنْهَاهُ
وَتَلَاشْتِ فِي خَضَمِ الزَّمَنِ الطَّاعِي قُبَاةُ
فَأَنَا مَا زِلْتُ فِي فِجَرِ شَبَابِي أَوْ هُفَاهُ
أَمَّا أَهْكَكَ لِلْحُبِّ الَّذِي كَانَ بِهِ هَاهُ
يَمْسِلُ الدُّنْيَا فَنِي سِرَّتُ فِي الدُّنْيَا أَرَاهُ

ففقدان الحب هو المأساة التي يعاني منها الشابي ، والتي تحمل الى قلبه
وحياته ربح العدم وهي التي تجعله يبكي على الأمل والحياة .
وعند الشابي قصيدة تحمل معنى صورة جديدة للمرأة هي : المرأة الأم ، وهذه
القصيدة تعتبر من أجمل شعره بما فيها من صور حية ، وعاطفة حارة صادقة ، تلك

القصيدة هي " قلب الأم " ، وفيها يصور وفاة الأمومة وثبات عواطفها ، وعاطفة الأمومة هنا أيضا عاطفة حزينة مصدومة حزينة فقد مات الطفل ونسيه صاحب الصغار ونسيته الطبيعة ، ولكن قلب الأم ما زال يذكره ، وما زال باقيا على حبه وحزنه والشاعر في هذه القصيدة يقول :

كُلَّ نَسْوِكَ وَلَمْ يَمُودُوا بِذِكْرَوْنِكَ فِي الْحَيَاةِ
وَالدَّهْرِ يَدْفِنُ فِي ظِلَامِ الْمَوْتِ حَتَّى الذِّكْرِيَّاتِ
أَلَا فَوَادَا ظِلَّ يَخْفِقُ فِي الْوُجُودِ إِلَى لِقَاكَ
وَيُودُّ لَوْ هَذَا الْحَيَاةَ إِلَى النِّمَةِ وَافْتِدَاكَ
فَإِذَا رَأَى طِفْلاً بِكَ ، وَإِنْ رَأَى شَبَحاً دَعَاكَ
يُضْفِي لِيَصُوتِكَ فِي الْوُجُودِ وَلَا يَرَى إِلَّا بِهَيَاكَ
يُضْفِي لَتَفْتِيكَ الْجَمِيلَةَ فِي خَرِيرِ السَّاقِيَةِ
فِي رَنَةِ الْمِزْسَارِ ، وَفِي لَفْسِ الطَّيْرِ الشَّادِيَةِ
فِي ضَجَّةِ الْبَحْرِ الْمَجْلَجِلِ فِي هَدِيرِ الْعَاصِفِ
فِي شَهْمَةِ الْحَمَلِ ، الْوَدِيعِ فِي أَنْشِيدِ الرُّعَاةِ
بَيْنَ الْمَوْجِ الْخَضِرِ وَالسَّفْحِ الْمَجَلَّلِ بِالنَّبَاتِ

ويستمر الشابي في الربط بين قلب الأم الحزينة وبين صور الطبيعة ومعانيها المختلفة حتى تصبح أحزان الأم متصلة بكل ما في الوجود ، نائمة فيه ، وبهذه الطريقة يرتفع قلب الأم في القصيدة حتى يصبح قلبا مقدسا ، شديد الرحابة والشمول ، عميق الانسانية بصورة لا يعرفها أي قلب بشري آخر .

هذه هي الرؤية عند الشابي في رأى " رجاء النقاش " وهذا هو الحب ، ان المرأة هي الملاك الحنون الذى يهبط من عالم الخيال السحري ليشفى الجراح ، ويحمل رقيق الوجود المقدس الى القلوب التى تبحث عن مأوى وتعلم بالدفع . وهذا هو الحب : زهرة الأزهار ومعلى النشائي في هذه الحياة ، أنه شيء مثالي شفاف لا يكاد يلمس الأرض بقدميه ، بل هو عال رفيع يطير في السماء ، نقي صاف لم يتلوث بالتراب ، أو بتجارب الواقع ، وهو حب حزين على رغم ذلك لأن الموت مثل الثعبان الذى يختفى في زوايا الحياة ليلدغ الزهور الجميلة ويقضى عليها وهى في روعة شبابها السحري العميق . (١)

ويرى " حمدي محمد عبدالوهاب " :

" أن الشابي أول من قدس الفرائز ، وسما بها الى الجمال والاحساس به في جميع أدوار حياته المختلفة من طفولة وصبا وشباب بل وشيخوخة ، لأن الذى

(١) : أبو القاسم الشابي — شاعر الحب والثورة ص ٣٩ — ٤٤ . الطبعة الأولى تموز

يعنى عن رؤية الجمال فى هذا العالم انسان ميت لا نصيب له من الحياه ويقول الشايب :

كل شئ - الاك - حتى عطوف . . . يؤنس الكون شوقه ونشيد
فلماذا تعيش فى الكون يا صا . . . ح وما فيك من جننى يستفيد
ليست يا شيخ للحياة بأهل . . . أنت داء يبيدك وتبيد
لنت قفرت جهنمى لعس . . . مظلم قالح "ربيع" جموده

وهو على ذلك لا يهتم بجمالها الجسدى ، ولا يهتم بفاتها تلك الا بقدر ما تشف عنه من طهارة وشفافية ووضاءة للقلب ، فهو لم يكن يرى فى معالم الجمال فى الطبيعة والانسان الا نواحيها الانسانية الرفيعة ، فليست المرأة عنده الا ملاكا حنوناً هبط من السماء ليشفى الناس من الشر ويحرر قلوبهم من قيود المادة ، ويزيل عن ارواحهم أدران الفساد .

ولعل هذه النظرية الروحية التى دعا لها الشايب لم تكن تعنى عنده مجرد فكرة ذاتية فقط ، وانما تعنى أيضاً ثورة اجتماعية ، ثورة على قيود المرأة فى المجتمع العربى وسواء كان الشايب يدري هذا أم لا يدري ، نستطيع أن نقول :
" أنه قد أدى بدعوته الروحية هذه للمرأة التونسية خاصة والمجتمع التونسى عامة خدمة انسانية جليلة ، ولا شك أن تجريد المرأة من صورتها القديمة كجسد يشتفى فيه تحرير لها من قيود الحجاب . "

على أننا نرى للشايب نظرة أخرى بالنسبة للحب ، فهو لم يصور الحب الفزلى فقط وانما صوّر الحب فى شتى مناحيه : حب الأم لأبنائها ، وحب الانسان للطبيعة ، وغير ذلك من صور الحب المقدسه .

وهو حين يصور عاطفة الأمومة الزكية يوسع من نظرته لهذا الحب ويظل يربط بينها وبين صور الطبيعة المختلفه ، فإذا بقلب الأم يتسع ويذوب فى صور الطبيعة حتى يصبح قلب الأم هو العالم بما رحب ، عميقاً فى شعوره قويا فى انفعاله الانسانى الرفيع ان يقول :

كل نسوك ولم يمو . . . دوا يذكرونك فى الحياه
والدهر يدفين فى ظلا . . . م الصوت حتى الذكريات
الا فؤاداً ظل يخ . . . يقق فى الوجود الى لقاءك
فاذا رأى طفلاً بكى . . . ك وان رأى شعباً دعاك

يصفى لصوتك فى الوجو . . . د ولا يرى الا بهيالك (١)

أما خليفة محمد التليسي فهو يرى :

أن الشايب عرف المرأة ، فقد تزوج وأنجب أطفالاً ولكن الغموض يحيط بالطريقة التى تم بها الزواج ، ويستبعد التليسي أن يكون زواج الشايب مفروضاً

عليه لأنه بذلك " الشابي " يكون قد تنكّر لأسمى السبائىء التي عاش من أجلها .

ويستطرد قائلاً :

ان الشابي على رغم زواجه - ظل يتشوّق في شعره الى الشال الذي يرضي طموحه ، ويشبع روحه . والشعر الذي قاله في المرأة - لانستطيع أن نمثّر فيه على امرأة معينة ، لها شخصيتها وطوائفها ومزاياها التي تنفرد بها . أقول هذا وأنا على بينة من المذهب الذي اتبعه الشابي في شعره ، فقد أخذ على الشعراء القدماء سميهم وراء الجسد ، وأهمالهم الصفات التي تميّز امرأة عن أخرى ، ولو كانت هناك امرأة معينة تختفي وراء هذا القصيد ، لما صحّ أن تترك شعره دون أن تسميه بميمم خاص يستطيع معه القارئ التعرف الى شخصيتها بوضوح .

وشعر الشابي صادر عن نفس محرومة ، فلا يتنفس فيه إلا الشوق والحنين الى تلك التي تنقذه من جهالة أيامه ورتابتها المملة ، ولذلك أجدي مع القائلين بأنه كان يتغنى بالمرأة كمثل أعلى ، لا امرأة معينة وقصيده الرائية " صلوات في هيكل الحب " لاتصور امرأة بعينها قدر ما تصور نفسه ونزوعه الى الحب البريء الطاهر ، الذي يرفع المرأة عن النظرة القديمة التي يراها الشابي " دنيئة ساقطة ، مضطّعة الى أقصى قرار من المادة ولا تفهم من المرأة إلا أنها جسد يشتهي ، ومثمة من متاع العيش الدنيء " .

وكان حبه للمرأة ونظرتيه اليها من ذلك النوع الذي تختلط فيه العفة بالتصوف ، فاذا المرأة في منزلة العبادة ، ومصدر هذه النظرة عند الشابي حرمان فرضته البهية والتقاليد التي حالت دونه ودون الانطلاق والتحرر فكان من ذلك هذا النغم الحزين ، وهذه الضراعة للحبيبة حتى ترحم الشباب الذاوى ، والقلب المتهدم ، والشاعر الذي يسلك طريق الحياة ، كالشارد الهيمان ، فكانت صلاة الشابي في هيكل الحب ، وهي أرفع صلاة تُوجّه الى امرأة في أدبنا العربي ، قديمه وحديثه ، لما تحفل به من ومضات انسانية رائعة ، وسموّ في النفس ، وارتفاع عن شوائب الجسد ، وبلا شك أن هذا التمجيد الذي نالته المرأة في شعر الشابي ، ليس سوى رد فعل على مجتمع لا يرى فيها ما يراه هو بهداهة الشاعر الفنان ، من المعاني السامية ، فأراد أن يكشف لهذا المجتمع عما في قلب هذه المخلوقة الضعيفة من عواطف رقيقة ، ومماني نبيلة ، وقوة دافعة

ملهمة .

وكان في تساميه ، مستجيبا الى النزعة الرومانسية التي كانت مشغولة بالقضايا الانسانية الكبرى ، منصرفا الى الحقائق والقيم الأخلاقية العليا ، عازفة عن التواقه المارضة الزائلة لايمانها بأنه :

غَيْرُهَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا جَمَالُ الرُّوحِ غَضّاً عَلَى الزَّمَانِ الْأَمِيرِ .

وذلك هو الجمال المنشود الذي كان يبحث عنه الشابي ، لذا تبلغ راعته " صلوات في هيكل الحب " حدا من الابداع تطفئ معه على جميع ما قيل في تمجيد المرأة في الشعر العربي ، اذ تمتاز بهذا التسامي والتصوف ، ولا تغبأ إلا بالسماوي الروحية التي توحيها المرأة .

وبمثل الحرارة التي تسرى في هذه القصيدة فشل الشاعر في تحقيق مثال المرأة المثلى بمراده في واقع الحياة فلا ضامن له من أن يعمش في خياله مع المرأة المثلى أقامها الهبة ، يرتل في هيكلها المقدس تساميه وصلواته الحارة وصلوات فيها الضراعة والبكاء والحسرة على المجتمع الكافر بالقيم الرفيعة ، المهاد للرواسب البالية التي تنحدر الشخصية الانسانية انه ينشد المثال الذي لم يوفره له المجتمع .

لقد سجل الشابي ، بهذه القصيدة ، اتجاها جديدا في الأدب العربي ، وخرج عن مألوف الشعر الذي كان يهتم بالمحاسن الجسدية (١) .

أما أبو القاسم محمد كروفيرو :

أن الشابي لم يكن موفقا في حياته الزوجية ، وأنه تزوج ارضاء لوالديه أو لأحدهما فقط . ويؤكد أن الشابي لم يجد في زوجته تلك الصورة الشعرية الرائعة التي كان يرسمها للمرأة في أشعاره ويتغنى بها في قصائده . لذا لذلك لم يلبث أن وقع في شرك حب عنيف ، قاده الى مهاد الفرام ومحارب الهوى حيث رتل " صلواته في هيكله " وأحرق قلبه وعواطفه بغورا عند أقدام الحبيب .

على أن بعض أصدقاء الفقيد ينكر هذا الحب ، ويحاول تحليل ما قاله الشابي من شعر ونثر ، فانه تمجيد لجنس المرأة وجمالها وفتنتها لا افتتان وحب لأمراة بالذات ويشير بذلك الى محمد الحليوي صديق الشابي .

ويؤكد كروفيرو بأن الشابي أحب فتاة معينة ، وأنه شغف بهذا الحب

الى درجة المباداة والتقدير ، ولا يستطيع أحد قرأ القصائد :
 " الساحرة " و " طلوات في هيكل الحب " و " أراك " و " تحت الفصوص " و " الايمان بالحياة " و " جدول الحب " أن يقول انه كان يتغنى بالمرأة كجنس أو كمثل أعلى ، فنحن حين نستمع الى الشاعر وهو يردد :

أراك فتحلو لدى الحياة . . وينأى نفسي صباح الأمل
 وتتمو بصدرى وروى عذاب . . وتحنو على قلبي المشتعل
 ويفتني فيك فيني الحياة . . وذاك الشاب الوديع الثمل
 ويفتني سحر تلك الشفاء . . ترفرف من حولهن القبل
 فأعبد فيك جمال السماء . . ورقة ورد الريح الخليل
 وطهر الثلوج وسحر المروج . . موشعة بشمع الطفيل ؟

أو حين يقول :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام . . كاللحن كالصباح الجديد !
 كالسماء الضحوى كالليلة القمراء . . كالورد كابتسام الوليد !
 أنت يا أنت ؟ أنت رسم جميل

عبقري من فن هذا الوجود !

فيك ما فيه من غموض وعق . . وجمال مقدس مقبود !
 أنت روح الربيع تختال فني الدنيا فتتهز رائمات الورود
 وتهب الحياة سكرى من المطر

وبدوى الوجود بالفرس

كلما أبصرتك عينا تشين

بخطو موقع كالنسيم

خفق القلب للحياة ورف الزهر في حقل عري المجرو
 وانتشت روعي الكيبة بالحبيب

وغنيت كالبهليل الغريد

حين نستمع الى ذلك كله لا يمكننا أن نشك لحظة في أن هذا الشاعر انما قيل في امرأة معينة ، وان كما نجهل حقيقة هذه المرأة .

وان صوت هذه المرأة قد احدث في حياة الشابي وأدبه انقلابا بعيد الأثر متعدد الجوانب والصور ، ويمكننا أن ندرك هذا من مصادر مختلفة منها قصيدته " جدول الحب " وقصيدته " بين الأمس واليوم " التي يقول فيها :

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة

واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمه

ويقول :

هو جندول قد فجرت ينبوعه في مهجتي
أجفان فاتنة أرشها الحياة ، لشقوتي
أجفان فاتنة ، تراءت لي على فجر الشبا
كمروسة من غانيات الشعر في شفق السحاب
ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث المنداري الخالدات ، يمس ما بين النجوم
ثم اختفت أوها ! طائفة بأجنحة أسرار النون
نحو السماء ، وما أنا في الأرض تبال الشجون
قد كان ذلك كله بالأمس ! بالأمس البعيد
والأمس قد جرفته مقهوراً ، يد الموت المنيد
قد كان ذلك ، تحت ظل الأمس ، والمضي الجليل
قد كان ذلك في شعاع البدر ، من قفل الأفول
واليوم ان زالت ظلال الأمس عن زهرى البديع
وتجلت الزهر الجميل بظلمة الليل المريع
ذهبت مراهقه ، فأصبح ذاوياً ، لضوء الكلام
وهوى لأن الليل أسعفه أناشيد النجوم

وأحسب أن هذا لا يترك مجالاً للشك في أن الشابي كان يحب امرأة من لحم ودم ، لا مثلاً شعرياً في عالم الخيال ، وأنه شفق إلى حد العبادة بمخلوق ناعم فاتن كقynos ربة الجمال وأن هذه المرأة كانت حقيقة واقعة في حياة الشابي ، وأنها كانت بارعة الحسن الحسن ذات فتنة هوجاء وأكثر من ذلك ، وكانت تحبه حباً قوياً وتبادل له الفسرام في خلوات شمرية رائعة ، ونجد لهذه الخلوات صداها القوي في شعر الشابي ووصفاً مطراً يلتهب بحرارة الحب ومار الهوى ، ولعل خير ما يمثل هذه الخلوات قصيدته " تحت الفصون " و " الساهرة " إذ نجد فيها وصفاً مفصلاً بالصدق والحراو للقاءات الشاعر مع حبيبته وتناجيهما المذب الحنون (١) .

هذا وبعد أن عرضت وجهات النظر المختلفة التي تحدثت عن

حبّه يثبت لدينا يقينا أن هذا الشاعر كان قلبه مفعما بالحنان
والانسنانية والتقلبات الماطفية ، ولا أستطيع أن أرحج هنا أي من هذه
الآراء في لأن ما كتبه وألفه الشاعر لم ينشر بمدّ ولكن يتضح لدينا
أنه أحبّها صادقاً سولاً لأمرأة بعينها أو لجنس النساء عامة
أو أنة لفظة الأنثى مكنيا بها وطنه تونس، تلك الأرض التي أحبها حتى
أغص قدمه وأدمى قلبه هنزنا على ما أصابها من نكبات وويلات
وأهمها وأشدها إيلا ما الاستعمار الذي انتشر فيها كالأخطبوط، لهذا
وجدنا أشعار الشابي الشائرة والتي سبق ذكرها في الباب المعاشي
تمنى الشعب صراحا على الثورة والتمرد وتحثه على النضال والحرية
حتى ترجع تونس للتونسيين .

=====

=====

=====

=====

=====

=====

==

=

حب والسده

=====

لقد أحب الشابي والده حبا عفيفا، ظهرت آثاره في تصرفاته وآثاره الشعرية منها والنثرية ، ولا غرو في ذلك فإن والد الشابي كان عالما فاضلا، رعى ابنه رعاية كبيرة وكان مؤيدا له في اتجاهه الأدبي وفي كفاحه المشرف أثناء معركة الإصلاح التي قام بها طلاب الزيتونة سنة ١٩٢٨م. منادين بجمل التلميم التقليدي عصريا متطورا وكان الشابي رائدا وقائدا له في هذه المعركة، ولمل من أفضل الشواهد على تأييد والده له ما ذكره الأستاذ أبو القاسم محمد كرو قال :

”... لما قام الطلبة يطالبون بالإصلاح الريثوني كان الشابي أول رئيس للجنة الطلبة التي عقدت جلستها الأولى في الخامس من رجب سنة ١٣٤٧هـ، وهو الذي وضع برنامج أول عمل للطلبة بالإصلاح. ولما وجهت لجنة الطلبة منشورا الى رجال الفكر والرأى المصيب في تونس تطلب منهم امدادها برأيهم في الإصلاح، كان أول جواب تلقته من والد أبو القاسم الشابي، الذي حرر تقريرا ضافيا احتوى على نحو عشرين صفحة، ضمنه آراءه في الإصلاح، أردفه بمكتوب لطيف يمتدح فيه عن التقصير لكثرة أشغاله حيث كان قاضيا على زغوان” (١) من هنا نلاحظ أن مثل هذا الوالد الذي ترك آثاره واضحة على شخصية ابنه لا يبد أن يترك حيا عيقا في شخصية هذا الابن وفملا كان الشابي وفيأ لوالده ، وإذا أخذنا برأى أبو القاسم محمد كرو ولنا الى تصديقه في موضوع زواج الشابي، فانتا نرى أن الشابي أتم زواجه بناء على رغبة والده على رغم أن الأطباء نصحوه بعدم الزواج، ويقول الأستاذ عمر فروخ في هذا :

”..... ويبدو أن الأطباء نصحوه بعدم الزواج ، ولكن خطوبته على ابنة عمه كانت قد تمت في حياة أبيه، لذلك لم يستطيع أن يلفي عملا أراد له أبوه لشدة حبه له وبه به” (٢)

(١) : الشابي - شعره وحياته - أبو القاسم محمد كرو - ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) : آثار الشابي وصداه في الشرق - أبو القاسم محمد كرو - ص ١٤٠.

وعندما مرض الولد مرض الموت سنة ١٩٢٩م، رافقه الابن الشاعر الى مسقط رأسه وسهر عليه في أيامه الأخيرة، وكانت ساعات هذه الاحتضار والآلم الأطفال وأحزانهم حول أبيهم من الدائمة الصيقة، التي عصرت قلب الشاعر وخياله ودموعه، ولم يتحدث عن شيء بألم دام وحسرة مؤثرة عميقة قاتمة كما تحدث عن لحظات أبيه الأخيرة، وعن خيال الولد الذي ظل يتراءى له بعد الموت مع أشباح الأعزاء المفقودين الآخرين، ولم يمل خير ما يمثل هذه اللوعة القاسية وذلك التفجع المثل والأنين المر الذي يوضح ما ذهب اليه الشابي من حب عنيف لوالده، تلك الرسائل التي بعثها الى صديقه الأستاذ محمد الحليوي نكتطف منها :

.. انني أحاول أن أخط اليك ما تمسه نفسي من مرارة الأوجاع وهموم الزمن الحائر، فلا أستطيع إلا مثل هذه الكلمات المتقطعة التي لا تكاد تبين عما أكابد من غصص العيش وبأسائه كما يساورني من الأفكار المدلهمة كقطع الليل المظلم.

لا أذكر أنه مرت علي فيما سلف أيام من عمرى أيام أنكد من هذه الأيام أو أشد.

في الصباح أجلس الى أبي الذي أنهكه المرض وأضناه وأرضاه الذي أذله الألم وأذوته الحمى وإلى جسده النثمد السواهن، وسمعي الى نفس المتقطع وتأوهات المثابمة، وعهدى به ذلك الرجل الجليد فما أراه كذلك إلا وتملاً نفسي الزفريات وتملاً عيني المعبرات وتنطلق من قلبي المثلوم وصدرى المكوم، أنات القهر ودعوات الرجاء، الى اله الحياة والموت وباسط النور والظلمات أن يشفي هذا الأب السواحي الطريح وأن يشفق على صبيته الضفار الذين ما زالوا واقفين بباب الحياة... ومن حين لآخر يوقع والدى بصره الى فلا يسترجعه إلا مترعاً بالدمع أو مخضلاً بالمعبرات" (١)

ولعل في السطور القليلة الساخية خير دليل على هذا الحب الذي لا يساويه ولا يمدله حب، فلقد ذرفت عيناه الدموع ودموع الرجال عزيزة، ولقد تفر من الكبد ولا يكون ذلك إلا على عزيز، وهل هناك

أغزّ من الأب الحاني المطوف، خصوصاً إذا كان كالأب الشابي الذي
بذل قصارى جهده في سبيل بناء ابنه وتوجيهه.

وإذا كانت نفسه تغني أحياناً بالأسى والحزن، وكأنه يريد أن
ينطق معبراً عن هذا الألم، إلا أن شعره أيضاً لا يخلو من الحزن والأسى
حتى أننا لنجد قصيدة قالها الشابي في رثاء والده وعلى الرغم
أنه لا يجهد هذا الفن ولا تماطاه، وهي قصيدة حزينة متوسطة في
فنها، بل هي أقرب إلى النواح والندب الساذج من أي رثاء قوى
رصين، وقد مهد لها بقوله :

" هي صرخة من صرخات نفسي الملوثة بالأحزان والذكريات
وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في
أيام الأسى التي تلت نكباتي بوفاء الوالد رحمه الله تعالى " (١)
ولعل الشابي بهذه المقدمة أراد أن يحترز عن مستوى القصيدة
الذي لم يبلغ المستوى الذي وصلت إليه روائعه، ويقول من قصيدته :

يا موتُ قد مَزَّقْتَ صَدْرِي . . وَقَصَّمتَ بالأرزاءِ ظَهْرِي
ورَمَيْتَنِي من حِـسَالِيقٍ . . وَسَخِرْتَ مِنِّي أيَّ سَخَرِ
ويقول منها أيضاً :

وَفَجَّعْتَنِي فَمِنْ أَهْلٍ . . وَمَنْ إِلَيْهِ أَبْتُ سِرِّي
وَأَعْدَةُ فَجَرَى الْجَمِيل . . إِذَا مَا أَدْلَهْمُ عَلَيَّ دَقْرِي
وَأَعْدَةُ وَرْدِي، وَمَزْمَارِي وكَاسَاتِي وخَمْرِي
وَأَعْبُدُهُ غَايِي وَمَجِيسْرَايِي، وَأَغْنِيَتِي، وَفَجَرِي
وَرَزَاتِنِي فِي عُمْدَتِي، وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَهَدَمْتَ صَرْحاً لَأَلْوَدُ بِفَيْرِهِ، وَهَتَكَتَ سِيْرَتِي
ويقول منها أيضاً :

وَفَقَدْتُ كَهْلاً فِي الْحَيَاةِ . . يَصُدُّ عَلَيَّ كُلَّ شَرٍّ
وَفَقَدْتُ رَكْنِي فِي الْحَيَاةِ، . . وَرَأْيَتِي وَعِمَادَ قَضَرِي.

ويتصور الشاعر الموت عدواً لدوداً لا يستطيع إهماد شبحه عنه ولا
مقاومته، لذا نراه يوجه إليه حديثاً صريحاً لتصفية الحساب بينه
وبينه فيقول :

يا موتُ ماذا تبتغي . . مِنِّي وَقَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي ؟

الى أن يقول :

ان كنت تطلبني فهات الكأس، أشربها بصبر
أو كنت تترقبني فهات السهم، أرشق به بنحري
خُذْنِي إِلَيْكَ فَقَدْ تَبَخَّرَ فِي فَضَاءِ الْهَيْمِ قُمْسَرِي

الى أن يقول :

خُذْنِي إِلَيْكَ! فَقَدْ ظَمِئْتُ لَكَاسِكَ الْكَبِيرِ، الْأَمِيرِ
خُذْنِي فَقَدْ أَصَحَّتْ أَرْقَبُ فِي فَضَاكَ الْجَوْنِ فَجْرِي
خُذْنِي، فَمَا أَشْقَى الَّذِي يَقْضِي الْحَيَاةَ بِمِثْلِ أَمْرِي

الى أن يقول :

يا موت! نفسي لت الدنيا، فهل لَمْ يَأْتِ دَوْرِي؟ (١)

لا شك في أن الشابي في أبياته هذه وصل الى درجة اليأس من الحياة، وذلك لمظم المصيبة التي أصابته بموت والده، والحق أن المصيبة لا تكون عظيمة إلا اذا كان حب الشابي لوالده عظيما، وبفقدده يصاب بالأم الجلل وهو ما أشارت اليه الأبيات السابقة، ولقد عبرت خير تعبير عن الشاعر لوالده، انطلقت بصورة تصرفه وقد فقد السيطرة على نفسه وعقله وقلبه .

=====

=====

=====

=====

=====

=====

(١) : الديوان - ص ٢٣، ومؤرخة بتاريخ ٢٦ / من ربيع الثاني / سنة ١٣٤٨ هـ
غرة أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٢٩ م.

حب الحياة

=====

لم يكن الشابي يوماً سوى شاعر الحياة ، عاش شاباً ومات شاباً
 لم تهرم نفسه قط ولزهرم بدنه ، حتى كان بالرغم من ظلمات الليل
 يباقي الحياة ، وكان الشابي أول من اشتهر بالتشاؤم ، فهو في نظره
 ضرب من البهتان الزائف وهو يمثل الحرب على الجمود والخمود ، لأنه
 يريد الحياة بكل معانيها من تجدد وازدهار - وطموح وأمل وعزيمة
 وناء ..

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بِمَقْدَرِي يَا أَبِي
 وَمَشَاعِرِي عِمَاءُ بِالْأَحْزَانِ
 أَنِّي سَأُظْمَأُ لِلْحَيَاةِ ، وَأُحْتَسِي
 مِنْ نَهْرِهِمَا التَّوْهِجِ النَّشْوَانِ
 وَأَعُودُ لِلدُّنْيَا بِقَلْبٍ خَافِيقٍ
 لِلْحُبِّ وَالْأَفْرَاحِ وَالْأَلْمَانِ
 وَإِذَا التَّشَاؤُمُ بِالْحَيَاةِ وَفَتْحَهَا
 ضَرَبْتُ مِنَ الْبَهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ
 إِنْ أَمِنَ آدَمُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ
 عَهْدَ الْحَيَاةِ الصَّادِقِ الْإِيَّانِ

فالشابي شاعر الحياة بكل معانيها ، وظل الى آخر عمره عابداً
 للحياة متشوقاً لها ، عدواً لدوداً للموت والخمود والجمود والجهل والظلم
 سمى ديوانه " أغاني الحياة " وجاءت ألفاظه كلها ألفاظ حيّة
 بل ان لفظة الحياة نفسها جاءت في أول بيت اختاره لديوانه :
 ضُمَّعَ الدَّهْرِ مُجَدِّ شَمِي وَلَكِنْ
 سَتَرْتُ الْحَيَاةَ يَوْمًا وَشَاهَكُمُ

ولعل من علامات الحياة في شعره كل هذه الأفكار التي تشل
 فلسفة متكاملة ، كلها عن ارادة القوى والبقاء ، لا لصلاح والكفاح في
 سبيل الوصول الى الأهداف (١) .

وهو وان يكن رقيق الحياة يثله ، إلا أنه لا يخلو من لهفة لتعرف
 كنه تلك الحياة ، ففيه حنين الى المجهول وتطلع الى المفلق ، ومن تلك

(١) : الشابي شاعر الخضراء - حمدي عبد الوهاب ص ١٤١ - ١٤٢ .

الافاق البعيدة بحس بالوحدة ، وقد تخلف علامة البشر عن التحليق
في تلك الاقاف ومن هنا نأتى صيغته في قصيدته " الأشواق التائهة "
ان يقول :

يا صمِّمَ الحياة اني وحيده . .
مُدْلِجٌ تَائِهَةٌ فَأَيْنَ شَرَوْكَ
يا صمِّمَ الحياة اني فؤادٌ
ضائعٌ طامِسٌ فَأَيْنَ رَحِيقَكَ

ولكن الشاعر لا تطول لهفته ولا يضل سبيله ، فقد اهتدى الى صميم
الحياة التي كان ينشده ، أو على الأصح أحس به أعقى الاحساس على
غير وعي منه ولا تفكير ، وكان هذا الاحساس أقوى من كل وعي وأغنى
من كل تفكير ، وما هو إلا الحرية والانطلاق ، وقد تغنى بهذه الحرية
وذلك الانطلاق حيث قال في قصيدته " أعباني الرعاه " :

أقبل الصُّبحُ يُفَنِّي للحياة الناعسة
والرُّبى تحلَّم في ظلِ الفُصونِ المائسة
الصبا تُرَقِّصُ أوراقَ الزُّهورِ الهائسة
وتهدى النُّورُ في تلك الفِجاجِ الدامسة
وكان من الطبيعي أن تسكن أشواقه التائهة وتتخاص من
نار اللهفة ، ووقوده التطلع الى سر الحياة المجهول ، فيصبح مع الصباح
الجديد قائلاً :

اسكني يا جراح . . واسكني يا شجون
ملت عهدُ الفُواح . . وزمانُ الجنون
وأطل الصِّباح . . طين وراء القُـرُونِ
ان سحرَ الحيا . . هالِكٌ لا يزول

ان هذه الروح العالية المتفائلة ، هي التي تجعل من الشابي
أحد شمراء الحياة الذين لا يعرفون اليأس ، ولا تَفُتُّ في عضدهم
الأيام والليالي ، وهو لا يصدر عن هذه الروح العالية في حياته الخاصة
فحسب ، بل يتخذ منها نبراساً لحياة قومه ، وكما يطلب الحرية
لأنفاسه وأحلامه نراه يطلبها لوطنه ، ويؤمن بأنه لا بد واصل اليها
وهو القائل في قصيدته " ارادة الحياة " :

إذا الشعب يوماً أرادَ الحياةَ
فلا بُدَّ أن يستجيبَ القَدَرُ

وَلَا يَدُّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِيَ

وَلَا يَدُّ لِلْقَهْدِ أَنْ يَنْكَسِرَ

بل انه ليعمر كل العمرى على أن يؤمن الشعب برسالته ، ويثبته
ألا يسارع ذلك الشعب الى الاستجابة لندائه ، وقد أنسته حرارة
الايان وحساسية الشمر أنه رائد يشق اقفا جديدة ، ويدعو الى
فجاج غير مطروقة ، فيحز في نفسه الألم ويتردد هذا الألم في
قصيدته "النبي المجهول"

فِي صَبَاحِ الْحَيَاةِ ضَمَخْتُ أَكْوَابِي

وَأَثَرَعْتُهَا بِخِمَرٍ نَفْسِي

ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ فَأَهْرَقْتُ

رحيقي ودست يا شعب كأسيا (١)

ومما لاشك فيه أن الخوف من شقاء الحياة أصيل في شمر الشابي
فليس في وجوه الحياة غير الأغوار والكهوف ، والظلام والخاب والدموع
فيقول الشابي في هذا :

صَاحِ انْ الْحَيَاةُ أَنْشُودَةُ الْحُزِّ

نِ فَرْتِلْ عَلَى الْحَيَاةِ نَحْيِي

انْ كَأْسَ الْحَيَاةِ مِزْعَةٌ بِالدَّمِّ

سَمِعْ فَأَسْكُبُ عَلَى الصَّبَاحِ هَبِيبي ؟

انْ وادي الظلام يطفح بالهـو

لِهُمَا أَمَدٌ ابْتِسَامِ الْقُلُوبِ !

لَا يُفَرِّقُكَ ابْتِسَامُ بَنِي الْأَر

فِي فُخْلِفِ الشَّمَاعِ لَدُّعُ اللَّهْيَابِ

قَدْ سَأَلْتُ الْحَيَاةَ عَنْ نَفْثَةِ الْقَجَرِ

وَعَنَ وَجْهَةِ الْمَسَاءِ الْقَطُوبِ

فَسَمِعْتُ الْحَيَاةَ فِي هَيْكَلِ الْأَحْ

سَازِ تَشْدُو بِلَحْنِهَا الْمَحْبُوبِ

مَا سَكُوتُ السَّمَاءِ إِلَّا وَجْهٌ

مَا نَشِيدُ الصَّبَاحِ إِلَّا نَحْيِبِ

لَيْسَ فِي الدَّهْرِ طَائِرٌ يَتَفَنَّى

فِي صَفَافِ الْحَيَاةِ غَيْرُ كَثِيبِ

(١) يشار الشابي وصداه في الشرق - أبو القاسم محمد كروم ٢٠٧ -
٢٠٨ من مقال للدكتور محمد مندور .

ويستمر الشابي في رؤية الشقاء والكآبة في الحياة ولو تبدت الحياة
له بزيتها وضحكته في كل مظهر من مظاهرها ، ان الشابي
يمتدح بذلك ثم يقول انه وحده بائس ، بينما كل شيء حوله جميل
راه طروب عجيب ان يقول :

ما للمياه نقية

حولي وينبوعي مشوباً

ما للصبح يمود للبد

نيما وصحبي لا يؤوب ؟

مالي يضيئ بي الوجوه

دء وكل ما حولي رهيب ؟

مالي شقيت شكوكها

في الكون أخاذ عجيب ؟

ان الوجوه الرعب والـ

فبات والأفق الخصب

لم تخف أشواق الحياة

بها ففاد رها القلوب ،

أما أنا ففقدتها

والليل مرر به رهيب

مهما تضاحكت الحياة

فانني أبداً كهيب

أصفي لأوجاع الكآبة

بئة ، والكآبة لاتجيب

في مهجتي تناوة الـ

بلكوى ويختلج النحيب

ويضيع جبار الأسى

وتجيش أمواج الكروب

انني أنا الريح الذي

سيظل في الدنيا غريب

ويرى الشابي قلة الجدوى من هذه الكآبة وهذا التشاؤم فيريد
ننا أن نفتح عيوننا على جمال الحياة ، فيجرد من نفسه شخصاً يخطئه

بقصيدته "يا ابن أمي" ويقرعه على تفاضله عن جمال الحياة فهو
يقول :

خَلَقْتَ طَلِيقًا كَطِيفِ النَّسِيمِ
وَحَرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءٍ
تَفَرَّدَ كَالطَّيْرِ لَمَّا اِنْدَفَعَتْ
وَتَشَدُّو بِمَا شَاءَ وَحْيُ الْإِلَهِ
وَتَمَرُّحُ بَيْنَ وَرُودِ الصَّبَاحِ
وَتَنَمُّمٌ بِالنُّورِ أَنْتَى تَرَاهُ
وَتَمْشِي كَمَا شِئْتَ بَيْنَ الْعُرُوجِ
وَتَقْطِفُ وَرْدَ الرُّبَا فِي رُبَاهُ
كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْوُجُودِ
وَأَلْقَتْكَ فِي الْكَوْنِ هَذِي الْحَيَاةُ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذِلِّ الْقِيُودِ
وَتَحْنِي لِمَنْ كَبُوكَ الْجِبَالُ؟
وَتَطْبِقُ أَجْفَانَكَ النِّيرَاتِ
عَنِ الْفَجْرِ، وَالْفَجْرِ عَذْبُ ضِيَاهِ
أَتَخْشَى نَشِيدَ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ؟
أَتُرْهَبُ نُورَ الْفَضَا فِي ضَمَاهِ؟
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَهْلِ الْحَيَاةِ

فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ ! (١)

وقبل أن نختم هذا الفصل نعتف أن الشابي كان يحب الحياة انسانا
ويعذوقها شاعرا والآن لما حزن على تسليها بالمرض، ولكن حبه هذا
للحياة أقرب إلى أن ينورته الأسى عليها وهي تغيث من أن يشيع فيه
"التفائل" لقد كان المسكين ذكيا، يرى ويحس الغروب يتمجله، وما
نعم بهشمشة الفجر أو ألح الضحى .

=====

=====

=====

=====

=====

حب الطبيعة

=====

لقد احتلت الطبيعة في شمر الشابي مكانة مهمة بارزة ، إنها الأم الحانية ، والطلجاء الأول والأخير ، وقد كان الشابي بحاجة الى أم تحنو عليه و تلجأ ، يأويه ، وذلك لأنه كان على خلاف حاد مع الحياة الواقعية وكان يعيش في خصومة عميقة مع المجتمع ، وكان طموحا الى حياة أكثر حرارة وبقظة بين جميع أبناء شعبه ، وكان فوق ذلك كله مريض بمرض القلب ، يزحف الموت اليه لحظة بعد لحظة ، وكان يحس بأن رغبته في الحياة مهددة دائما بقوة الموت الزاحف اليه ، كل هذه الأسباب جعلته حزينا ، ودفعته الى عالم يذوب فيه بشخصه وأحاسيسه وأفكاره ، فيخفف عنه ، ويرفعه الى شعور جديد بحيث يجد في الألم لذة ، وفي متاعب الحياة اليومية شيئا صغيرا يتغائل أمام الشمور السامي الذي يعيش فيه .

وفي الطبيعة وجد الشابي عالمه الجميل النقي ، وفي قصيدته " النبي المجهول " يمر الشابي عن أزمته مع شعبه ، حيث لا يفهمه الشعب ، ولا يستجيب لأفكاره وآرائه التي تهدف الى تحريره المعنوي والمادي عندما تصل به الأزمة الى أعلى درجاتها ، لا يجد ملجأ سوى الطبيعة ، ومظاهرها المختلفة كما يقول في قصيدته " النبي المجهول " التي أشرنا اليها من قبل :

انني ناهيتُ الى الفأبِ يا شعبي

لأقضي الحياة وحدي بيأسٍ سي

وعندما تنتهي حياته ويموت ، فهو يفضل الموت في الفأب بما فيه من طيور وأشجار أحنى عليه من الناس ان يقول :

نم تحت الصنوبر الحُسلو

تخطُ السيلُ حفرةَ رمسي

وتظل الطيور تلقوا على قبي

ويشدو النسيم فوقي بهمس

وتظل الفصول تمشي حوالي

كما كن في غصارة أوسي

والشابي يجدت خلاصه في الطبيعة ، ولذلك يعيش بخياله وحواسه
ومشاعره كلها في الطبيعة ، ويستمد صوره الفنيه من الطبيعة قبل أن
يستمدّها من أي شيء آخر ، والطبيعة عند الشابي غير مطلق
وجمال مطلق ، وكأنه بهذا الاحساس نمو الطبيعة يجعل منها عالمه
" المثالي " الكامل الذي يعوّضه عن العالم الواقعي الناقص المليء
بالبشر والقبح والحزن ، فإذا كان قد فقد الأصدقاء فإنه سوف يجد
الصدّاقة والفهم عند الطيور ويعبر عن ذلك قائلاً :
سوف أتلو على الطيور أناشيدي

وأفني لها بأشواق نفسي

فهي تدرى معنى الحياة وتدرى

أن مجرد النفوس يقظة حسية

فإن الطيور عنده تدرى معنى الحياة الذي لا يدرّيه أبناء مجتمعه ويقظة
الاحساس التي تفهمها الطيور لا يفهمها بنو البشر الذين يعيشون من
هولاء ، إن يقظة الاحساس عند الشابي هي جوهر الحياة .
وهكذا فكل المعاني التي فقدتها مع الناس وجدها في الطبيعة :
الصدّاقة والفهم والحب والجمال ، إن الطبيعة هي عالمه المثالي الذي
يرد به على نقى الحياة الاجتماعية وقصورها عن الوصول الى الكمال .
على أن أهم ظاهره في شعر الطبيعة عند الشابي أنه أعطى
للطبيعة " معنى انسانياً " وهذه الظاهرة لا ينفرد بها الشابي فهي
تكرر عند كبار الشعراء الذين عبروا عن الطبيعة أو صوروها في
شعرهم ، ولقد كان الشابي واحداً منهم ، لم يكن يحب الطبيعة المجردة
ولم يكن يجد فيها جمالا خاصا مستقلا عن الانسان ، بل إن كل
جمال في الطبيعة يستمد وجوده من " معنى انساني " ، وهذه
الظاهرة تثبت أن الشابي كان يبحث في الطبيعة عن الجمال والكمال
الفقودين في المجتمع والحياة الانسانية التي يعيشها ، فقد اقتنع
بخياله واحساسه أن الطبيعة " مجتمع " آخر متناسق يقوم على أساس
من نفس المشاعر التي تقوم عليها الحياة الانسانية ، والطبيعة هنا
تنطق بلسان الشابي وتقول كل ما آمن به من أفكار ، وكل ما امتلأ
به قلبه من عواطف وأحاسيس ، فالحب في قصيدته " طلوات في
هيكل الحب " عذبة كالورد ، كالصياح الجديد ، كالسما الضحوك ،

كالليلة القمراء ، وفي نفس القصيدة يخاطب الشابي عبيته بمثل هذه الصور المستمدة من الطبيعة أيضا :

" أنت فجر من السحر " ، " أنت روح الربيع " ، كلها صور مستمدة من الطبيعة ، ولكن وضع عاطفة انسانية وجمال انساني لتوضيح عاطفة الحب وجمال المرأة المحبوبة .

وفي قصيدته " قلب الأم " عندما يصوت الطفل تذوب روحه في كل مظاهر الطبيعة ، وتنظر الأم المحزونة هنا وهناك ، فتري صورة ابنها وصوت ابنها ترى هذا كله لأن ابنها لم يدفن في قبر بل انساب في الأزهار والأشجار وأصوات الطيور ، فهو يقول :

ويراك في صور الطبيعة : حلوها وديمها

وحزينها وبهجها ، وحقيرها وعظيمها

في رقة الفجر الوديع ، وفي الليالي الحاله

في فتنة الشفق البديع وفي النجوم الباسمه

في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم

في سحر أزهار الربيع ، وفي تهاويل الفيضوم .

وهكذا ترتبط الطبيعة بعاطفة الأم نحو ابنها ، وبذلك تأخذ الطبيعة معنى انسانيا واضحا ، وفي الوقت نفسه تصبح عاطفة الأم ثابتة خالدة مثل مظاهر الطبيعة نفسها .

وفي قصيدة " ارادة الحياة " ينادى الشابي الشعب ويدعوه الى اليقظة والثورة ، ثم يجعل الطبيعة تنطق بأفكاره فيقول على لسان الريح :

ودمدمة الريح بين الفُجَاجِ

وفوق الجبال وتحت الشجر :

" اذا ما طمحت الى غايكة

ركبت المني ونسيت الحذر "

" ولم أتجنب وعمور الشقاق

ولا كبسة الذهب المستعمر "

" ومن لا يحب صمود الجبال

يمش ، أبدا الدهرين الحفر "

فالريح تدعو الى الثورة وتحث الناس طريق الثورة الذي هو طريق الخطر ونسيان الحذر وخوض الذهب ، وفي نفس القصيدة يصور الشابي الأرض في حالة شوق وطسا الى الحياة ثم يأتي " الربيع "

فتتجر الكائنات ، وينشق القرباب ، عن كثير من مظاهر الحياة ، وكأن الربيع الذي ملأ الأرض هو الثورة التي يدعو اليها الشبابي مجتمعهم ، ليتحرر هذا المجتمع من جديده ويصبح مجتمعاً خصباً مليئاً بظواهر الحياة ، مثل الأرض في الربيع .

انـي يقول : الربيع للحياة في نداء حار جميل يوجهه الى الأرض :

" اليك الفضاء ، اليك الضياء ،

اليك الثرى الحالم ، المزدهراً ! "

٣ اليك الجمال الذي لا يبيد !

اليك الوجود الرحيب ، النضر ! "

" فيهدى - كما شئت - فوق الحقول ،

بحلو الثمار وغنى الزهر "

" وناجني النسيم ، وناجني الفيوم ،

و نا جني الفيوم ، وناجني القمر "

" وناجني الحياة وأشواقها ،

وفتحة هذا الوجود الأغزر "

وتستجيب الأرض لثورة الربيع ، وهي الثورة التي يتمنى الشبابي أن يتعلم منها المجتمع ، انه درس تلقيه الطبيعة على الحياة الانسانية ، وعلى الناس أن يتعلموا معنى الثورة من الأرض والربيع من الطبيعة .

هناك قصيدة أخرى للشابي تعتبر من أهم قصائده هي قصيدة " الجنة الضائعة " وتلك هي جنة طفولته التي كانت مليئة بالبراءة والمذوبة والتي أضاعتها الحيلة وسلبتها منه ، وهو يرسم سمادة الطفولة - في تلك الملاحظات القوية بين الطفولة والطبيعة ، فالطفولة فطرة نقية والطبيعة فطرة نقية ، وهما مثال خالص للجمال ،

انه يذكر هذه الطفولة بقوله :

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير

وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير

وودعة المصفور بين جداول الماء النмир

أيام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور

وتتبع النحل الأنيق وقطف تيجان الزهور

وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والمخور

وناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور

مَسْقُوفَةٌ بِالزَّوَرِدِ ، وَالْأَعْيَاشِ ، وَالزَّوَرِقِ النَّصِيرِ
نَبْنِي فْتَهْدِيهِمُ الرِّيَاحُ ، فَلَا نَضِجُ وَلَا نَشْوَرُ
وَنَعُودُ نَشْحُكَ لِلْمَرْوَجِ ، وَلِلزَّنَابِقِ ، وَالْفَسْدِيرِ

وتضيق منه جنته ويقابل الحياة المليئة الشاقة ، فتسحق أحلامه ،
ويكتشف أن طبيعة الانسان ليست هي الخير المطلق ، بل هي مزيج
من الخير والشر ، وتصدمه هذه الحقيقة ، فقد كان يتصور أن صورة الحياة
والانسان التي أحسها في طفولته ، هي الصورة الواقعية التي سيقابلها
بعد ذلك في مراحل الحياة المختلفة ، ولكن صورة الطفولة كانت على
المكس حلما وخيالا بلا رصيد في دنيا الواقع ، وكانت النتيجة هي
الصدمة النفسية التي أخذ يعاني منها حتى مات ، لقد ضاعت جنته
وهو اليوم يعيش في الجحيم ان يقول :

وَالْيَوْمَ أَحْيَا سِرْعَى الْأَعْصَابِ ، مَشْبُوبَ الشَّمُورِ
مَتَأَجَجَ الْإِحْسَاسُ ، أَحْفَلُ بِالْعَظِيمِ وَبِالْحَقِيرِ
تَمْشِي عَلَى قَلْبِي الْحَيَاةُ ، وَيَزْهَقُ الْكُونُ الْكَبِيرُ
هَذَا مَصِيرِي ، يَا بَنِي الدُّنْيَا ، فَمَا أَشَقَى الْمَصِيرِ !

وللشابي قصيدة أخرى تعتبر من قصائده المهمة أيضا هي " من أغاني
الرعاة " وفي هذه القصيدة يخني للطبيعة بنفس الطريقة ، فهو يصفى عليها
طابعا انسانيا ، فالراعي يعيش مع خرافه في عالم مثالي ، أو
مدينة فاضلة ، انه يعيش في الدنيا الجميلة التي لم يجدها
الشابي في عالم الواقع ، ان الراعي يقول لخرافه :

لَنْ تَلْبِي يَسَا خِرَافِي ،
فِي حِمَى الْغَابِ الظَّلِيلِ
فَزَمَانُ الْغَابِ طِفْلٌ ،
لَاعِبٌ ، عَذْبٌ ، جَمِيلٌ
وَزَمَانُ النَّاسِ شَيْخٌ ،
عَابِسُ الْوَجْهِ ، ثَقِيلُ
يَتَمْشَى فِي مَلَالِ
فَوْقَ هَاتِيكَ السُّهُولِ

هذه هي المقارنة الأساسية الداعية التي يحقدها الشابي بين حياة
واقعية ، وبين حياة الطبيعة ، فعالم الناس أو زمانهم " شيخ عابس
لوجه ثقيل " أما عالم الطبيعة فهو " طفل لاعب ، عذب ، جميل " .
لذلك ، هو يختار الطبيعة ويمطيها كل حبه وإيمانه ، وينصرف عن عالم

الناس ساخطا عليه ، غير راخي ولا مقتنع به . (١)

ولما كان الشابي معني النفس بالآلم والآلم شعبيه معا ، شعبيه الذي يصرخ فيه فتشبع صرخته في الفضاء ، فهو يريد أن يتناسى هذا الواقع الحالك ، فيرتمي في أحضان الطبيعة الرؤوم على صدرها ، يهدد أساه فتحلوه له صبرة أطفالها :

الجدول ، والنهر ، والنجوم ، والباليل ، والغباب ، والفجر ، والضياء ، والصدى ، والطل ، والنسيم ، ان الانسان ابن الطبيعة البكر ، وهو أدنى الى قلبها من هؤلاء جميعا ، لأنه أشد بها علوقا وأكثر لها تمجيذا ، ان يقول :

ليست لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيداً بوحدي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغابات بين الصنوبر الميسار
وأغني مع البلاليل في الغابات ، وأصفي الى خرير السوادى
وأناجي النجوم ، والفجر ، والأحمر ، والنهر ، والضياء الهادى
عيشاً للجمال ، والفن ، أبتغيها بعيداً عن أمّتي وبِـلادي
لا أعني نفسي بأحزان شعبي فهو هي ، يعيش عيش الجبال
وبعيداً عن المدينة والناس ، بعيداً عن لغوتك النكادى
وفي الطبيعة وأخص بالذكر هنا الغباب ، تقتضي هسومه ، وتخفف من
أحزانه ، ونسي الناس وحبائلهم وسخافاتهم في كل شيء ، وتطهر
كأنه ولد من جديد ، تفتح للحياة والضوء والنسيم ، تفتح للخيال
والشمران يقول :

في الغاب في الغاب الحبيب وإنه
حسرم الطبيعة والجمال السامي
طهرت في نار الجمال مشاعري
ولقيت في دنيا الخيال سلامي
ونسيت دنيا الناس ، فهي سخافة
سكّرت من الأوهام والآثام
وقبست من عطف الوجود وحبسه
وجمّاله قُبساً ، أشاء ظلامي
فرأيت ألوان الحياة نشيرة
كنشارة الزهر الجميل النامي

ووجدت سِجَّارَ الكون أسى عنصراً
وأجلّ من حُزّني، ومن الآمي
فأهْبُ - مسحور المشاعر - حالماً

نشوان - بالقلب الكئيب الدامي
" المهدّد الحيّ القدّسُ ها هنا

يا كاهن الأحزان، والالام
فاخلع مَسَوَحَ الحزن تحت ظلاله
والبس رداء الشّمير والأهلا م

فالشاعر كما ترى تكاثرت الهموم حوله حتى انقطع لها وصار لها
كاهناً .

وعبادة الطبيعة ليست مجرد وصف سخّي، تخلفه على الشابي، فإن هذا
اللون من الشعور كان يعرفه الشابي ويتمقه ويؤمن به عن وعي وبصيرة،
فلا غرابة أن يدين به في حماس وحسب عظيمين .

هذا الحماس وهذا الحب نستشفه من رأيه في نظرة الأدب العربي الى
الطبيعة، كما جاء ميثوثاً في كتابه الخيال الشعري عند العرب :

" .. ان النظرة العربية الى الطبيعة بسيطة ازاء النظرة الغربية، مهما

بلغت من العمق والشعور . وشعراء العربية لم يعبروا عن احساسات شعرية
عيقة، لأنهم لم ينظروا الى الطبيعة نظرة الخاشع الى الحيّ الجليل،
وانما كانوا ينظرون اليها نظرتهم الى رداء منق وطرز جميل، وهي لا

تزيد عن الاعجاب البسيط، ومثل هذه النظرة الفارغة لا ينتظر عنها أن تشرق
تشرق بالخيال الجميل، لأن الخيال الشعري منشأه الاحساس الملتهب،
والشعور العميق، وشعراء العربية لم يشعروا بتيار الحياة المتدفق في

قلب الطبيعة الا شعوراً بسيطاً، غالياً من يقظة الحس ونشوة الخيال" (١)

تلك هي خلاصة نظرة الشابي للطبيعة، وذلك هو سر حبه لها وهروبه
اليها، ففيها الكمال الذي يحلم به، والحنان الذي لم يجده في المجتمع
والثورة التي لم يقم بها الشعب، والبراءة التي مرّتها الواقع وأفسد

معناها الجميل، وفيها أخيراً التناسق والحيوية، وهما من أرقى الصور
التي يحلم بها الشاعر للحياة، ويحملها على الدوام في قلبه الرقيق

النبيل" . (٢)

(١) : شبيب وشاعر - الدكتور نسمات أحمد فؤاد - ص ١٢٢ - ١٢٨ .

(٢) : أبو القاسم الشابي - شاعر الحب والثورة - ص ٥٥ .

ونلاحظ أن الطبيعة التي يصورها الشابي ليست متعددة المشاهد ولا متنوعة المناظر، وشعره خال من اللوحات الطبيعية الكاملة، فلا ترى وصفا خاصا بنهر أو روض أو غير ذلك من المصانعي الطبيعية الرائعة. ولكننا حين نقرأ شعره، أن الشاعر يعبد الطبيعة عبادة مطلقة تصل به به الى درجة الفناء في جمالها الأخاذ، وتدرك أن شعوره بها لم يكن شعورا بسيطا، ولكن كان شعورا عميقا لأنه لا يتذوقها في سذاجة المتلذذ المتمتع الذي لا يشغله منها إلا ما تهيه له من راحة وظل وقبر . (١)

=====

=====

=====

=====

=====

(١) : الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي - ص ٧٥ .

=====

خصائص شعر الشابي وموقف النقاد منه :

=====

الشابي شاعر وجداني خالص، وهو على صغر سنه شاعر مكند مجيد ولقد أجمع النقاد على أن الشابي طبع شعره على غرار المذهب الرومانسي، ولقد عدد مصطفى رجب خصائص هذا المذهب في سلسلة من المقالات نشرها في مجلة الأسبوع التونسية، ثم جمعها في كتاب عنوانه "شاعران"، ولقد رأى مصطفى رجب الخصائص الرومانسية تبرز عند الشابي في :

اللفظة، العبارة، الأسلوب، القالب، الدعوة إلى الطبيعة، الاستماع إلى النفس، توسيع دائرة الشعر، ابتكار المواضيع، مسيطرة روح الموضوع، وتأثير المالم الداخلي بالمالم الخارجي، النزعة الانسانية .

أما عمر فروخ فإنه يرى الخصائص فيما يلي :

أولا :

الأسلوب

=====

جبرى الشابي في شعره على أسلوبين : أسلوب فخم يتين النسيج جاء به في طوره الأول في الأكثر، وخمسه قصائده في الحكمة والرشاء والفخر ثم أسلوب لين سلس جاء به في القصائد التي طواها على أغراضه الوجدانية والخيالية، وكان من الطبيعي أن تضم قصائده على الأسلوب الأول : الفاظا فخمة والفاظا غريبة، وألفاظا جزلة، وأن تكون الكلمات فيها متخيرة تدل على إحاطة بالقاموس المرهني إلى حد كبير، وعلى أن هذا كله لم يمنع أن ترد الكلمة المؤكدة عنده إلى جانب الكلمة الجزلة الصحيحة مثال ذلك قوله :

يقولون صوت المستذللين خافت

وسمع طفلة الأرض "أطرش" أصخم (١)

ففي القاموس: الأطرش تعني أهون الصم أو هو مولد وليس هذا ما يريده الشابي، إنه يريد أن يقول "شديد الصم".

(١) : من قصيدته إلى الطاغية - الديوان ص ١١٨.

أما أصح: فلا وجود لها في القاموس، فهي ليست متصلة بما أراد الشاعر لا صيغة ولا معنى، مع العلم أن الشابي قد قصد أن يملأ أساغنا بالألفاظ الفخمة الضخمة، فجاء بها فيها القاف والصاد مرتين، والخاء مرتين، والطاء مرتين والصاد مرة.

وتكلم مصطفى رجب عن الرومانسية عند الشابي فقال:

".. الصد والوصل والركوب والندى ألفاظ كلاسيكية ((يقصد : جاهلية شريفة مألوفة))، وبخلافها : الأمل والأمانى، والغاب، والفراش، بفتح الفاء، والنحل، والأثير، والمعد، والهيكل، والفن، والمبقرى، ألفاظ رومانسية. يقصد مولدة، محدثة."

وفي رأي رجب: أن الشابي تجنب الألفاظ الأولى، وأكثر من تصريف الألفاظ الثانية في شعره. (١)

ويرى الأستاذ التليسي أن قوة أسلوبي الشابي ليست في ألفاظه، وعلى رغم براعته في استخدامها وعلى رغم ثروته من الألفاظ اللونية والصوتية التي يستعملها في براعة الرسام النابغ والموسيقي المبقرى، ولكنها في قوة احساسه وهي التي تخلق ألفاظه ومعانيه المتمردة المتحررة في مواضع السخط والتمرد، وهي التي تتدفق بالألفاظ اللينة الوديمة في مواضع اللين والضراعة، وقد وجهته هذه القوة توجيهها خطابيا، فلم يستطع أن يتخلص من تلك الصفة التي أخذها على الشعر العربي، ولم يقدر على التحرر منها وأمثلة ذلك واضحة في كثير من شعره، الذي يشعرك أنه واقف بين قومه يلقنهم تعاليمه، أو يصب عليهم غضبه ونقمة ان يقول في قصيدته الخالدة "النبي المجهول" (٢):

أيها الشعب، ليتني كنت حطا

بها فأهوى على الجدوع بفأسي

ويقول في قصيدته "ارادة الحياة" (٣):

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بُدَّ أن يستجيب القدر.

وفي قصيدته "الى الشعب" يقول: (٣)

أين يا شعب قلبك الخافق الـ

حساس؟ أين الطموح والأحلام؟

(١): الشابي شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١١٢ - ١١٨.

(٢): الديوان: ص ٢٤٦.

(٣): الديوان: ص ٤٢٦.

وفي قصيدته " نشيد الجبار " وكذا غنى " بروميثيوس " (١) :
سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسيم فوق القمة الشامخة

ثم يستطرد التليسي قائلا :

".. ونحب أن نوكد أن الحكم على أسلوبه وإنما أقنأه على أساس من تجاربه الشعرية الناضجة، التي تحدت فيها شخصيته وممالم أسلوبه وطريقته في الأداء، ودلت على الطريق الذي سبلكه لو قدر لصقيرته أن تتمو وتميش، ولا بد من التذكير أن العصر الشعري لهذا الشاعر لم يتجاوز سنوات قليلة، وذلك هو مظهر القوة والأصالة فيه، فهو رغم عمره القصير، استطاع أن يكون مدرسة وهذه، وأن يدفع كثيرا من الشعراء بطابعه الواضح القوى العميق . (٢)

ثانيا :

التركيب :

=====

يرى فروخ أن تراكيب الشابي كالألفاظه تجرى مجرى مجرى على أساليب العرب، ومجرى آخر كثير التمرر والانفلات من أساليب العرب. يجب أن يكون التركيب صحيحا متينا، ونعني بالتركيب الصحيح أن تجرى الجملة على أساليب العرب في الترتيب ووجود التقديم والتأخير أو جوازها وفي الاضمار وما الى ذلك، مما يعرف في من كتب النحو، وأما التركيب المتين فيكون في خلو الجملة من الحشو " الزيادة التي لا يزيد معنى الجملة بها وقسوها أو تفصيلا "، كما يكون بأن تعمى عن الذي يخل بالمعنى . (٣)

ولقد تعرض الأستاذ التليسي للتركيب عند الشابي أن يقول :

"... أنيقة التعبير ورصانتها وأصالتها، هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها أسلوب الشابي، الذي امتاز ببعده عن النثرية السطحية ((الركافة)) التي أخذت على كثير من شعراء المدرسة الحديثة، وخاصة المدرسة المجرية، فهو أسلوب ينساب في عفوية وبساطة رصينة، بساطة من أدرك موضوع اللفظ، ومدى قوته التصويرية والموسيقية، حتى اذا استولت عليه

(١) : الديوان - ص ٤٤٠ .

(٢) : شاعران متشابهان - خليفه محمد التليسي ص ١٠٢ - ١٠٦ .

(٣) : الشابي شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١٢١ - ١٢٢ .

شهوة النظم ، تدفقت شاعريته في ساحة ويسمر لايشعران القارئ بأي مجهود إلا بمقدار ما يشمرك النهر المتدفق نحو البحار بقوة النبع الذي يصدر عنه وتلك صفة لاينالها إلا من عاش معنى اللفظ ، وأحس بما فيه من رصيد شعوري لايقوم على الرنين اللفظي الذي يأسر الأذان ، ولكنه يقوم على الماطفة المتقعدة التي تنفذ الى أعماق الوجدان .

والوضوح هو الدعامة الأولى للبساطة ، ولذا أجدني مخالفا لمن يتهمون هذا الشاعر بالغموض . وتمدد التماثيل الرمزية ، وإن شعره من الموضوح بحيث لا يحتاج الى شرح أو اعنات القريحة في فك تماثيله . (١) ويوافق فروخ التليسي بأيسه فني بمعنى شمر الشابي ، ويخالفه في البعض الآخر ان يقول :

" .. ان بعض شمر الشابي كذلك ولكن سائره مخالف لهذه الأحكام التي حمل التليسي عليها حبه للشابي ، فالأبيات التالية وهي من قصيدته " نظرة في الحياة " (٢) :

ان السكينة رُوحٌ . . في الليل ليست تُنامُ
والروحُ شعلنةٌ نورٍ . . من فوق كل نظامٍ
لا تنطفي بريح الـار . . هاق أو بالحسام
بل قد يمَجُّ لظاها . . سيلاً ويطغى الضرامُ
كل الهلايا جميعاً . . تفنى ويبقى السلامُ

ويقول في قصيدته " غرفة من يم " (٣) :

ضفّ العزيمه لحداً في سكنته
تقضي الحياة ، بناء اليأس والوجل
ما كلُّ فمٍ يجلُّ الناسُ فاعله
مجداً ، فإن الوري في رأيهم خطلُ

ويقول في قصيدته " يا رفيقي " : (٤)

ونشيخ مضرم من فتاة ،
أبهظتها قوارع الأيـام

(١) : شاعران متشابهان — خليفه محمد التليسي ص ١٠١ .

(٢) : الديوان — ص ٧٥ .

(٣) : الديوان — ص ٨٢ .

(٤) : الديوان — ص ١٩٤ .

ونسواح يفيش من قلب أم

فجمت في وليدها البسم

هذه الأبيات ليست أنيقة التعبير ولا بعيدة عن الركاسة ولا هي تفيض عفو الخاطر، في سهولة ووضوح .

ثم يورد فروخ أبياتا أخرى من قصيدة الشابي " الى عذاري أفروديت " يقول معلقا عليها :

نحن نرى هنا حرف الشرط وفعل الشرط، ولكننا لا نرى جواب الشرط، ثم اننا لانرى في هذه الأبيات أناقة ولا وضوحا، (١) أما الأبيات كما أوردتها فروخ :

وسبيل الحياة رحب تدوأنتـ

من اللواتي تفرشنه بالورود

ان أردتـ أن يكون بهيما

رائع السحر ذا جمال فريد

أو بشوك يمدى الفضيلة والحب

ويقضي على بهاء الوجود

ان أردتـ أن يكون شبيها

مظلّم الأفق ميت الثريد.

ثالثا :

الصناعة اللفظية والمعنوية

=====

إذا كان الكلام على اللفظ والتركيب يتعلق بفقه اللغة والصرف والنحو وغايته صحة التعبير، فإن الكلام على الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية يتعلق بالبلاغة وغايته تحسين الأسلوب .

وللنقاد آراء وأقوال حول هذا الموضوع في شعر الشابي، فزين العابدين السنوسي : يرى أن الشابي يستغرق قواميس الأدب العربي باستعاراتها وكنايتها ومجازاتها المتمارفة المحفوظة لدى القوم، ثم يأتي بثبات من المعاني الجديدة السامية يفرغها على بعض الألفاظ الخاملة، فإذا هي أصرح في الدلالة من حقائق القواميس اللغوية، وأروع من المتمارفات من كنايات وتجزّات ((الاتيان بالمجازات)) المتقدمين لما فيها من قوة التعبير ومن الإشارة الى التأثيرات النفسية. (٢)

(١) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ - ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) : الشابي شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١٢٣ - عن الأدب التونسي ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

أما مصطفى رجب فيرى أن الشابي قد هجر تشابيه القدماء واستعاراتهم وكساياتهم من مثل " فدتك روحي - ثقیل ردف - طبع غد - جميل صبر - عروس خدر " ليتبدل بها " الكروم العارشة - الصدى الزيتي - لم ترس صابتي تاهت بمينها " ثم يسمو الشابي عند مصطفى رجب الى مثل هذه العبارات : " الظل الكئيب - ضباب الأسى - رحلة العمل القصير - عالم الآثار - أقدام الربيع - رهشة الاله " (١) .

رابعا :

الخصائص اللفظية والرمز

=====

يقول زهن المابدين السنوسي :

" ان الشابي قد تشبع بالمدرسة الرمزية التي أقام عمادها في العربية جبران خليل جبران " .

أما الصادق ما زرع فيرى أن أصحاب المذهب الرمزي قد جعلوا المكانة الأولى لفعل رنة الألفاظ وامتزاجها امتزاجا موسيقيا غامضا ، هو منبع ما في الشعر من جمال وتأثير عميق وصور جذابة حتى لتجد الصورة الرئيسة تندمج مع اللحن المسموع وتنغم اليه انغمام النظير للنظير ، وما ذكره زريع ينطبق كما يقول السنوسي على انسجام الفاظ الشابي مع معانيه . والقومون يسود رمزية الشابي ويطفئ على مدلولات ألفاظه وعلى تصريح الكلم بصرف بها معانيه ، وعلى النحو الذي يعرب به ألفاظه للدلالة على البهم من شعوره .

أما أحمد المختار الوكويهي وافق رأي السنوسي حينما يقبل أن يكون الشابي شاعرا يميل الى الموهو ، الرمز ، ثم يعلق أن الرمز لا يفهم بمراجعة المماجم .

ولا ريب في أن الرمز ، وهو في الأصل مبني على الاستعارة ، يحسن في البيت بمد البيت وفي القصيدة بمد القصيدة فإذا تراكم وكثر فيه القومون أصبح عبثا في الأدب ، فإذا أضفنا الى ذلك كله أن الشابي كان يأتي بأشياء لا يعرفها لم تستغرب أن يفتري عليه في الأمر بمد الأمر .

على أننا نجد للشابي أحيانا رمزا موفقا في مثل قوله :

ذل قلبي ،

مات حبي !

فاندرفي ، بما مقلّة الليل ، الدّرارى عَمَّراتُ
 حَولَ حُتّى ، فهو قد ودّع آفاقَ الحياة
 بَعْدَ أن ذاقَ اللّهُيبَ

وَأَنْدَبِيهِ

وَأَغْشِيهِ

بِدُشُوعِ الْفَجْرِ مِنْ أَكْوَافِ زَهْرِ الزُّنْبُقِ (١) .

خاسسا :

المَاطِفَةُ والعَقْلُ

=====

لقد أسهب النقاد والأدباء في هذا الموضوع عند الشابي ، فلقد أورد خليفة محمد التليسي في كتابه الشابي وجبران جانباً من قصيدته "تونس الجميلة" ثم علق عليها بقوله :

" تقوم الرومانسية على الايمان بالمَاطِفَةِ ، وتقديس الشعور ، والاستغفاف بالعقل والتهوين من شأنه بل تحقيره ، لأنه يصيب الحياة بالجفاف ، فيفقدوها أجمل ما فيها ، وأجمل ما فيها بلا خلاف ، ما كان نتاجاً للمَاطِفَةِ وقد كانت المَاطِفَةُ كل شيء في حياة هذا الشاعر الزولييناسي ، وكانت يقطعة الاحاسيس رسالته التي عاش من أجلها ، فلا يجد للنفس من غير هذه القطعة ، ولا خلود لها إلا اذا اتحدت من الشعور بالذات قوة دافعة الى السمو والتعالي وما تميزت الأفراد عن بعضها إلا بمقدار نصيبها من هذا الشعور " (٢)

من هنا نلاحظ أن التليسي رجع المَاطِفَةِ على العقل ، بل نقول أكثر من ذلك ان التليسي الفنى دور العقل تماماً أمام المَاطِفَةِ ، ولمل التليسي في قوله هذا نظر بل تأثير بقول الحليوي :

" أما الشابي فشاعر أدواته المَاطِفَةُ والخيال ، وهو نفسه ينكر العقل ويصفّر أمره ، ويراه عاجزاً عن الوصول الى الحقيقة ، وأنه لا يزال صغيراً رغم مشيئه ووقاره ، يقول الشابي :

عشر ، بالشُمُورِ وللشُمُورِ فانما

دُنْيَاكَ كَوْنِ عَوَاطِفٍ وشُمُورِ

(١) : الشابي شاعر الحب والحياة - عمر فروخ - ص ١٢٤ .

(٢) : الشابي وجبران - خليفة محمد التليسي - ص ٤٢ .

شهدت على العطف المميّز، وانها

لتجفّ لو شهدت على التفكير (١)

أما مصطفى رجب فإن رأيه متصل برأى الحليوي أيضا، ولكنّ الحليوي أدخل شيئا من الموضوع حينما أقام القلب مقام حاسة قوية، وجعله مركزا للشعور أو رمزا عن مجمع الشعور على الأصح.

أما زين العابدين السنوسي فيرى أن الشابي ضرب على أوتار العقل الإدراكية بمواطفه القويّة الجياشة في انسجام رائع خلّاب، ويتأول السنوسي رأى الشابي في قصيدته : "عذ، المصفور" فيقول :

".. ان أبا القاسم لم يعتقد أن العقل رائد الانسان وقائده، بل كان يؤمن أن التفكير شعبة من شعب الشعور الانساني، وأنّ العقل غدّة رئيسية في الانسان قد استخدمتها مشاعره وطموحه ليبلغ منها بعض ما يتطلبه من الهناء واللذة والحق والجمال والتماطف".

ويذهب الدكتور محمد فريد غازي مذهبها بعيدا عندما يردّ كلام الشابي في قلبة الخيالي الى عقابيل مرض قلبه الطبيعي.

أما عمر فروخ فيشك أن تكون القصائد التي ذكرها ملاح صادقة لمرضه، لأن الشابي نفسه يشك في أن قصيدة الأبد الصغير، وقصيدة نشيد الجبار، أو هكذا غنى بروميثيوس مستوحيتان من مرضه . (٢)

نلاحظ من هذا العرض لآراء الكتاب والنقاد أن منهم من اهتم بالعاطفة والفن دور العقل تماما، ومنهم من رآه حديث الشابي عن قلبه الذي ما أصابه من مرض.

سادسا :

الخيال

=====

يرى عمر فروخ أن الشابي خيالي التعبير يبحث عن مثل أعلى من صنع هذا الخيال فلا يجدّه في العالم الذي يمشي فيه، فينقلب شاكيا باكيا ثم تصطبغ آراؤه وتعايره بالأسى والحزن والكآبة والوجوم . (٣)

أما زين العابدين السنوسي في الأدب التونسي فيرى أن الشابي قد

(١) : مع الشابي - ص ٨٥ .

(٢) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١٣٣ .

(٣) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١٣٤ .

امتلك ناصية الخيال، ولكنه على رغم سكوته عن الخيال في شعر الشابي في كتابته "أبو القاسم الشابي"، إلا أنه يخبرنا أن التصور (١) عند الشابي قد كان صادقا حقيقيا لمن عاشرهم، وسكنوا فيسطة وانططعوا في روحه. وهي أشباح لأناس حقيقيين لا خياليين، فما كان أبوه رمزا خياليا، ولا كانت عشيرة صباه بجنة شاعر أو حلم كاذب.

أما التليسي فيرى أن حزن الشابي الذي ظهر في قصائده الأولى واجد تعليله في مرحلة المراهقة التي تعيش في عالم الأحلام وتتجه إلى العكوف على الذات والاستجابة إلى الخيال، والآمال العريضة التي لا سبيل إلى تحقيقها في دنيا الواقع، والرومانسية أقرب إلى أرواح المراهقين بما يحيط بها من غمور محب، وكتابة لذيذة وخيال وفاد، وقد استجاب الشابي لمشاء هذه المرحلة من حياته، فرأى الحياة معركة طاحنة لا مقام فيها للضعيف ثم يعود التليسي مرة ثانية ليقول في نفس المصدر:

" . . ولا يمسر على المرء أن يستخرج من هذا الشعر الرائع صورا فنية فائتة عمل الخيال في تلوينها، وأبدعتها عبقرية تستقبل الحياة بأكثر من حساسة. (٢)

أما فروخ (٣) فيعود ليرى أن كثيرا من صور الشكوى والكتابة في شعر الشابي يرجع إلى التعبير الفني الذي أغرم الشابي به، وإن جانبها مهما من تلك الكتابة كان بلا ريب شعورا صحيحا في الشابي، ولكن هناك جانبها هو تعبير محض لا صلة له بالشعور الصحيح، والآ فكيف نعلل حكمه على مستقبله بالتشاؤم أيضا مع الافتراض بأن الدنيا يمكن أن تنحك لم، ودليلنا على ذلك ما ختم به الشابي قصيدته "نشيد الأسى" (٤) إذ يقول:

مهما تشاحكت الحياة فأنني أبدا كئيب
أضفي لأوجاع الكتابة، والكتابة لتجيب
في مهجتي تتأوه البلوى ويمتلح النحيب
ويخرج جبار الأسى، وتجيشر لواج الكروب
انني أنا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب
ويميشر مضطلعا بأحزان الشبيبة والمشيب.
ومع هذا يعترف فروخ أن للشابي خيالا مولداً موهلاً في الترابية يصطنع

(١) : أبو القاسم الشابي - زين العابدين السنوسي - ص ٢٦.

(٢) : الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي - ص ١٠٣.

(٣) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ - ص ١٣٦.

(٤) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ - ص ١٣٤.

من الأمور العادية قصصا ومشاهد، والحكم على الأخيلة يكون بما لها من الصور، وبالقران الذي يمين تلك الصور، ويستشهد لذلك بقصيدة للشابي بعنوان "قلب الأم" (١) فيقول:

ها أنتِ ذا أطبقتِ جفنيكِ أحلامَ النُّونِ
وتطامرتِ زمرُ الملائكِ حَوْلَ مَضْجَعِكِ الأَمِينِ
نَسِيَّتْكَ أمَّوَجُ البَحْرِ، والنجومُ اللَّامِعَةُ
والبُلبُلُ الشَّادِي، وهاتيكِ المِروُجُ الشَّامِسَةُ
حتى الرِّفاقُ، فانهم لبثوا مدى يتساءلون
في حَيْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ: "أين اختفى هذا الأمين؟"
لكنهم عَلِمُوا بِأَنَّكَ فِي اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ
حملتِ غيلانَ الظُّلُمِ إلى الجبالِ النَّائِيَةِ .
سابعاً:

الجِدُّ والهزل:

=====

لقد تعرض الأستاذ فروخ لهذه الناحية من شعر الشابي ورأى أن الجِدَّ يغلب على ديوان الشابي الذي بين أيدينا، ولا ريب أن اتجاه الرجل كان جديداً حزيناً، ولكن يبدو أن الشابي كان أيام تلمذته، قبل أن يعلم مرضه، أو قبل أن يدرك خطورة مرضه، يميل إلى الهزل والمعايشة ككل ~~شاعر~~ آخر، أو ككل إنسان في صباه . (٢)

أما بعد أن اطلع الشابي على حقيقة دائه، فقد أراد أن يفارقه حزنه وكآبته، فسلك في ذلك مسلك العقل بالايحاء الذاتي كقوله:

يا قلبي الباكِي، الأم البُكا ؟
ما في فضاء الكونِ شيءٌ يَدُومُ
فانثُرْ غُبَارَ الحُزنِ فَوْقَ الدُّجَى
واسمَعِ إلى صَوْتِ الشَّبَابِ الرَّخِيمِ

هذا ونلاحظ في الديوان عددا من القصائد تسير في هذا الاتجاه مثل " صلوات في هيكل الحب " و " أراك " و " السعادة " و " الأبد الصغير " و " الرواية الغريبة " و " الحانِي السُكْرِ " .

أما المسلك الآخر فهو مسلك فيه شيء من الهزل والمجون، ولمل خيمر ما يشل هذا الاتجاه قصائد، وتحت الغصون، والاعتراف .

(١): الديوان - ص ٣٢٥ - ٣٣٢ .

(٢): الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ .

ويقول الشابي في قصيدته الساحرة : (١)

أيها الطائر الكئيب تغرد

إن شدو الطيور حلو رخم

"وأمشرفي روضة الشباب طروباً

فحواليك وزده وكرومـــه"

"واتل للحب والحياة أغانيك

وخل الشقاء تدمني كرومـــه"

"واحتضني ، فأنني لك ، حستى

يتوارى هذا الدجى ونجومه"

"ودع الحب ينشد الشعر لليل"

فكم يسكر الظلام رنيمه..."

"واقطف الورد من خدودي وجدي

ونهودي... وافعل به ما ترومه"

"وارتشف من فمي الأناشيد سكري،

فالهوى ساحر الدلال ، وسيه"

"فوماها بنظرة ، غشيتـــا

سكرة الحب ، والأسى ، وغيومـــه"

وتلاها بهسمة ، رشفتـــا

منه سكرانة الشباب . رؤومـــه"

والتقت عندها الشفاء... ، وغشيت

قبل ، أجفلت لديها هومـــه"

ان في المرأة الجميلة سحرأ

عقرياً ، يزكي الأسى ، ويهيمـــه"

ثامناً :

النفس الشعرى :

=====

النفس الشعرى تسمية عربية أصيلة ، أبدلها دعاة الرومانسية بلفظة الایحاء

ونعترض هنا آراء مجموعة من الأدباء في هذا المجال ،

فالتطيسي يقول :

" الشابي يستعين في الوصف بقدرة خارقة على الایحاء والتأثير على

القارئ، بحيث يضع أمام بصره، في تعبير بسيط، صورة لا نهاية لروعيتها. (١)
أما الشاذلي بو يحيى فيرى عند الحديث عن النفس الشعرى عند
الشابي :

"ان من عناصر شاعرية الشابي انسجام اللفظ في جوّ خصيب من حيث
المعاني، يولدها بجّرد وجوده لذيذ من حيث النبرات، يؤلف بينها نفمة
ونشيدا. (٢)

أما الدكتور نسمات أحمد فؤاد فتري :

" أن الشابي طويل النفس وتستدل على ذلك بمجموعة من قصائده أشارت
إليها في كتابها ((شمع وشاعر)) (٣)، وهذه القصائد هي :

"أيها الليل" (٤)، "يا شعر" (٥)، "في فجاج الآلام" (٦)، "جدول الحبابين
الأمس واليوم" (٧)، "نشيد الأسى" (٨)، "النبي المجهول" (٩)، "طلوات في
هيكل الحب" (١٠)، "قلب الأم" (١١)، "حديث المقبرة" (١٢)، "الجنّة
الضائعة" (١٣)، "ارادة الحياة" (١٤)، "تحت الفصون" (١٥)، "الغاب" (١٦)
أما فروخ فيختم هذه الآراء (١٧) بقوله :

" للشابي مقدرة جبارة غريبة على تنسيق الكلام وتأليفه حتى يصير موسيقى
لانهائية تنبوع عن القواعد كما هي نشأت عن غير مفروض السلاغة، هب
أنك لم تهتد الى مفزى قصيدة أو مدلول لفظ أو عبارة، فلا تقدم ما
يسميه الجاحظ الشجي ."

(١) : الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي ص - ١٠٥.

(٢) : الفكر - عدد ديسمبر - سنة ١٩٥٤ م، ص ١٨.

(٣) : شمع وشاعر - نسمات أحمد فؤاد - ص ١٠٩.

(٤) : الديوان - ص ١٤٢.

(٥) : الديوان - ص ١٠٢.

(٦) : الديوان - ص ١٧٢.

(٧) : الديوان - ص ١٥٢.

(٨) : الديوان - ص ٢٠٨.

(٩) : الديوان - ص ٢٤٦.

(١٠) : الديوان - ص ٣٠٣.

(١١) : الديوان - ص ٣٢٥.

(١٢) : الديوان - ص ٣٣٤.

(١٧) : الشابي - شاعر الحب والحياة - عمر فروخ ص ١٤٤.

ولعل هذا الرأي ينقله عمر فروخ عن الشاذلي بو يحيى إذ ورد في مجلة الفكر (١) وهكذا أشار إليه فروخ نفسه، أما رأيه هو أي فروخ فيقول:

" أن الذي يميز شاعرا عن شاعر هو النفس الشعرى، فالألفاظ قد تكون عند شاعرين فصحة، ويكون التركيب متينا والتشابه والاستعارات بارعة والمعاني مبتكرة والأغراض واحدة، ومع ذلك يكون أحد الشاعرين أشعر من صاحبه، وهذا شأن الشابي: أن الشابي أبهر من جميع أقرانه الذين يذكرون منه في الفنون التي جرى فيها. ثم يستمر واصفا لشعر الشابي بقوله أن شعر الشابي عذب رقيق فيه سهولته وسلاسة، وأيا كان الغرض الذي يتناوله الشابي فانك تشعر فيه بشاعرية قياضة قديرة على تقليب الموضوعات ويرى أيضا أن الشابي يجري أحيانا مجرى القدماء فلا يجانب أنفسهم إلا قليلا، ويستشهد لذلك ببيتين من الشعر وردا في الديوان في قصيدته " زعيم المصافاة " (٢) وهما:

" سيثأر للمرّ المحطّم تاجه

رجال اذا جاش الردى فهم هم "

" رجال يرون الذلّ عارا وسبّة

ولا يرهبون الموت، والموت مقبّدم "

=====

=====

=====

=====

=====

(١) : عدد مايو - سنة ١٩٦٠ م.

(٢) : الديوان - ص - ٤٦٤.

=====

تغلب على الديوان القافية الواحدة ان نظم منها تسع وخمسون قصيدة وعدد القوافي في خمس عشرة قصيدة ، منها قصيدتان عبارة عن مقطوعات ذات رؤى مستقل هما : نظرة في الحياة " و " شمرى " . ومنها قصيدة هي رباعيات مزدوجة ذات رؤيين متتابعين ، ومن تواشيعه ، " مأتم الحب " و " شكوى اليتيم " و " أغاني التائه " .

ونظم الشابي من الرباعيات " الشائبة " سبع قصائد ، ومن رباعياته المزدوجة غيرها قصيدته " في ظل وادي الموت " (١) وأهمية الاحصاء هنا تنحصر في دلالة الخاصة بالشاعر ومنحاه نحو التحرر من قيود القافية العربية أو التمسك بها ، ثم دلالة العامة على نزعة الشعر العربي في أمر هذه القافية ، إما فيما عدا هذا فلتؤد الطاقة الشعرية ، الطاقة الفكرية ، الطاقة المعنوية في أي صورة من الصور ، شعر مقفى أو مرسل ما دام يذكي قدرتنا على التقدم ، ويزيد ثروتنا من الابداع الأصيل .

وبالشابي ميل الى التسكين ، وتسكين القافية عنده غير مقصور على موشحانه ورباعياته ، بل يتناول قصائده أيضا . ويرى التليسي :

أن الشابي كان موفقا كل التوفيق في اختيار الأوزان التي تلائم عواطفه وتسبغ على تمايزه جوا من الموسيقى العميقة فهو نظم هامس حزين في " الصباح الجديد " ، ورائر صارخ متمرد في " النبي المجهول " و " ارادة الحياة " و " أنشودة الجبار " ، وهو نظم وديع هامس في " صلوات في هيكل الحب " (٢) والشابي شاعر ولوع بالنغم كما ترى نعمات أحمد فؤاد - يوفر لقصيد ومن وسائل التثفيم عنده :

(التكرار :- ونعني به تكرار مطالع القصائد في الوسط ، أو الختام كالسليم الموسيقي في عالم الألحان ، ومن قصائد هذا اللون :- " تونس الجميلة " (٣) و " الكتابة المجهولة " (٤) و " جدول الحب " (٥) على أن ظاهرة التكرار هذه

(١) : راجع - شعب وشاعر - الدكتور - نعمات أحمد فؤاد - ص ١١١ - ١١٢ - تجد احصاء بانواع القصائد المختلفة .

(٢) : الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي - ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) : الديوان - ص ٥٨ .

(٤) : الديوان - ص ٩٠ - ٩٤ .

(٥) : الديوان - ص ١٥٢ - ١٥٧ .

قد تكون محاولة من الشابي لتهدئة نفسه المختلجة، ان أغلب ما يكون التكرار في قصائده الحزينة.

ومن وسائل التنفيم عنده: التكرار في قصائده الحزينة. ومن وسائل التنفيم عنده: التقسيم كقوله :-

فأنت وقد غمرتها الدموع

وقررت، وقد فاض منها الحباب (١)

وقوله :-

ولعلمة الحق الفضوب لها صدى

ودمدمة الحرب الضروس لها فم (٢)

وقوله :-

فالدهر منتعل بالنار، ملتحق

بالهول، والويل، والأيام تشتعل

والأرض دامية، بالاثم طامية

ومارك الشرف في أرجائها ثمل

والموت كالمارد الجبار، منتصب

في الأرض، يخطف من قيد خانة الأجل (٣)

ومن آلائه الموسيقية: الاتباع: ويستشهد له بقوله:

ألبسوا روحه قميص اضطهد

فباتك شائك يرد جماحه (٤)

ومن طرائفه في التعبير قوله:

أبدا يحمل الوجود بما فيه

كأن ليس للوجود زعيمه (٥)

وترى الدكورة - نيمات أحمد فؤاد في زعيمه كناية لطيفة عن الله

عز وجل .

ومن طرائفه في الصفات: الجيد الشرين، والطرف الساھي، والخطو الموقع.

ومن تشبيهاته الذاتية قوله:

سمعتها صرخة مضمضة . . كجدول في مضائق السيل (٦)

(١) : الديوان - من قصيدة السامة - ص ١٢٢ .

(٢) : الديوان - من قصيدة الى الطاغية - ص ١١٨ .

(٣) : الديوان - من قصيدة غرفة من هم - ص ٨٢ - ٨٥ .

(٤) : الديوان - من قصيدة تونس الجميلة - ص ٥٨ - ٦٠ .

(٥) : الديوان - من قصيدة تحت الغصون - ص ٤١ - ٤٢٥ .

(٦) : الديوان - من قصيدة الكتابة المجهولة ص ٩٠ - ٩٤ .

وترى الدكتور نجمات أحمد فؤاد أنها صورة جميلة فيها "الصوت واللون والحركة
والانفعال" (١).

الخطأ :-

=====

على الرغم أن الإجماع يكاد ينعقد على جمال أسلوب الشابي، إلا أن هذا
الأسلوب المشرق، لا يخلو من هتئة هنا أو هناك، ولقد احصت الدكتورة،
نجمات أحمد فؤاد أخطاء وهتئاته بما يلي :

١ - أجاز الشابي لنفسه أن يقول :

ان للحب على الناس يدا تقصف الأعمارا (٢)

وتعلق الدكتورة على ذلك قائلة : لماذا ؟ ان الحب يطيل الحياة بالمرضى
ان ينصرها ويخصبها .

وزلة أخرى في القصيدة نفسها ان يقول :

وليه فجر على طول المدى ساطع الأنوار
وهنة ثالثة نجدها في قصيدته قلب الأم ان يقول :

كل نسوك ، ولم يمودوا يذكرونك في الحياة

إلا فؤادا ، ظل يخفق في الوجود الى لقاءك

ويود لو بذل الحياة الى النسيئة ، وافتتدك

فاذا رأى طفلا بكاك ، وان رأى شبحا دعماك

فمع الحزن نجد الشاعر يعبر عن فقدان الوعي بالدهول ، بالشروع

لا بالسكر الذي له احياء السرور والخلود .

وقلب الأم هنا ألهم الشاعر قصيدة طويلة متدافعة كالسيل ، متدفقة التعبير

كالطوفان ، وقد طال نفسه فيها حتى أرضى ، غير أنه انتهى منها فجأة

كما يقطع حديثا انسجم فيه واندمجت فيه الأذن ، فقلب الشكلى لا ينسسى

مهما ثوالت المظاهر بمظاهر الأغراء التي عردها الشاعر في آخر

القصيدة وأغراضه ، حتى كدنا ننسى الموصوف الأصل في الموضوع ، وهو قلب

الأم الذي كان السياق يقتضي الشاعر أن يؤكد وفاءه في الختام كما نوه

به أثناء القصيدة . (٣)

٢ - الأخطاء اللفظية :

لقد وقع الشاعر في أخطاء لفظية كثيرة ، وردت في أشعاره ، ولقد ذكرت

(١) : شعب وشاعر - الدكتورة نجمات أحمد فؤاد - ص ١١٢ - ١١٥

(٢) : الديوان - من قصيدته في الظلام - ص ٦٧ .

(٣) : شعب وشاعر - الدكتورة نجمات أحمد فؤاد - ص ١٠٥ - ١٠٦ .

الدكتورة - نعمات أحمد فؤاد من هذه الأخطاء لفظة (عراض) (١) ، وأما الأستاذ عمر فروخ فقد أشار الى أخطاء الشابي في الصرف والنحو والتركيب والقافية بقوله :
أريد أن آتي بها اختصارا للمكان ، ثم أشار الى أخطاءها . (٢) ومن
هذه الأخطاء التي أشار اليها الأستاذ فروخ ما يلي :

حمانا " بخطف الألف في (نا) ١٣ " (٣) .
يا هيكل الحب الرهيب (بالكسر) مكان الرهيبا ٢٥ .
ان في غيبة الليالي لخطيب (مكان الخطيبا) ٢٦ .
ما أنت ربه فتضيمه (بضم الميم) ١٤٤ .
بأن يسلموه ، أن تذوى ، لأقضي ٣٥ - ٥٠ - ١٠٣ .
اهمال النصب في الفعل الناقص عند الشابي كثير .
غده ، ينشده ، قصائده ، موارد ، (في القافية) ١٠٦ .
كل نسوك ١٣١ ، الكل ١٣٧ .

لم يعودوا يذكرونك ١٣١ ، لم يمد لي بقا ١٦١ .
وكيف يكون ١٤٠ .

لم يلد (مكان لم يولد) ١٨٠ .
هذه هي الأخطاء التي أشار اليها الأستاذ عمر فروخ ، وقد أثبت بجانبها
رقم الصفحة التي وردت فيها في الديوان .

٣ - الألفاظ الغريبة

لقد ذكرت الدكتوراه نعمات أحمد فؤاد مجموعة من الألفاظ الغريبة ، ولكنها لم
تشر الى القصائد التي وقعت فيها هذه الألفاظ واكتفت بالإشارة الى الصفحات
التي وردت فيها وهي كالآتي :

الأ سكوب ، الخميس المجر صمات الغروب ، معسبات الحياة ، يشجي صماته .
٤ - ايراد صيغة فاعيل وفمول بكثرة في شعره ، فهو يقدم الى رواده هذه
الألفاظ وكأنها بعض صحبه على حد قول الدكتوراه نعمات ، ومن الألفاظ
التي وردت على هذه الصيغ هي :

العهد ، السفوح ، الذريف ، خرير ، شطيف ، جفيف ، عبيد ، وهيد ، عسوف ، الفروج .

(١) : شعب وشاعر - الدكتوراه نعمات أحمد فؤاد - ص ١٠٧ .

(٢) : الشابي - شاعر الحب والحياة - الأستاذ عمر فروخ - ص ١٢٠ .

(٣) : الديوان الذي اعتمد عليه الأستاذ عمر فروخ - هي النسخة الموجودة في مكتبة الجامعة

الأمريكية في بيروت وهي تختلف عن النسخة التي اعتمدت عليها إذ اعتمدت على الديوان

طبعة - دار العودة - بيروت - سنة ١٩٧٢ م وهو من القطع الصغير قياس ١٢×١٢ .

(٤) : شعب وشاعر - الدكتوراه نعمات أحمد فؤاد - ص ١٠٧ .

هـ :- ومن المأخذ عليه : تجنب الألفاظ الإسلامية :

يرى الأستاذ عمر فروخ أن الشامي كأمثاله من الناقمين على عمود الشعر العربي ، وعلى الحياة العربية الأصيلة ، أراد أن يتجنب الألفاظ الإسلامية العربية الملامح ، ليتبدل بها ألفاظا وثنية الأصل عامية الاستعمال ، وخصوصا في طوره المتأخر .

أما الألفاظ التي جانب فيها الاستعمال المألوف عمدا أو جهلا فكثيرة ذكر منها الأستاذ فروخ ثلاث صفحات وقال :

أكتفي منها بهذا (١) .

هذه هي أهم المآخذ التي أخذها النقاد على الشامي - ومع ذلك سيبقى الشامي علما شامخا من إعلام الأدب العربي في العصر الحديث .

=====

=====

=====

==

=

(١) : الشامي - شاغل الحب والحياة - الأستاذ عمر فروخ ص ١١٨ ،

=====

لقد أحدث الشابي الشاعر التونسي الفحل نجة واسعة في الأدب العربي كما اختلفت آراء النقاد والأدباء والمؤرخين له حوله، فمنهم من تعصب له كالاستاذ الحليوي والدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها شعب وشاعر، ومن الكتاب والأدباء تعصب ضدّه وكان شديد التهامل عليه، كالاستاذ عمر فروخ في كتابه "شاعران معاصران الشابي وطوقان" ومنهم من حاول الانصاف أو كاد.

والحقيقة أن الشابي الشاعر التونسي المعقري ترك لنا تراثا شمريا، يعد أكبر بكثير من الفترة الزمنية التي عاشها وخصوصا اذا عرفنا أنه قضى أواخرها بالمرض الذي لم يكن ليرجو منه شفاء، ومع هذا فان الدارس لشعره دراسة عميقة واعية، يلمح فيه نقاطا واضحة تكاد تكون محددة، وهذه النقاط هي :

أولا :

كان الشابي رجلا مؤمنا بالله تعالى، متدينا على الرغم من أنه لم يورد في شعره ما يدل على ذلك صراحة، سوى بعض أبيات يقرع فيها دعاة الدين الساكتين على الضمير بل الذل الذي تعيش به تونس، بل ان من ألفاظه ما جعل بعض الأدباء يحكمون عليه بالالحاد والتحلل من الدين، كالاستاذ عمر فروخ في كتابه السابق الذكر "شاعران معاصران - الشابي وطوقان" وما يدعم رأينا هذا أن الشابي حفظ القرآن في السنوات الأولى من عمره بل في السنة التاسعة على وجه التحديد، وترسّخ في بيت شديد التدين بل ان والده الشيخ محمد بلقاسم، كان كما أجمعت الآراء - رجلا صالحا متدينا قضى وقته في العمل على احقاق الحق بين الناس، اذ عمل قاضيا تنقيلي بين أرجاء تونس، هذا علاوة على الثقافة التي تلقاها الشابي في الجامعة الزيتونية فقد كانت ثقافة دينية خالصة على الأرجح، وفوق هذا كله فان هذا الصراخ وتلك المعز التي يدعو اليها، وما تلك الدعوة الجادة للشورى وطرد المستعمر إلا تفسير للمعزة التي دعا اليها الاسلام بنس القرآن الكريم حيث قال الله تعالى ((والله المعزة ورسوله وللمؤمنين)) صدق الله العظيم.

هذا ولا بد من التسوية من أن الاستعمار حارب الاسلام حربا لا هوادة فيها، لأنه دين المعزة والكرامة، والاستعمار كما هو معروف لا يريد شعوبا عزيزة بل خائفة ذليلة يتحكم بها كيفما شاء.

وفي المغرب العربي كله كانت الثورات على الاستعمار ثورات اسلامية، تنظر

للمستعمرين على انهم كفار احتلوا ديارا اسلامية لا بد من اخراجهم منها بالقوة اذا اقتضى الأمر، ولهذا وجدناهم يقاتلون الأعداء بضراوة زائدة، وقوة وأصالة، وكان آخر تلك الثورات ثورة الجزائر المظفرة التي ضربت أروع الأمثلة في البطولة والنضال، وما القصائد الكثيرة التي نجدها عند الشابي والتي تدعو للحرية والكرامة إلا تفسير آخر لتدنيته وتمسكه بعزته.

ثانياً :

والنقطة الثانية التي ظهرت واضحة جلية في شعره، هي الحب، ولكن على الرغم من افراط النقاد في نسبة الحب اليه، وتضارب آرائهم حوله، فاني أرى أن الشاعر كان محباً متيناً، ولكن ليس هذا الحب لبشر ولا لشخص بعينه، وإنما كان حبه لبلده تونس التي عشقها ونذر نفسه لها، وغناها بكل شعره جبالها، هضابها، غاباتها، بل خصها بقصيدة أسماها باسمها، وما هذه الألفاظ التي يترنم بها لويحسبها القارئ لشعره حباً لبشر متين إلا حب لتونس وتونس وحدها، ولم يتسع قلبه لحب سواها.

أما ما ذكره النقاد والمؤرخون من حبه لفتاة صباه وأخرى لمصورة انجائيزية، لم يزد ذلك عن كونه اعجاباً بالجمال والجمال فقط، وإذا قال فيه شعراً فأنما يعبر عن اعجاب في وقت معين ثم ينتهي الاعجاب بانتهاء مشيئاته، ذلك أن المحب لا يتنقل في حبه الى أكثر من حبيبة كما علمنا المحبون في أشعارهم كجميل بشينه وغيره.

وأما رائحته * صلوات في هيكل الحب فما أظنه إلا يتصور السعداء لتونس بعد استقلالها وحريتها وما في ذلك من هناء ورغد عيش، وأن كانت الألفاظ واضحة صريحة.

أما حبه لتونس فإنه ملك عليه كل جوارحه، إذ كان ينبئ بهذا الحب مع كل خلجة في نفسه، بل في كل نبضات قلبه، وما تلك الصرخات الحارة التي نشتم منها رائحة القوة والاندفاع، وما هذه النعمة والثورة والتمرد التي نشتمها في قصائده : الى الطاغية، ارادة الحياة وغيرها إلا دليل واضح لا لبس فيه على هذا الحب.

أما ما قيل عن حبه لوالده فلم يزد عن كونه عاطفة جياشة، فياضة، متدفقة نحو الوالد، لأن حب الوالد يرتبط بالحنان والترابط الأسرى، ولا يقتصر هذا على الشابي فقط بل يوجد عند غيره من الشعراء خاصة والناس عامة، وإذا وجدناها عند الشابي أكثر من غيره، ذلك لأن الظروف التي عاشها الشابي تختلف عن ظروف غيره ولهذا كان تضمره أكثر من غيره بوفاة والده، خصوصاً وأن هذا الوالد كان يكفيه كل الأمور الحياتية، بل كان يتحمل عنه المسؤولية كاملة، فلما مات هذا الوالد أسقط في يد الشابي وارتبكت أموره، فجاشت عاطفته بالشعر رثاء لهذا الوالد وان لم يتماطاه من قبل.

ثالثاً :

والنقطة الثالثة التي بدت واضحة في شعره، هي تلك الرمزية التي تدعّم حبه لوطنه

واخلاصه لهذا الوطن، وتتجلى الرمزية في قصيدته الرائعة " أغاني الرعاة " وهذا الرمزيه سواء جاءت من المهجر أم من غيره، إلا أنه أجادها، بل بلغت في شعره الذروة، وما أظن الحديث الذي يسوقه الى خرافه إلا حديث رمزي الى الشعب النائم الذي يستحث على النهوض والتمرد والثورة لطرد المستعمر، حتى في محاكاته الطبيعة، فانه يحاكي جزء من تونس، التي وهبها حيلته وأخلص لها.

وانا كانت الرمزية بأنت واضحة في شعره، إلا أنها ليست جديدة في الشعر، وانما تكثر عند الشعوب المقهورة، التي لا تستطيع أن تعبّر عن رأيها صراحة، وانما تكتفي لذلك بالحيوانات وغيرها من مظاهر الطبيعة، وانظر اليه في أغاني الرعاة يقول:

أقبل الصبح جيلا، يملأ الأفق بهاء
فتمطّى النحل حواليتها، أهازيجا طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذئاب
لا ولا طاف بها الثعلب في بعض الصباح

فأظنه لم يخطر بهاله الثعلب ولا الذئب من قريب أو بعيد، وانما عني هنا المستعمرين الذين يروغون كما تروغ الثعالب، ويفعلون فعل الذئاب التي لا تقنع بشاة وانما تقتل الكثير من الشياه وان لم تكن بحاجة الى لحمها، وانما تقتل لمجرد القتل فقط.

ويستطرد الشابي في المقارنة بين حياة الفاب وهي الحياة التي يتصورها لشعبه بما فيها من نعيم وحريه وسعادة ورخاء، وحياة مجتمعه الذي يعيش فيه، وهي حياة يسودها الرعب والقهر والظلم، والأشباح، أشباح الظلام.

=====

=====

=====

=====

==

=

(١٧٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة البحت

المقدمة

الحياة العامة في تونس قبل الشاي
ظروف الحياة العامة في تونس في عصر الشاي
الشعر في تونس في حياة الشاي
الكتاب الأول

حياة الشاي ومولده
نشأة الشاي ودراسته
صوت والده
أثر المرض في حياته.
زواجه.

(١٧٤)

آثار الشاي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثاني

أحواء على شخصية الشاي وعناصرها وأثرها في شعره.
مصادر ثقافته.

أثر الأدب المهجري في الشاي .
تأثر الشاي بجمال بلده تونس وبما فيه من تعس وفقر.
أثر مدرسة أهوللو في الشاي .
الشعر في حياة الشاي
الكتاب الثالث

صداي الشاي في الشرق العربي .
أصدقاء آخرون ،
نسيان موقت .
كتاب واحد .
أثر المرض في حياته .
جيشل جديد .

تطور جيشل جديد .

آثار الشاي
مهرجانات الذكرى .
للقلم

أواه تعس حياة الشاي .
شعره .

رائد جديد .
أخطاء وأوهام .
أخطاء جديدة .

الفصل الرابع

=====

الثورة في شعر الشابي - دوافعها واتجاهاتها .

دوافع الثورة عند الشابي .

كفاح الشابي .

رسالة الشابي .

نقطة الاحساس وأثرها في الفرد والجماعة .

الشابي ومأساة وطنه .

الشابي ومأساة مجتمعه .

موقف الشابي من السفور والحجاب .

رأى الشابي في الأدب والشعر العربي القديم .

الشعر والشاعر في رأى الشابي .

اتجاهات الثورة في شعر الشابي .

الثورة الأدبية .

الثورة السياسية والاجتماعية .

اثارة الشعب ضد الظلم والظلمة والذل والجمود .

تهديد الظالمين والطفافة وثورة الشعب وسيله الجارف .

روائع الشابي في هذا الميدان .

الفصل الخامس

=====

الحب وصوره في شعر الشابي .

صور الحب عند الشابي .

حب الأرض والوطن .

حب المرأة .

حب والده .

حب الحياة .

حب الطبيعة .

الفصل السادس

=====

خصائص شعر الشابي وموقف النقاد منه .

الأسلوب.

التركيب.

الصناعة اللفظية والمعنوية.

الخصائص اللفظية والرمز.

المطابقة والمقل.

الخيال .

الجد والهزل .

النفوس الشعرى .

أوزان الشابي وقوافيه.

المغنى

=====

الأخطاء اللغوية

الألفاظ الغريبة.

الخاتمة.

=====

=====

=====

=====

=====

=====

- ١- الشابي شاعر الحب والحياة - الأستاذ عمر فروخ - دار العلم للملايين
بيروت - سنة ١٩٦٠ م.
- ٢- الشاعران المتشابهان - الشابي والتيجاني - أبو القاسم محمد
الهدري - القاهرة - دار المعارف بمصر - لم تذكر سنة الطبع.
- ٣- شبيب وشاعر - الدكتور نemat أحمد فؤاد - مطبعة السنة المحمدية
القاهرة - سنة ١٩٥٨ م.
- ٤- الشابي وجبران - خليفه محمد التليسي - دار الثقافة بيروت -
الطبعة الأولى - سنة ١٩٥٧ م.
- ٥- ديوان أبو القاسم الشابي " أغاني الحياة " - أبو القاسم الشابي
دراسة وتقديم الدكتور عز الدين اسماعيل - دار العودة بيروت -
سنة ١٩٧٢ م.
- ٦- آثار الشابي وصداه في الشرق - أبو القاسم محمد كرو - المكتب
التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - سنة ١٩٦١ م.
- ٧- الشابي شاعر الخضراء - حمدي محمد عبد الوهاب -
الدار القومية للنشر - ١٩٦٩ م. - لم تذكر سنة الطبع بالتحديد
وانما ذكرت سنة ما بعد الستين خالية من الأرقام ، وكان الرقم علامة
استفهام .
- ٨- دراسات في الشعر العربي المعاصر - الدكتور شوقي خيف -
دار المعارف بمصر - طبعة ثانية - سنة ١٩٥٩ م.
- ٩- الشابي حياته وشعره - أبو القاسم محمد كرو - منشورات
دار مكتبة الحياة ببيروت - الطبعة الثالثة - سنة ١٩٦٠ م.
- ١٠- أبو القاسم الشابي - شاعر الحب والثورة - رجاء النقاش
دار العلم - بيروت - سنة ١٩٦١ م.
- ١١- الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث -
عيسى يوسف بلاطه - الطبعة الأولى - سنة ١٩٦٠ م. -
بيروت - دار الثقافة .
- ١٢- رائد الشعر الحديث - الدكتور محمد عبد المنعم
خفاجي - الطبعة الأولى - القاهرة - سنة ١٩٥٣ م.
- ١٣- كفاح الشابي - أبو القاسم محمد كرو - دار
الشرق الجديد - الطبعة الأولى - بيروت - تشرين الأول -
سنة ١٩٥٤ م.

- ١٤:- شعاعان معاصران - الأستاذ عمر فروخ - الطبعة الأولى
بيروت - دار الثقافة - سنة ١٩٦٠م.
- ١٥:- مذاهب الأدب - الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
الطبعة الأولى - القاهرة - سنة ١٩٥٣م.
- ١٦:- الفزل - الدكتور سامي السدهان - الجزء الأول -
القاهرة - دار المعارف - لم تذكر سنة الطبع.
- ١٧:- الفزل - الدكتور سامي السدهان - الجزء الثاني -
القاهرة - دار المعارف - سنة ١٩٥٤م.
- ١٨:- قضايا الشعر المعاصر - الدكتور أحمد زكي أبو شادي
القاهرة - الشركة المصرية للطباعة والنشر - سنة ١٩٥٩م.
- ١٩:- قضايا الشعر المعاصر - نازك السلائكة - بيروت - منشورات
دار الآداب - سنة ١٩٦٢م.
- ٢٠:- الاتجاهات الأدبية الحديثة في الأدب العربي الحديث -
أنيس خوري - بيروت - دار العلم للملايين - سنة
١٩٦٣م.
- ٢١:- الأعلام - خير الدين الزركلي - القاهرة - المطبعة
العربية - الطبعة الثانية - سنة ١٩٥٩م.
- ٢٢:- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث - مصطفى السعرتي
مصر - مطبعة المقتطف والمقطم - سنة ١٩٤٨م.
- ٢٣:- مصادر الدراسة الأدبية - الدكتور يوسف داعر - صيدا
- مطبعة دير المخلص - سنة ١٩٥٠م.
- ٢٤:- الشابي حياته وشعره - أبو القاسم محمد كرو - منشورات
دار مكتبة الحياة - بيروت - الطبعة الثالثة - سنة ١٩٦٠م.

=====

=====

=====

=====

=====

=====